الأدب الإسلامي

١٠٩

مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، العدد (١٠٩) ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

القراءة حتى اللحظة الأخيرة

د. عماد الدين خليل

هل الجديد هدف في حد ذاته؟

د. وليد قصاب

محمد واضح رشيد الندوي مربياً جليلاً

د. شفيق أحمد خان الندوي

البعد الإسلامي والأخلاقي في شعر سيف المري

د. محمد سيف الإسلام بوفلاقة

الحضور العربي في الرواية العالمية

د. عبد الرزاق حسين

الرسول العربي ﷺ نماذج من تأصيل المصطلح الإسلامي

عبد الوهاب سلطان الديروي

بسم الله الرحمن الرحيم

هل الجديد هدف في حدّ ذاته؟

يبدو للمتتبع للفكر الغربيّ أنّ التجديد فيه قد أصبح هدفاً في حدّ ذاته. صار (بدعة) سواء أكان الجديد الذي يحمله خيراً أم شراً، جميلاً أم قبيحاً شاذاً.. المهم أن يكون مخالفاً للمألوف، خارجاً على معهود الناس وعرفهم، هادماً ما تقدّمه من إنجاز، حتى كأنّ التاريخ قد بدأ به.

وهذا ما عبّر عنه الناقد الفرنسي ألبير ليونار – وهو يتحدّث عن أزمة الأدب الفرنسي في القرن العشرين– فذكر من وجوه هذه الأزمة أن التجديد في هذا الأدب قد صار (دُرجة) أي «تقليعة»، يقول: «لقد قررت الدّرجة أن كلّ ما هو جديد مقبول، وأن فكرة التجاوز والتقدم هي الشرط الضروري للقيمة. إنّ هذا الخطأ الهائل.. لا يؤخذ بالحسبان.. إنّ فكرة (الإتقان) تنفي فكرة التقدم..»(١).

إن ما يحصل في الفكر الغربيّ الحداثيّ، وفي مذاهبه ومناهجه هو– في غالب الحالات– انقلاب من النقيض إلى النّقيض، حتّى أصبح كلّ جديد يسفّه ما سبقه، وينسفه نسفاً من جذوره، حتى كاد هذا الفكر يتحوّل – بتعبير تيري إيغلتون– إلى مجزرة يذبح فيها الخلف السّلف.

إنّ عشق الجديد لمجرّد أنه جديد، واحتقار القديم لمجرّد أنه قديم، هو سفَه في الفكر؛ لأنه يعني –في أبسط صوره– أن تحلّ معايير «الزمنية» و«العصرية» محلّ معايير الحقّ والباطل، والجمال والقبح. وهذه معايير لا ترتبط بزمان أو مكان، ولا يحتكرها عصر دون عصر.

ليس كلّ جديد خيراً ممّا سبقه، أو أحسن أو أصلح، ولا كلّ قديم متخلّفاً بائداً. إنّ الزمن ليس هو معيار الحكم. فالحقّ والباطل، والجمال والقبح، والتخلّف والتقدّم، وما كان من هذا القبيل، لا يرتبط بزمان، أو مكان أو قوم، بل هو موجود في كلّ زمان ومكان وعند جميع الأقوام.

وهذا ما عبّر عنه أدقّ تعبير الناقد العربيّ ابن قتيبة، وهو يتحدّث عن قضية القدم والحداثة، واضعاً لذلك أسساً عقلية وشرعية وواقعية متقدّمة، يقول ابن قتيبة: «لم يقصر الله العلم والشّعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كلّ دهر..

وإذا كان هذا هو حال الفكر الغربيّ الحديث؛ فإنّ مجموعة من الأسئلة حول التعامل العربيّ مع هذا الفكر لا بدّ أن تبحث عن إجابات لها:

– إلى متى سيظلّ مثقفونا يجرون وراء هذه المذاهب والمناهج التي تولد في كلّ يوم في الغرب، والتي – كما ذكرنا – ينسف بعضها بعضاً، ويلعن آخرها أوّلها، في حلقة لا تنتهي، ولا يبدو أنها ستنتهي؟ إلام سيظلّ العقل المسلم لاهثاً وراء ما يقوله فلان وعلان من أدباء الغرب ونقاده ومفكريه، لا شغل له إلا تتبعه: بترجمة، أو تفسير، أو تطبيق، ثمّ يرمي به عندما يرمي به مبدعه؟

– هل تعطّل العقل العربيّ والعقل المسلّم عن مجرّد التفكير في إنتاج شيء خاصّ به؟ وعلامَ التوهّم والإيهام – من خلال الاستغراق المتواصل في الاشتغال بالفكر الغربيّ– أنه لا شيء عندنا يستحقّ أن نشتغل عليه، أو ننظر له، أو نحاول أن نصنع منه شيئاً خاصّاً بنا؟

– هل بذل أدباؤنا ونقادنا العرب والمسلمون من الجهد لإنتاج نظرية عربية أو إسلامية ربع، بل عشر، بل ثمن، ما يبذلونه في تتبّع ما يقوله الآخر؟

إنّ هذا كلّه لا يعني – بطبيعة الحال– أن ننصرف عن هذا الفكر الغربيّ، أو أن نغلّق الأبواب من دونه، أو نحسب أنه رجسٌ كلّه. إنّ هذا لا يفعله عاقل، ولا تنهض حضارة لأمّة من الأمم لا تستفيد ممّا عند الآخرين، ولكن هذه الأسئلة هي دعوة إلى التبصّر في التعامل مع هذا الفكر، وألا يكون همّنا منحصراً في تتبعه وحسب، والاشتغال به وحده، من غير محاورته على الأقلّ، أو نقده، أو عدم الانبهار به انبهاراً يفقدنا التوازن، والقدرة على الابتداع.

مدير التحرير

(١) أزمة الأدب الفرنسيّ في القرن العشرين، ألبير ليونار، ترجمة زياد العودة، وزارة الثقافة، دمشق: ص٢٢٠.

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٨) العدد (١٠٩)
جمادى الأولى - رجب ١٤٤٢هـ
كانون الثاني (يناير) - آذار (مارس) ٢٠٢١م

رئيس التحرير
د. عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د. ناصر بن عبدالرحمن الخنين

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٦٢٧٤٨٢
٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٦ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أو ما يعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

أحمد بن يحيى البهكلي

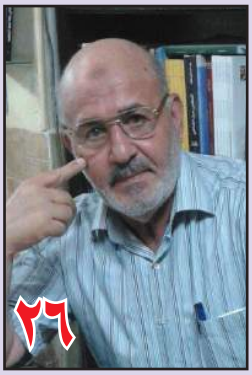

محمود مفلح

أحمد علي يحيى محمد

محمد رشدي عبيد

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره.
- تنشر موضوعات المجلة في حلقة واحدة.
- تكتب الموضوعات المرسلة على الحاسوب مع ضبط الشعر، ولا يزيد حجم المقال على عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لا ينشر لا يعاد إلى صاحبه.
- ترسل صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د. وليد إبراهيم قصّاب

سكرتير التحرير
أ. شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د. عبد الله بن صالح المسعود
د. محمد عبدالعظيم بن عزوز
د. علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د. عبدالعزيز الثنيان
د. حسن الهويمل
د. رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات

■ **الافتتاحية:**
- هل الجديد هدف في حد ذاته؟ — مدير التحرير — ١
- القراءة حتى اللحظة الأخيرة — د.عماد الدين خليل — ٤
- البعد الإسلامي والأخلاقي في شعر سيف المري — د. محمد سيف الإسلام بوفلاقة — ١٢
- محمد واضح رشيد الندوي مربياً جليلاً — د.شفيق أحمد خان الندوي — ٣٦
- الرسول العربي... نماذج من تأصيل المصطلح الإسلامي — عبد الوهاب سلطان الديروي — ٤٢
- الرؤية التراثية العربية للواقعية قراءة في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي — د.أحمد يحيى علي محمد — ٥٤
- من ملامح الفكر الجمالي في رسائل النور مقارنة مع نظيره الرومي — محمد رشدي عبيد — ٦٨
- منهج الطاهر مكي في الترجمة من الآداب الغربية — صلاح رشيد — ٨٠
- سيعود من بلد بعيد سيرة ذاتية لمجتمع مأزوم للشاعر محمد الشحات — أشرف قاسم — ٩٢

■ **الورقة الأخيرة:**
- أدب الشريط الساحلي — محمد حمادو أحمد — ١١٢

نصوص إبداعية

- ظهر الصباح – شعر — محمد عباس علي داود — ٩
- شوق – شعر — أحمد بن يحيى البهكلي — ١٠
- روحي فداء محمد – شعر — د.وليد قصاب — ٢٤
- مفكرة حمامة – قصة قصيرة — هاجر الأحمد — ٣٠
- قالوا عليٌّ – شعر — د.حيدر الغدير — ٣٥
- يقين – شعر — سامي أبو بدر — ٤٠
- الخنزير– قصة قصيرة — ثروت مكايد — ٤١
- الجراد – شعر — د.أحمد كوري السالكي — ٤٨
- قصة مهاجر روهينجي من الجيل المكافح – خاطرة — إبراهيم حافظ غريب — ٥٠
- الحفل – قصة قصيرة — عمر فتال — ٦٤
- مع الرسولﷺ – شعر — علاء الدين حسن — ٦٧
- الرسول ﷺ – شعر — د.سالم بن رزيق بن عوض — ٧٣
- وقلن نريد شرب الشاي – شعر — عبد السلام كامل — ٧٩
- أسنان عائشة – قصة قصيرة — ابتسام شاكوش — ٨٤
- لكل يوسف ريح – شعر — محمد السلمي — ٨٥
- نفيسة العلم – مسرحية — نوال مهني — ٨٦
- مقاطع من قصيدة الوجه الآخر – شعر — محمد كمال — ٩١
- شجون – شعر — هاشم فتحي — ٩٥
- ثورة العصفور – قصة قصيرة — حمدي عمارة — ٩٦
- قلب الأم منبع الحب – شعر — زيد بن محمد المنيفي — ٩٩
- في هدأة الليل – شعر — د.عمر خلوف — ١٠٢
- الرزق من الرزاق – قصة قصيرة — د. مصطفى عطية جمعة — ١٠٣
- عامان – شعر — عبد الرحيم الماسخ — ١١١

الأبواب الثابتة

■ **لقاء العدد:**
- مع الشاعر محمود مفلح — حوار: خليل الصمادي — ٢٦

■ **من تراث الأدب الإسلامي:**
- مكارم الأخلاق – شعر — مسكين الدارمي — ٥٣

■ **من ثمرات المطابع:**
- الحضور العربي في الرواية العالمية — د.عبد الرزاق حسين — ٧٤

■ **رسالة جامعية:**
- المضامين الدينية والتراثية في الشعر الأندلسي في القرن الرابع الهجري للباحثة فائزة رضا شاهين الغزاوي — عرض: محمد عباس عرابي — ١٠٠

■ **مكتبة الأدب الإسلامي:**
- قادم من وراء السنين تأليف داود سليمان العبيدي — عرض: يحيى حاج يحيى — ١٠٦

■ **أخبار الأدب الإسلامي** — إعداد: شمس الدين درمش — ١٠٨

القراءة حتى اللحظة الأخيرة

د.عماد الدين خليل – العراق

القراءة والقراءة والقراءة حتى اللحظة الأخيرة.. تلك هي الصيحة التي يجب أن نرفعها قبالة أنفسنا، وإزاء كل حملة الأقلام من علماء وأدباء الإسلام.. إنها الكلمة الأولى.. كلمة البدء التي تنزل بها كتاب الله.. والفعل الذي يتحتم أن يكون الخبز اليومي للمثقف المسلم.. طعامه وشرابه.

قد يبدو هذا أمراً اعتيادياً يوم كانت القراءة في العقود الماضية تقليداً سائداً في الحياة الثقافية، لكن الأمر يختلف في العقود الثلاثة الأخيرة.. لقد غزتنا وسائل الترفيه السهلة، وحاصرتنا الهموم والمطالب المعيشية والوظيفية في كل مكان، وأخذ الزمن يضيق علينا الخناق.. الكل يركضون وراء همومهم حتى اللهاث وما تبقى من وقت يستلقون فيه على جنوبهم نائمين أو باحثين عن الثقافة المتضحلة السهلة الميسورة التي تنسجم وأعياؤهم المقيم ولا تكلف جهداً عقلياً.. قراءة الصحف والمجلات ودوريات تزجية الفراغ..

إنني أعرف جيداً حشود المثقفين الإسلاميين، وغير الإسلاميين بطبيعة الحال، بل أعرف العديد من الكتاب أنفسهم لا يكادون عبر الزمن الأخير يقرؤون شيئاً ذا قيمة.. فماذا نتوقع أن تكون النتيجة؟ وكيف تكون

النصيحة بالقراءة شيئاً مستهلكاً؟ إن الأمر جد، إذا استعملنا عبارة الكاتب الفرنسي (يونسكو)، وقبالته يجب أن نفعل شيئاً وإلا استهلكنا الوقت، وفقدنا القدرة شيئاً فشيئاً على أن نقدم للحركة الثقافية شيئاً ذا قيمة.

فإذا تذكرنا أن زمننا هذا، هو في الوقت نفسه، زمن الانفجار المعرفي، وسيول المؤلفات التي تطلع على الناس في كل يوم، وأنه – كذلك – زمن التواصل الثقافي السريع، حيث ينتقل الكتاب من بلد إلى بلد بسرعة الكهرباء، وحيث يترجم عن لغاته الأصلية أسبوعاً بأسبوع، ويوماً بيوم.. إذا تذكرنا هذا عرفنا أن الأمر جد فعلاً، وأنه التحدي الذي تنوء به العصبة أولو القوة.. ولكن لا بدّ مما ليس منه بد.. لا بدّ أن نقرأ ونقرأ ونقرأ ما وسعنا الجهد وحتى آخر حدود الاحتمال وإلا ضعنا.. القراءة.. القراءة.. القراءة.. من أجل إعادة ترتيب ما كان.. ومحاولة السيطرة على ما هو كائن.. والاستعداد لما سيكون..

هذا ما يمكن أن يقال لكل أولئك الذين يطمحون لأن يقدموا شيئاً ذا قيمة لهذا الدين المتجذر في العالم، والذي ينتظر الزراع لكي يستوي نبته الواعد على سوقه – بإرادة الله سبحانه وتعالى – فيغيظ به الخصوم والكفار.. (اقرأ) هي التأسيس والمنطق والرؤية ومنهج العمل.. وما لم تصبح خبزنا اليومي.. طعامنا وشرابنا.. نومنا ويقظتنا.. همنا الذي يشعل فتيل القلق والتطلع في عقولنا صباح مساء.. فلن نستطيع أن نكون أكفاء لما يتطلبه هذا الدين وسط دوامة التحديات وصخب التحولات الكبرى بين قرن أطلّ على نهايته وقرن يوشك على العالم منتظراً إشارة الخلاص.

والأدب الإسلامي على وجه الخصوص ينتظر وقوده الذي يجعله أكثر اشتعالاً وأشد تألقاً.. إننا لن نستطيع أن نلفت أنظار العالم إلى هذا الخطاب المتميز، الواعد بالتبديل والتغيير، ما لم نصب المزيد من الزيت على الحطب المشتعل.. ما لم نصعّد نار الإبداع حتى تصير فناراً عالياً يراه ويستضيء به القاصي والداني.

والزيت هو القراءة.. هو المتابعة الموصولة لكل ما تشهده ساحات الأدب من معطيات في حلقاتها كافة.. هو الحمّى التي تجعل المرء لا يرتاح إلا بأن يدفن رأسه في بحر الكلمة لكي يتعلم الكثير.. إنها الكلمة الأولى والثانية والثالثة.. وليست الأخيرة.. لأن الأفق سيظل مفتوحاً للمشروع الكبير الذي نحلم به جميعاً: أن نصير أمة من القراء والأدباء والمثقفين كما أراد لنا كتاب الله سبحانه وتعالى أن نكون.. بهذا وحده يمكن أن نجابه تحديات العصر ومتغيراته، وأن نجعل (كلمتنا) الجميلة المؤثرة، ورؤيتنا للحياة والوجود، حاضرتين في قلب العالم.. قديرتين على اكتساح كل ما لا ينسجم ويتواءم مع مطالب الإنسان.. متجذرتين في الدنيا التي تتناوشها الأعاصير (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء).

إن كلمة (اقرأ) التي تنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء.. هي البداية الصحيحة.. وهي فعل إيجابي، وليست أمراً بالنفي.. وكما قادت المسلم أول مرة إلى تشكيل فعله الحضاري المتميز فإنها قديرة على أن تقودنا كرةً أخرى إلى استئناف الدور..

إنها ليست نصيحة تقليدية تزجى للقراء، ولكنها أمر إلهي إلى كل مسلم في هذا العالم الذي يضيع

فيه من لا يحاول أن يبذل جهداً استثنائياً في قراءة الأشياء والسنن والنواميس والظواهر والموجودات، والتعرّف عليها..

إن كل قارئ، وكل مسلم، بشكل عام، مدعو اليوم لأن يمضي في درب المعرفة الايمانية، وأشدد على الكلمة.. معرفة الآخر.. ومعرفة العالم من أجل أن يتبيّن خرائطه جيداً، ويرى بوضوح موضع قدميه في عالم تصطرع فيه القوى.. والويل لمن لا يحمل رايته المستقلة في خضم هذا الصراع.

قراءتي لم تكن سواء.. فحيناً لا تتجاوز في اليوم الواحد ساعة واحدة أو نصف الساعة.. وحيناً آخر تستغرق مني الساعات الطوال.. وقد يمضي اليوم واليومان دون أن أقرأ شيئاً.. وبالمقابل أجدني أحياناً أتعامل مع الكتاب بنهم عجيب.. فأقرأ صباحاً، وأعود مساء لكي أواصل القراءة.. ثم يجيء الليل لكي يمنحني فرصة أكثر مواتاة لمواصلة القراءة..

في يوم ما كنت أنا الذي أختار زمن القراءة، ومداه.. وبمرور الوقت وتزايد المطالب والهموم، أصبح هو الذي يختارني إذا صح التعبير.. وفي الحالتين تظل القراءة أمراً ملزماً وليست رغبة عابرة.. تظل واجباً يومياً أجدني أبذل قصارى جهدي لتلبية مطالبه.. واليوم الذي لا أقرأ فيه يتملكني إحساس بأنه غير محسوب من عمري.. أكثر من هذا.. شيء من التأثم في أنني قد فرطت في واجب ما.

ودائماً كانت القراءة، فضلاً عن إضافتها المعرفية، تمنحني المتعة والعذاب معاً.. الانسجام أو التوافق مع الذات والأشياء والموجودات حيناً.. والتنافر والثورة والإحساس بالمرارة حيناً آخر.. ليس – فقط – لأنها توافق قناعاتي في الحالة الأولى، وترتطم بها في الحالة الثانية، وإنما لأنني – أحياناً – لا أفهم في الكتاب الذي أتعامل معه، المعنى النهائي الذي يتوخاه المؤلف، أو القوة الفكرية التي تربط فقراته وفصوله، وتجعلها تتسلسل بهذا الشكل أو ذاك.. القصور قد يكون من جهتي، وأنا أعترف بهذا، ولكن في حالات كثيرة يجيء من المؤلف نفسه الذي لا يعرف كيف يوظف اللغة لحمل الخطاب إلى الآخرين.

ويزداد الأمر تعقيداً عندما يدخل المترجم غير المتمرس طرفاً في الموضوع.. حينذاك تستحيل القراءة إلى جحيم لا يطاق.. ولما كانت طبيعتي قد فرضت علي منظومة من التقاليد القاسية في مجال القراءة: من مثل أن الكتاب الذي أبدأ قراءته، لا بدّ أن أتمه بأي ثمن.. ومن مثل محاولة الفهم المتكامل لكل مفرداته دون أن أسمح لمفردة معرفية واحدة أن تندّ عني.. ومن مثل الرغبة – إلى حدّ الوسواس التسلطي – في أن أخضعه في ترتيبه المنطقي،

لهندسة معينة تجعله أكثر توافقاً مع منظوري العقلي وطريقتي في التعامل مع الأفكار، فلكم أن تتصوروا كيف ستغدو القراءة عذاباً متواصلاً قد أحمل فيه نفسي ما تطيق وما لا تطيق.

ولكن، من جهة أخرى، قد يستفزني كتاب ما عبر رحلة توافق عجيب لا نشاز فيه أبداً.. وحينذاك تصير القراءة متعة يصعب وصفها.. وأحس حتى أعمق نقطة في كياني أني دخلت دائرة الرضا والانسجام، وأظل سعيداً فرحاً عبر ساعات النهار.. لا يكدرني شيء.. ولكن كم من الكتب التي قرأتها في حياتي منحتني هذه اللحظات!؟

ثمة ما يجب أن يقال أيضاً.. بالنسبة للكتاب والمفكرين.. إن الكتابة والتأليف تأخذ من وقتهم الكثير، وقد يكون هذا في معظم الأحيان على حساب القراءة.. أليس كذلك؟ ومن هنا أجدني ممزقاً بين إغراء القراءة ومطالب الكتابة التي يبدو أنها لن تكف حتى يغيب الإنسان

في الغالب.. إنك إذا استجبت لنداء ما.. مشروع تأليفي أو بحث أو مقال أو حتى خاطرة، وجدت نفسك مرغماً على الانسحاب من دائرة القراءة لكي تتمحض للكتابة حتى إذا أتممت العمل، وتنفست الصعداء، وقلت بينك وبين نفسك: ها قد آن الأوان لكي أتفرغ للقراءة التي طال إليها شوقي واشتد ظمئي.. برز قبالتك مشروع عمل، وربما مشاريع أخرى، أشد إلحاحاً، وأرغمتك كرةً أخرى على أن تقتطع من وقتك الساعات الطوال، وأن تدفن رغبة القراءة ونهمها الذي لا يكف، في طبقة بعيدة في أعماقك قائلاً: سيجيء ذلك اليوم الذي تلبى فيه الأشواق.. أتراه سيجيء فعلاً؟!

إنني أتذكر – على سبيل المثال – بحنين جارف – ما كان يحدث في الخمسينيات والستينيات.. كان الكتاب هو خبز المثقف اليومي، وكانت المقاهي والحدائق والمكتبات (والكازينوات) والأماكن العامة، فضلاً عن الدور، ساحات لبلّ الشوق وإرواء الظمأ.. وكان التقليد السائد يومها أن من يذهب إلى المقهى، لا بدّ أن يحمل معه كتاباً.. حتى ولو لم يقرأ فيه..

ما الذي تغير عبر العقود التالية، فقلب الأمور رأساً على عقب؟ انظر إلى واقع الحياة في مدننا العربية والإسلامية، فإنك ستجد الناس يركضون.. تتوزعهم مئات المطالب والهموم.. حتى إذا ما أتيحت لهم الفرصة، ووجدوا أنفسهم قبالة ساعة أو ساعتين من الزمن.. سحبهم التلفاز أو الفيديو.. أو في الأقل الرغبة في الاسترخاء والكسل العقلي، تعويضاً عن ساعات الشد النفسي المشحونة عبر رحلة الليل والنهار.. فعلام يقرؤون!؟

هذا هو الذي جعل المواطن العربي وفق آخر إحصائيات اليونسكو لا يقرأ في العام الواحد سوى أربع دقائق فحسب، في الوقت الذي يقرأ فيه المواطن الغربي مئتي ساعة.. وهذا الذي جعل معاهدنا وجامعاتنا عبر العقود الأخيرة تخرج مجموعات من الأميين.. وهذا الذي يجعل تسعة من طلبة الدكتوراه من بين أحد عشر طالباً لا يقرؤون في العام الواحد كتاباً واحداً.. فأي شهادة تلك التي سيعلقونها على جباههم الفارغة، وهذا الذي يجعل المعلمين والمدرسين بل حتى الأساتذة الجامعيين لا يكلفون أنفسهم قراءة كتاب واحد عبر السنة والسنتين؟

نحن – معشر الكتاب – نحاول ما وسعنا الجهد أن نقاوم هذه الظاهرة المخيفة، وأن ننفخ النار في الجذوة الخابية لكي تشتعل مرة أخرى، وأن تمضي لكي تلتهم الكتب وتغري الآخرين بالتهامها.. وأن نرفع – دائماً – شعار: القراءة هي ملح الحياة، وبدونها لن يكون لها طعم أو مذاق على الإطلاق.. وحتى إنني أصبحت أقرأ في العام الواحد عبر السنوات الأخيرة ما يزيد على الخمسين كتابا.

إننا قبالة معادلة صعبة، وعلينا أن نستجيب لتحدياتها.. لأن أي توقف، ولو لالتقاط الأنفاس، ومراجعة الحساب، سيجعل القطار يفوتنا، وسيمنع عنا الزاد والوقود الذي يعيننا على مواصلة الطريق، ولن يكون بمقدورنا – يومها – أن نقدم شيئاً جديداً، أو شيئاً ذا قيمة، إذا أردنا أن نكون أكثر واقعية وصراحة.. ثم إننا في عصر الانفجار المعرفي والمتواليات الهندسية في دنيا النشر، وأن هذا يفرض علينا كفاحاً متواصلاً لمتابعة المتغيرات المعرفية ومحاولة إدراكها وإلا وجدنا أنفسنا يوماً خارج دائرة التاريخ.

أحاول، ما وسعني الجهد، أن أقرأ بنظام ومنهجية، فليس كهذين ما يعين المرء على السيطرة على نشاطه ورفع وتائر إنجازه، والوصول إلى المحطات التالية.. القراءة ليست رغبة عابرة، ولا هي محاولة للاسترخاء أو تزجية الفراغ.. القراءة جهد صعب، ورحلة مرسومة بعناية في (كون معرفي) يضيع فيه من لا يملك خارطة أو بوصلة أو مجذافاً.

بين الحين والحين أقوم بجرد رفوف مكتبتي محاولاً أن أنتقي مجموعة متوازنة من الكتب، وأضعها قبالتي قائلاً: إنها واجبي المفروض على مدى الأشهر الثلاثة أو الأربعة القادمة.. حتى إذا ما أتيت عليها، قمت بمحاولة أخرى للجرد

والانتقاء.. وقد تخترق هذه المجموعات الدورية مؤلفات مغربية أجدها لدى هذا الصديق أو ذاك، أو في هذه المكتبة العامة، أو تلك، وعبر العروض المتجددة في معارض الكتب السنوية، وأسواقها، أو خلال رحلاتي إلى البلدان المختلفة.. وفي كل الأحوال أسعى إلى تنفيذ التوازن الذي أشرت إليه قبل لحظات، في اتجاهين أساسيين: أن تحقّق هذه المختارات الفائدة والمتعة معاً.. أن تضيف لدي جديداً.. وأن تمنحني الرضا والارتياح في محاولة للتخفيف من هموم الكتابة ومطالب الحياة.

ويتمثل الاتجاه الآخر في ضرورة أن تنطوي هذه المختارات على قدر معقول من التنوّع بين شتى صنوف الفكر والأدب لكي تمنحني الغذاء المطلوب، والزاد الذي يعينني على السباحة في أنهار المعرفة المتنوعة، ويمكنني من الوصول إلى شطآنها بسلام.. هذا إلى أن التنوع هو في حد ذاته ضرورة من ضرورات مجابهة الملل والتضحل العقلي والجمود.. وأحياناً، النفور من القراءة نفسها كما حدث بالنسبة للكثيرين.

إن هذا التنوع يمنح الكاتب لغة أكثر قدرة على الأداء الملائم في حقول المعرفة التي يمارس فيها عمله.. والذين يجمدون على نمط واحد من المعرفة، بحجة مطالب التخصص، وضغط الزمن، سرعان ما يجدون أنفسهم يسقطون في مستنقع اللغة العقيمة التي تعجز عن نقل الخطاب، فيفقدون قرّاءهم، وقبل ذلك يفقدون موقعهم المتميز على خارطة الكتاب والمؤلفين.. أن يكون لك أسلوب متميز يعني أنك قد أخذت موقعك على الخارطة.. ولن يتأتى هذا إلا بالقراءة المنهجية لأنواع المعارف الممكنة وفروعها المتشابكة■

ظهر الصباح

محمد عباس علي داود – مصر

صمت الحديثُ
وأينعت في الصمت آيات الهدى
نادى المؤذن داعياً
الله أكبر
قالها
شق السماءَ
ولم يزل يدعو بها
قام الملائك طائفين
يسبحّون
يهللون
ويذكرون مع النِدا
والمؤمنون بكل فج قد مضوا
والنور ظِل ركابهم
والصمتُ أبلغ من حديث مسيرهم
وقلوبهم طول الطريق إلى المساجد في صلاةْ
تدعو
تسبِّح
بين أجنحة
السجود
وقد حوت حب الإله
والنبض ينبع بالهدى
والله يسمع من دعاه
قل هو الله أحد
عند الصلاةْ
هي الحياةْ
ويدور بين القوم أمنٌ وارتياحْ
ظهر الصباحْ
فاسعوا إلى رزقٍ مباحْ

شوق

أحمد بن يحيى البهكلي – السعودية

يا قلبُ ما خَفَتَ الشوقُ الذي تَجِدُ ... وهذه القبةُ الخضرا وذا أُحُدُ

وفي قُبَاءَ طِوالُ النخلِ شامخةٌ ... رؤوسُها، والثرى بالمسكِ منعقدُ

فاهدأْ بقربكَ يا قلبي وقد سُعِدَتْ ... نِياطُكَ اليومَ لكنْ أنتَ ترتعدُ

ذُبْ في وصالِ حبيبِ الله وادْنُ إلى ... حِماه، حُبُّ الحبيبِ الرِّقْدُ والعَضُدُ

وانثرْ على صاحبيه من سلامكَ ما ... يدنيكَ من شرفٍ لم تدَّخِرْهُ يدُ

صَلَّى على المصطفى ربي العظيمُ وقد ... به إلى منهجِ الرُّشدِ الأنامُ هُدُوا

حبيبُنا سيِّدُ الرُّسْلِ الكرامِ له ... دَيْنٌ على الخلقِ ما يوفيه مجتهدُ

حين اصطفاه تعالى في جلالته ... أَرْقاه منزلةً ما نالَها أحَدُ

لِسِدْرَةِ المنتهى أدناه خالقُهُ ... أَعْظِمْ بما قد حباهُ الواحدُ الصمدُ

وانسابَ نهرُ السما للأرض مندفقاً ... إلى الرسول الذي حُلَّتْ به العُقَدُ

شعابُ مكةَ ماجَتْ بالهدى فَهَفَتْ ... حِرارُ طَيْبةَ حتى أقْبلَ المَدَدُ

فَشَعْشَعَ النورُ في ربعِ المدينةِ من ... وجهِ الرسول فِداهُ النفسُ والولدُ

وشَادَ صلى عليه اللهُ منعرَجًا ... للطُّهْرِ لا فُرْقةٌ فيه ولا حسدُ

مهاجرون وأنصارٌ غَدَوْا جَسَدًا ... إذا اشتكى منه عضوٌ أشفقَ الجَسَدُ

وانداحَ من طيبةٍ نورُ الهدايةِ لم ... يَحْجُبْهُ حقدٌ ولم يعصفْ به كَمَدُ

وافَى بِهِ مِنْ رجـال الله مَنْ صَـدَقُوا ... فـي عزمهم فاستَتَبَّ الأمنُ والرغَدُ
وبالجهـاد انْضَوَتْ كـلُّ البـلاد إلى ... ركْبِ الرسـالة حتى لم يَغِبْ بلـدُ
سَلْ عن عـدالتهم شـامًا وسَـلْ يمنًا ... والشرقَ والغربَ والشوكَ الذي خَضَدُوا
تُجِبْكَ كلُّ شعوبِ الأرض قاطبـةً ... وقد تَنَـوَّرَها الإســلامُ والرَّشَـدُ
مِنْ هاهنا انبَثَقَ النـورُ المشعُّ فما ... غيرُ الولاءِ لـربِّ الكـونِ يُعْتَقَـدُ
وبـاتتِ الأرضُ كـلُّ الأرضِ مسلمـةً ... للهِ والصـفُّ مرصـوصٌ ومتَّحـدُ
ومن غبـار الصحاري قام صرحُ هُدًى ... تسمو به من رشـادِ المصطفى عُمُدُ
فـالحَمـدُ لله أن الله شَـرَّفَنَا ... بـأننا لِحِمَى خَيـرِ الـورَىٰ نَفِدُ
وأن هـذا التـرابَ التِّبْرَ منبتُنَا ... وأنَّنـا بالتـرابِ التِّـبْرِ ننفـرِدُ
كـأنما الأرضُ للإســلامِ قد خُلِـقَتْ ... والمسلمـون لخيرِ الأرض قد وُجِدوا
مـا عَفَّروا لسـوى الرحمن أوجهَهُم ... وإنمـا هم تسـاموا حينما سـجدوا
موحِّدون لربِّ الكونِ مـا عَـبِثَتْ ... خرافـــةٌ بِـهِمُ مـــا زاغَ مـعتقدُ
لذاك بـاتَتْ عيـونُ القومِ سـاخنةً ... يجتـاحها حسدٌ يسري بـها رمـدُ
على الصليبِ انْتَدَوا، تَعْسًا لهم، عقَدُوا ... عزماً على الهدم، يـا تَعْسًا لما عقَدُوا
إذا سـألتَ فسَـلْ تـاريخَ أندلسٍ ... وغُلْفُ محكمةِ التفتيش قد شهدوا
وافهمْ جريمـةَ (ماجلّانَ) حين رمـى ... بالنـار مركَبَ مَنْ للحجّ قد قَصَـدُوا
وفـي الجـزائرِ آلافُ المجـازرِ مـا ... شَفَتْ غليلَ فرَنْسا وهـي تبتردُ
ونـارُ (بَلْفورَ) مـا زالَتْ تَـأجَّجُ فـي ... ثـرى فلسـطينَ إحــراقًا وتتَّقِدُ
ومصـرُ والشـامُ ما زال الشّواء بـها ... يزداد حَـرْقًا وفُو الجـزارِ يـزدردُ
وحَـدُّ سكينِ (سِكْ بِيكو) يقطِّعُ في ... أوصــالِ أمتنا والخَطْـبُ معتمَـدُ
ذا بعضُ غيضٍ قليلٍ من فيـوضِ أسىً ... مـا زال يجتاحُنا والعـدلُ مـفتقَدُ
فما المزيدُ الذي يُهْديه في سَفَـهٍ ... (مَكْرونُ) أو (شـارلُ بيدو)؟! كلهم بَدَدُ
ومـــا لأمتِنـا إلا الثبـاتُ على ... هُـدَى الرسولِ، عليه نحنُ نَتَّحِـدُ
للعِزِّ في كَنَـفِ الإســلامِ مُلتَحَدٌ ... والـذلُّ حَتْمٌ على مَنْ بـاتَ يبتعدُ

* * *

البُعد الإسلامي والأخلاقي في شعر سيف المري

د. محمد سيف الإسلام بوفلاقة – الجزائر

يعد الشاعر الإماراتي سيف المري[1] أحد أبرز الشعراء الذي عرفتهم دولة الإمارات العربية المتحدة في العصر الحديث، فهو صوت شعري متميز، إنه واحد من أبرز شعراء الغنائية الوجدانية الجديدة في الخليج العربي، ويعد من أشرق الوجوه الشعرية التي أسهمت في إثراء الحركة الأدبية، والإعلامية بدولة الإمارات العربية المتحدة، فهو يجمع بين الإبداع الشعري، والقصصي، والكتابة الصحفية.

وتهدف هذه الدراسة الموسومة بـ«البُعد الإسلامي والأخلاقي في شعر سيف المري»، إلى رصد جوانب حضور التراث الإسلامي، والتأثر بالقرآن الكريم في شعر سيف المري، كما ترمي إلى كشف النقاب عن بعض الأبعاد الأخلاقية في أشعاره المتميزة، من خلال ديوانه الشعري الأول الذي صدر سنة (٢٠٠١م)، تحت عنوان: «الأغاريد»، وديوانه الثاني الموسوم بـ«العناقيد»، وقد أصدره عام (٢٠٠٤م).

وقد بدا لنا بعد اطلاعنا على أعماله الشعرية؛ أن الأديب سيف المري يعد من أكثر الشعراء الإماراتيين المعاصرين استلهاماً لمعاني القرآن الكريم، وألفاظه، ويبدو أن هذا الأمر يرجع بالدرجة الأولى إلى النشأة الإسلامية التي عاشها سيف المري في مدينة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، إذ إن للبيئة المحافظة التي ترعرع فيها شاعرنا جملة من الآثار الواضحة في بروز الأبعاد الإسلامية، والأخلاقية في إبداعه الشعري، وفي ظهور تأثره

بالقرآن الكريم، واستلهام ألفاظه، إذ أبان الشاعر منذ صغره اهتماماً بقراءة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ويبدو أن قراءاته لم تكن لتتوقف عند هذا الحد فحسب، حيث إنه دأب على قراءة كتب التفاسير، وكتب التراث الإسلامي بمختلف فروعه، على تنوعها، وتعددها.

إن شعر سيف المري يُزاوج في لغته بين الرقة، والعذوبة، التي تبلغ حد الليونة، ونجد الشاعر في الكثير من قصائده يتوسل بصور فنية ساحرة، منها ما هو رمزي حديث للتعبير عن قضاياه الشعرية، وهو قليل، وأكثرها مما هو بلاغي قديم، وقد نجح الشاعر نجاحاً باهراً في توظيف الكثير من الأدوات الفنية فأضفت لمسات جمالية، وساهمت في تجلية المعاني، وتدعيم الرؤية الشعرية، واتحدت الصور الشعرية ، والرمزية، وتكاملت في نسق دلالي واضح، وقدمت مجموعة من الصور الجمالية، والفنية البديعة، حيث إنك وأنت تقرأ شعر سيف المري تقرأ شعراً عاطفياً فيه وجدان، وشوق، وحُب، وشجن، مثلما تقرأ شعراً وطنياً فيه وفاء، وإخلاص، وذوبان في وطنه الإمارات العربية المتحدة، وفيه حماسة، وغيرة، وحزن على الأمة، وديارها، وتقرأ شعراً فيه حماسة الشباب، وتوثّبه، وصدق تطلعاته، وآماله، والقارئ بقدر ما يتمتع بالقصيدة، تستهويه الأفكار النابعة منها، إذ تتضمن الكثير من قصائد الشاعر رؤى فلسفية معمقة، وهي ذات ثقل فلسفي حكمي، وتحتوي على أبعاد إسلامية راقية، وأخلاقية قيمة.

إن الألفاظ الموظفة من قبل الشاعر سيف المري في معجمه الفني هي ألفاظ في مجملها مُحملة بدلالات شعورية صورت أدق تصوير الحالة النفسية التي يعيشها، فقد ابتعد ابتعاداً كُلياً عن الغموض، والإبهام المغلق، وحرص على البساطة، والمباشرة في بث شكواه ، وهذا ما جعل القصيدة تؤدي رسالتها بصورة شفافة، بيد أنها تفيض بشاعرية طافحة، فما يلاحظه الدارس لشعر سيف المري هو قدرته على الوصف الدقيق، والإحاطة بالجزئيات، ولاسيما عندما يكون بصدد بعث رسائل أخلاقية رفيعة، وكثيراً ما يكتسي وصفه بحلل رومانسية بديعة يستقيها من عناصر الطبيعة.

سيف المري

البُعد الإسلامي والأخلاقي في شعر سيف المري:

ونلاحظ في ديوان «الأغاريد» أن الشاعر سيف المري قد طرق مختلف الفنون الشعرية، كالمدح، والرثاء، والشعر الوطني، وعالج قضايا اجتماعية، وأخلاقية، إذ تُسيطر العاطفة الوطنية

على قصائد الشاعر، وهذا يؤكد أن شاعرنا لم يؤثر التقوقع في القضايا الذاتية، بل اهتم بالواقع الاجتماعي، وسلط الضوء عليه، وأول قصيدة نجدها في المجموعة الثانية من ديوان «الأغاريد» موسومة بـ«يوم الحصاد»، وقد ألقى الشاعر هذه القصيدة بمناسبة إقامة احتفالية تكريم الحائزين على شهادات الماجستير، والدكتوراه، والحاصلين

على جائزة الشيخ راشد بن سعيد للتفوق العلمي، وما يلحظه القارئ لهذه القصيدة هو أن الشاعر يستدعي التاريخ التليد، ويستحضر الأمجاد، حتى يُقدم دفعة قوية للمُتلقي، ويستلب اهتمامه، ويشد انتباهه، وقد قدم الشاعر في قصيدته هذه لوحة فنية متميزة، وقام بالاستطراد عدة مرات، واستدعى التراث، كما استدعى شخصية خير الأنام، رسولنا الكريم محمدﷺ، وذلك بغرض إبراز فضل العلم، والتعلم، حيث يقول، وهو بصدد الحديث عن الأمة العربية، والإسلامية:

شرُفت بأحمد هادِياً ومُعلماً
وكتابُه الداعي لنهجٍ مُبصرِ
يدعُو إلى التفكيرِ مُحترِماً لهُ
نهجاً فلم يحجُر ولم يتحجرِ
ويُحررُ الإنسَانَ من أغلالِهِ
بشريعةٍ سمحَاء للمُتدبرِ
حرباً على أهلِ الجهالة داعياً
أهل النُّهى لتبصُّرٍ وتفكُّرِ
لا جبر فيه فكلنا متخيرٌ
فانظُر إلى نُور الحقيقةِ واخترِ
بالعلم كُنا أُمةً موهُوبةً
بالنابغين وبالهُدى المُتحضرِ[٢]

وقد مزج الشاعر في قصيدته بين الفخر، والمدح، كما أن رؤاه امتازت بالعمق.

ولا ريب في أن شعر الرثاء من أكثر ألوان الشعر التصاقاً بالذات الشاعرة، والذات المتلقية، لما في طبيعة الحزن من تأثير، وأبعاد في النفس البشرية، وقد جسد سيف المري غرض الرثاء في شعره خير تجسيد باعتباره واحداً من شعراء الوجدان الذين اعتمدوا الذات منطلقاً لهم في أشعارهم، ومن أبرز ما كتبه في الرثاء قصيدة «رحيل شيخ الرجال»، وهي القصيدة التي كتبها في رثاء المغفور له بإذن الله صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، وقد افتتحها بتوظيفه لعدة أنماط من الخطاب مُركزاً على الأسلوب الإنشائي، حيث وظف النداء، والاستفهام،

الذي هدف من ورائه إلى إبداء إعجابه الشديد، وعمد إلى التكرار، وذلك حتى يُدرج مع كل سؤال فضيلة من فضائل الشيخ الراحل، ويلقي الضوء على خلاله الحميدة، وهذا يُدلل على صدق عاطفته، وشدة تأثره لرحيل الرجل البار شيخ الرجال صاحب الأخلاق الفاضلة، والأدوار العلمية المتميزة:

أرأيــت كيف تؤبن العلياءُ
وتَحِلُ في وسطِ الثرى الجوزاءُ
ويسيرُ محمولاً على أعناقهم
جبلُ العلا والقمةُ الشماءُ
يا من رأى هذا العُباب مكفناً
سكنت به الأمــواجُ والأنــواءُ
أين الذي من جُوده وسخَائِه
يحيا الضعافُ ويغتني الفقراءُ
أين الذي من هَدْي نيّر فكرِه
يتعلمُ الحُكماءُ والعلماءُ[٣].

وما يدل على عميق إعجاب الشاعر بالشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم -عليه رحمة الله-، ومحبته لخصاله انطلاقه مباشرة في تعديد مناقب الراحل التي غلبت على وصف يوم الرحيل المملوء بالشجن، فهو جبل العلا، والقمة الشماء، كما ركز على الجانب الإنساني في شخصية شيخ الرجال مُتسائلاً:

من مثل راشد للخطوب إذا دهت
وتكالبت بالأمةِ الغرباءُ
يقضي سَواد الليلِ يخدمُ شعبَهُ
لم تُلهِه الأمــوالُ والأبناء
من مثله للمُعضلاتِ يحُلها
إن فاجأتنا ليلةٌ ليلاءُ
من مثله؟ أقواله وفعاله
مُتشابهات في الفَعال سواءُ
يا ليلة الأحزان هل من نظرةٍ
قبل النوى تحيا بها الأعضاءُ[٤]

وقد تبدت لنا عاطفة الشاعر من خلال هذه القصيدة عاطفة مهتاجة ملتهبة محترقة، أحرقتها نيران الحسرة، والآلام على رحيل الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم -عليه رحمة الله-، وأججها تذكره لمناقب ذلك الرجل الفاضل الذي قضى حياته خدمة لشعبه، فدبي تذرف العبرات حزناً، وشجناً على رحيل عظيمها، وزعيمها، الذي قدم خدمات جليلة لأمته العربية، والإسلامية، فيا له من موقف! ويا لها من مأساة هزت وجدان الشاعر هزاً عنيفاً!.

الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم

وقد استطاع الشاعر سيف المري أن ينقل إلينا أحاسيسه، ومشاعره بكل أبعادها، وجوانبها، وجزئياتها بدقة، وصدق، حتى إن القارئ يحس بكل نبضاته المُحترقة، وأناته الملتهبة، نحس بها –من خلال هذه القصيدة– ناراً تلفحُ وجوهنا، وحمماً تكوي أفئدتنا، فإذا بنا نتألم لآلامه، ونحزن لحُزنه.

والحق أن الشاعر قد استطاع بدقة وصفه لمناقب، وخلال الشيخ، أن ينقل أشجانه وعواطفه إلى ذات المتلقي، فجعل القارئ يُدرك جهود الراحل، وأخلاقه الفاضلة، فيتعاطف معه في حُزنه، إلى درجة أن القارئ المتعمق في قصيدته يكتوي بمثل ما اكتوى به الشاعر، ولاسيما إبان وصفه الدقيق لأخلاق الراحل، حيث يقول مُوجهاً الخطاب له:

قد كُنت فِينا للخُطُوبِ دَرِيئةً
تحمِي الحِمى إن أرجف الأعداءُ
ولأنت أحرى أن يُصاحِبك الندَى
يا نِعم ما يتَخيرُ الرُفقاءُ
تُسْدِي الجَميلَ مُضاعفاً لا تَرتَجِي
شُكراً عليه وهكذا الكُرماء(٥)

وفي قصيدة «ود قديم» وقف الشاعر على قبر الشيخ المر بن مجرن بن سلطان المري، وطفق يستعيد ذكرياته مع الشيخ الراحل الذي عرفه الشاعر، وجمعته معه روابط الصداقة، والقربى، ويعترف الشاعر سيف المري بأنه كان للشيخ مجرن عليه من الفضل الكبير الذي لا يُنكره، كما عرف عن الشيخ مجرن بن سلطان حُبه للأدب، والشعر، وتقديره الشديد لأهل العلم، يقول الشاعر:

سَلِّمْ على قَبرِ المُبجَّلِ خَاشِعاً
فلعلَّ نَفْسكَ بالسَّلامِ تَطِيبُ
وامسحْ تُرابَ القبْرِ عن جَنباتِهِ
إذْ فيه مَا دارَ الزَّمانُ قريبُ
جَزَعت لَهُ نفس تكادُ لحُزْنِها
مما أصاب من الخُطوبِ تذوبُ

المر بن مجرن بن سلطان المري

وبكتهُ عينٌ كُلَّما نَزَفَ البُكا
عادتْ كما بَدَأتْ عليه غروبُ
ناديتُ لو كان المبجَّلُ سَامِعي
ولطالما أنشدتُ وهو طَرُوبُ(٦)

تُبرز قصيدة «وطني» مدى عُمق الانتماء لدى الشاعر سيف المري، وتُؤكد عشقه الكبير لوطنه الزاهر الإمارات العربية المتحدة، وهي واحدة من

أهم القصائد الوطنية التي أبدعها الشاعر، وقد اتسمت بوضُوح معانيها، وعمق أفكارها، وبُعدها عن الغموض. فقد سكب الشاعر عاطفته حُباً مُفعماً، وولاءً مُتقداً، فهو يرى في وطنه الإمارات العربية المتحدة خير صديق، وأبرز علاقته به منذ الطفولة مشبهاً إياه بالظل الذي يُلازم الإنسان أينما حل، ونجح في التأثير في المُتلقي، من حيث إبراز عاطفته المشوبة ولاءً لبلاده الإمارات العربية المتحدة، كما نجح من خلال صياغته المبدعة التي تجلت في موسيقاه، وفي صوره الشعرية، وكذلك في الألفاظ والتراكيب، ولقد كان اختياره لألفاظه دليلاً على قدرته في إظهار عاطفته الملتهبة، ومشاعره المحترقة، حيث اختار من الألفاظ ما يشي بذلك، فجاءت في موضعها، وأدت المعنى خير أداء، وجسدت الحالة التي أراد بعثها وإخراجها، فأدركنا مدى تعلقه بوطنه، وهيامه به، وختم القصيدة بالدعاء لهذا الوطن بالخير، والأمن والسلام:

حَـمـاهُ ربِـي وأولاهُ عِـنـايـتَـهُ
وزَادهُ من عَطايا الخَيرِ والمِنن
بدايةُ الحُبِ كانت منهُ صادقةً
وسوف أحمِلُها لو ضَمنِي كَفني[٧]

وفي قصيدة «لبيك يا وطني» يُركز الشاعر على الفخر بوطنه، ويُبدي استعداده للتضحية بأي شيء في سبيله، وهي قصيدة غنائية افتتحها الشاعر بالدعاء لوطنه الإمارات العربية المتحدة بالحماية، والأمن، وللشاعر مجموعة من القصائد المُهمة التي تُبرز البعد الأخلاقي، والفلسفي، والحكمي في شعره، فشعره يزخر بالكثير من الحكم، والرؤى الأخلاقية الرفيعة والمتميزة، ويحوي الكثير من الأفكار العميقة التي تُسلط الضوء على تحولات الزمن، وتُجلي الواقع، يقول الشاعر في قصيدته الموسومة بـ«إلى العقل» مُتحدثاً عن أصحاب العقول الذين يشقون، ولا يجدون من يقدرهم، ويهتم بهم:

أيُـهـا الـعقلُ فـي ذِمَـام الليالِي
نم هنيئاً إنـي عن الفِكرِ سَالِي

أيـهـا الـعقلُ لـو تـكون جـهولاً
كـنـتَ تلقى سَـعـادة الـجُـهـالِ
قتلتنِي صُـرُوف دهـرِيَ صَبراً
إن لـلـدَّهـرِ فَـتـكـةً بـالـرجـالِ
كم يُعادي الأحرار من غير جرم
ويـكـيـل الـنَـكـال لـلأبـطـالِ

أصبح المالُ سيداً بل مليكاً
أستعيذ الرحمن من ذا المقالِ[٨]

يظهر من خلال هذه الأبيات تململ الشاعر سيف المري من عدم تقدير أهل العلم، ويبدو شجنه من تحولات الزمن، وصروف الدهر، ويأسى على عدم تقدير أهل العلم، بعد أن أضحى المال أهم شيء في هذا الوجود، وقد عمد إلى إبراز المفارقة، والتناقض العجيب المتفشي، واستدعى التراث، كما استحضر ماضي العرب المجيد، وجهودهم، وإسهاماتهم في شتى الميادين العلمية:

نحن، من نحن، اسألوا الدهر عنَّا
وعن العُرْب في العُصُورِ الخَوالِي
كم بنى قبلنا الرجَال وشادُوا
من صُرُوحٍ وحطمُوا من عَوالي
وشَّحوا الشمس بالفخَار ونَالُوا
سُؤدد المجدِ بابتدارِ النوالِ
تَرْجموا زُبدة الحضَارات لمّا
فتحُوا الأرضُ وارتقوا للمعَالِي
إن بدواً من الجَزيرة جاؤوا
صنعُوا المجد دون مُلكٍ ومالِ[٩]

كما عكست هذه القصيدة البعد الإنساني، والأخلاقي في شعر سيف المري الذي يُشدد من خلالها على ضرورة التضامن، والوحدة، والاتحاد، والعودة إلى ذلك العهد المُشرق، فقصيدته فيها الكثير من المجد السامق، والعنفوان الساري في دم العروبة، فبعد أن تألم، وتأسف على تحولات الزمن، أخذ يفخر بمجد العرب، وشرفهم، وشجاعتهم، وتبرز شكوى الشاعر من الدهر، وأشجانه، حتى إننا نحس بأنه يعيش غربة بسبب تراجع الأمة العربية، وهذا ما جعله يستعيد الماضي المجيد بغرض التخفيف من آلامه، وحتى يُعوض بعض الفراغ، والشجن الذي يُلفيه في الواقع المرير، وهذا ما دفعه إلى أن ينبش في الماضي التليد، ويسعى حتى يستعيد أمجاد ذلك الزمن المشرق، ومآثره الحضارية، وقد اقترن في هذه القصيدة الفكر مع الأحاسيس، فأدت القصيدة رسالتها من الجانب الفلسفي الفكري، ومن الجانب الجمالي الفني، وأثرت في المتلقي، حتى تجعله يعقد مقارنة بين الماضي المنصرم، والحاضر المعاش.

في قصيدة «قولة حق» مزج الشاعر بين عدة أغراض مُمازجة بديعة، فجمع بين الحكمة، والزهد، والفخر. ويُخيل لمن يقرأ هذه القصيدة دون أن يعرف الشاعر بأن صاحبها قد بلغ من العمر عِتيًّا، ولكن سيف المري كتبها، وهو في مقتبل العمر، يقول:

ومن ليس يخشى الموتَ إن هُو زارَهُ
هو الموتُ حقٌّ لا يُباعُ ولا يُشرى
وما كان حُبي الدار حُباً لذاتِها
ولكن لأحباب بها سكنُوا دهراً
وأعشقُ ناراً بالحمى لو توقدت
صببتُ عليها من مدامعي القطرا
فما مُهجتي تخشى الممات وإنما
أراهُ قليلاً في أن أسكُن القبرا
إذا المرء يوماً ذل للناس وجهه
سيوطأ بالنعل الذي وطئ القذرا
ويصغرُ في عين الرجالِ مقامُهُ
ويذلُّ حتى لا يظُنُّوا به خيرا
فلا ذلَّ إلا للذي سَمك السما
هو اللهُ تندكُّ الجبالُ لهُ ذُعراً

مـقامُ الفتـى فـي قومِـهِ بفَعَالِـهِ
ومجدُ الفتى فيما يُخلِّفُه ذكراً[١٠]

ولـم تـخل قصيدة الشـاعر من أبـعـاد دينية، وأخلاقية، فقد حوت أفكاراً ورؤى تكشف عن واقع الإسـلام والمسلمين، وتجلت من خلالها مأساته، فهو يدعو إلـى ذرف العبرات على الحال التي

وصلنا إليها، ويبلغ شجنه الذروة عندما يرصد حال ديننا الإسلامي في هذا الزمن:

فقد هُجرت دُورُ الصلاةِ كأنها
خرابٌ وأضحى الفسقُ ملتنا الأُخرى
وقُمنا إلى دُورِ المُجُون نزُورُها
وأصبح شُربُ الخمرِ في أرضِنا جَهراً
أمـا مُقلـة تبكـي لـديـنِ مـُحمدٍ
أما مُهجةٌ تأبى الضَلالة والشرا[١١]

إن الشاعر يكشف عن رؤيته لواقع المسلمين، ويـرثـي بـحـزن عميق حـال الإسـلام، حيث بدت نفسه مكلومة، وملتهبة شجناً على حال المسلمين، فيوجه رسالة إلى المتلقي مفادها النصح، والتوجيه من خلال تصوير الواقع، ويوجهنا من خلال هذه القصيدة المُعبرة عن رؤيته الإسلامية إلى ضرورة العودة السليمة إلى ديننا الإسلامي الحنيف، ويقول: إن سبب تراجعنا، وتفرقنا، وشتاتنا هو ابتعادنا عن تعاليمه، وقيمه السمحة، واستبدال المعاصي والآثام بها، ونسجل من خلال هذه الأبيات أن سيف المري من الشعراء الذين نلمس في شعرهم حرارة التجربة الشعرية، ونحسّ بفعل الخطاب الشعري في بناء المعنى، وتوجيه المتلقي، وهذه القصيدة دلالة على صدق عاطفته، وعمق رؤيته الإسلامية، فهو يُلقي الضوء على واقع الأمـة بكل سلبياته، ومساوئه، وآلامـه، فيبدو خطاب الجماعة، والتعميم في هذه الأبـيـات، وحـرص الشـاعر علـى تصوير الواقع المرير، وفي ختام القصيدة يبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى الحق، والخير، والرشاد، فهو أملنا ومنه الرجاء الذي لا ينقطع في أن يُفيض على قُلُوبنا ومضات من نوره لتهدينا سواء الصراط، وتُجنبنا ظُلمات الحياة، وتُحقق لنا النجاة في هذه الدنيا المملوءة بالشرور، والآثام، ويُصلي على سيدنا محمدﷺ، وعلى أصحابه الغر الميامين الكرام:

إلـهي اهدنا يا من لـه الأمـر كله
وسدد خطانا إنها في الدجى حيرى
وَصَـلِّ إلـهي كلما أسـدل الدجى
جلابيبه أو ما شدا طائر فَجْرا

على المصطفى المبعوث للناس رحمة
وأصحابه من شابهوا الأنجم الزهرا (١٢)

وفي بعض قصائده يتبنى الشاعر الغايات التربوية، والاجتماعية، التي تسعى إلى رسم الطريق الصائب للشباب، وتحثهم على السعي، والاجتهاد، والعمل، فشعره لا يخلو من الأبعاد التربوية، والتوجيهية، فهو يملك رؤى تربوية، وأخلاقية راقية تحث الشباب على بناء جيل مؤمن يعرف دينه، ويعرف مهمته في الحياة فيؤديها خير أداء، ويمرر من خلال قصائده جملة من النصائح، والتوجيهات البالغة الأهمية، ومن ذلك ما جاء في قصيدة «شرف العمل» التي تضمنت حكماً راقية، ونصائح ثرة:

جيل الشَّباب الصاعدين تأملوا
الله قال بآيه وقل اعملوا
والمصطفى الهادي محمدُ حثّنا
وبذاك رسلُ الله قبلاً أُرسِلُوا
نُجزى على أعمالنا وبسعينا
كان التفاضلُ بين من هم فُضِّلوا
من يحملُون على ظُهُورِهم الحصى
خيرٌ من المُتقاعِسين تسولُوا
من يزرعُون سيحصدُون ثمار ما
زرعُوا وخاب الخاسِرُون تكاسَلُوا
انظُر لمملكةِ النّمالِ وجُهدِها
دأبتْ على صغرٍ تجدُّ وتبذلُ (١٣)

ويظهر توظيف الشاعر للتراث الإسلامي في قصيدة «شهر الهدى والنصر»، التي كثف فيها من استدعاء التاريخ، واستحضر الأحداث التاريخية بدقة، كما سرد حياة الرسول محمد ﷺ، وقد وظف الشاعر تقنية الحكي، والسرد التي استعارها من المحكي الروائي، والقصصي، فعندما نقرأ هذه القصيدة فكأننا أمام نص شعري تحول إلى قصة تاريخية شعرية تداخل فيها الإيقاع مع السرد، والقصة مع الصورة، حتى كأننا نشاهد الأحداث أمامنا، يقول متحدثاً عن رسولنا الكريم محمدﷺ:

حتى أتاهُ الوحيُ في الغارِ الذي
شَهد انبلاجَ النُّور من أنحائِهِ
جبريل واقرأ والنبيُّ يضُمُّهم
رمضان ذو الرحمات ملء نقائِهِ
نوران والقرآنُ نورٌ ثالثٌ
في الغار يا للغارِ من أضوائِهِ!
ويعودُ خيرُ الناس يشرحُ أمرَهُ
لخديجة والخَوفُ في أعضائِهِ
فمضت به نحو ابن نوفل علَّه
يُنبيهِ عمّا جاء من أنبائِهِ
فإذا البشارةُ بالنُّبُوة زفَّها
لهم ابنُ نوفل صادقاً بندائِهِ(١٤)

لقد أفاد شاعرنا من التراث في إغناء شاعريته سواء على المستوى الفني، أو المستوى الفكري، والدارس لشعره يُلاحظ أنه قد تأثر بمصادر تراثية عديدة، دينية، وأدبية، وتاريخية، كان لها الأثر الكبير في تعميق تجربته الشعورية، وإرهاف أدواته التعبيرية، يقول في قصيدة «يوم العُلا» من ديوانه الثاني «العناقيد»:

أبصرتُ والشوقُ يطويني وينشُرُني
كتائبَ الفَتْحِ يَحذو عِزَّها العرَبُ
يا مَنْ رأى أُمةً سَمْحاءَ غايتُها
نَشْر الهداية ما جاروا وما نَهَبُوا
كانوا هُداةً دُعَاةً مُرْشِدينَ إلى
مَنَاهِلِ النورِ حيثُ الرَّيّقُ الخصِبُ

قفْ بي على رَبْعِ قومي كي أُسائِلَهُ
مازال لي فيه مُذ بانَ الصّبا أربُ
فَيَا طُلولاً على التاريخِ شاهدةً
هلا تَحرَّك فيكِ الصَّخْرُ والخَشَبُ
فإنّ لي بينَ أطباقِ الثّرى عوضاً
عَمّنْ أُهينوا فلا ثاروا ولا غَضِبُوا
أَكَادُ أُبصرُ فيكَ القومَ تَحمِلُهم
سوابقُ الخيلِ نحوَ الفتحِ قدركبُوا(١٥)

ولعل استمدادَه من الموروث الديني، والشعري العربي التليد في العصرين الجاهلي، والأموي، إذ نلاحظ تناصه في الكثير من قصائده مع شعراء من العصرين المذكورين بوجه خاص، واستخدامه له؛ أظهرُ صور تعامله مع التراث، فتتجلى طبيعة ارتباط الشاعر بماضيه، ويبرُز مدى تفاعله معه، وقدرته على توظيفه، وتطويره، والإضافة إليه، وتبدى استغلال الشاعر لهذا التراث في جُملة من قصائده، وقد دعم الموروث الشعري، والإسلامي الشاعر سيف المري في تجربته الشعرية والفنية الراقية، ووفر له عدداً غير قليل من الوسائل الفنية الغنية بالطاقات الإيحائية، وكان أكبر عون له على الإبانة عن مواقفه، وعواطفه في توظيفه للكثير من الألفاظ التراثية، وكذلك في استدعائه لعدد من الشخصيات الدينية كشخصيات الأنبياء، ومزجه بينها، وبين أحداث وقعت، مثل قوله في قصيدة «النخلة»:

هي نِعْمةُ الرحمن فينا لم تَزَلْ
قالتْ بهذا الشّرعَةُ السَّمحاءُ
أَعلِمْتَ عن خَبرِ المسيحِ وأُمّهِ
لمّا أَتَاها المولدُ الوَضّاءُ؟
وتساقَطَ الرُّطَبُ المُباركُ عندما
هَزَّتْ بِجِذْعِ النخلةِ العَذْراءُ
نِعْمَ العَطيَّةُ من إلهٍ واهبٍ
عَظُمَتْ لهُ الآلاءُ والنَّعْمَاءُ(١٦)

من خلال هذا المقطع يستدعي الشاعر سيف المري قصة مريم العذراء، وعيسى عليه السلام عندما ذهبت إلى النخلة، ويُذكرنا بقوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾(١٧).

ويقول في قصيدة «شهر الهدى والنصر» مُستحضراً شخصية رسولنا الكريم محمدﷺ:

خير الأُلى والمصطفى والمُجتبى
يكفيه من مولاه حُسن ثنائِهِ
من مثل أحمدَ في عظيمِ صفاتِهِ
في خُلْقِهِ أو جُودِهِ وسخائِهِ
في صَدقِهِ في رِفقِهِ في عدلِهِ
بين الورى في حِلمِهِ وحيائِهِ

قد كان نُوراً في جبين جدوده
في السادة الأطهارِ من آبائِهِ
وأتى اسمُهُ في الكتب تترى آيُها
عن وصفِ شيمته وعن أسمائِهِ
حملتهُ آمنةٌ المطهرُ حملُها
وتشرفتْ بجلالِهِ وبهائِهِ
حملتْ فما وجدتْ لهُ ألماً ولا
نصباً ولا كرباً لحين لقائِهِ[١٨]

وفي جملة من قصائد الشاعر نُلفي إحالات إلى مصادر تراثية، ولاسيما قصائده ذات البعد الديني، والفلسفي الحكمي، وهذه الإحالة تظهر على مستوى الدلالة، والرؤية، ومثال ذلك قوله:

من شيّد السبع الطباق بأمرِهِ
وأقام فيها حُكمه المفعُولا
فارجع بها البصر الذي أُوتيته
لك ينقلبْ متحسراً مخذولا
وانظر بدائع خلقه في الأرض كم
آي أقام بها عليه دليلا[١٩]

فالشاعر سيف المري يتشرب غير قليل من مفردات القرآن الكريم، وهذا ما يظهر في تراكيبه، وأساليبه البيانية، وفي الأبيات السالفة، يبدو مُتأثراً بقوله تعالى في سورة المُلك: ﴿فَارجِعِ البَصَرَ هل ترى من فُطُور * ثم ارجِعِ البَصَر كَرَتَينِ يَنقَلِب إلَيكَ البَصَرُ خَاسِئاً وهو حسيرٌ﴾ [٢٠].

وللقرآن الكريم دور بارز في تشكيل مُنطلقاته الأساسية، وفي تفسير الأشياء من حوله، ورؤيته للقضايا والأحداث «ومن ناحية أخرى، فإن علاقة الشاعر المتينة بالقرآن الكريم تندرج ضمن رؤية فكرية تتصل بمفهومه للتجديد، وأنه ينبغي أن ينشأ نشأة طبيعية من داخل الثقافة العربية الإسلامية، وذلك باستيعاب تراثها ومحاولة فهمه، وسبر أغواره، وربطه بالحياة المعاصرة، وعليه فإن العودة إلى القرآن والحديث النبوي الشريف تمثل العودة إلى المنابع الأولى التي انشقت عنها هذه الثقافة، وتشكل تراثنا في إطارها، إضافة إلى أنهما ينضمان إلى أعظم طاقة روحية، وفكرية، وفنية، يمكن أن يستغلها الشاعر لتحقيق التواصل المنشود بين الشعر والجمهور»[٢١].

وتتضح للقارئ مقدرة الشاعر على الاقتباس، والتوظيف فنياً، ولاسيما عندما يكون بصدد مُعالجة قضية دينية، أو أخلاقية، أو بصدد مدح خير الأنام ﷺ، يقول الشاعر سيف المري في قصيدة «في محراب التفكر»:

خلق الملائك عابدين له فلا
يعصُونهُ أو يفترُون قليلا

من راكِعِين وساجِدين لوجهِهِ
مُتبتلين مُسبحين طويلا
وقضى لآدم أن يكُون، وصَاغهُ
بشراً وفضّل نسله تفضيلاً
وهدى ونزَّل آيه صدقاً وما
أحد من الرحمن أصدقُ قِيلا
في أنه رب الخلائِقِ وحده
فعليه كُن مُتوكلاً توكِيلا
مَنْ آيُهُ كان الزبورَ مُباركاً
والصُّحْفَ والتوراةَ والإنجيلا
ثم الكتابَ الناسخَ النورَ الذي
آتاه أحمد حين جاء رسولا
يهدي به أهل الرشاد إلى الهُدى
فهو النجاةُ لمن أراد سبيلا[٢٢]

وقد جاء تعامُل الشاعر مع التراث، كما يمكن أن يُلاحظ ذلك دارس شعره من خلال عدة مستويات، من بينها مُستوى الاقتباس المجرد، حيث يقوم الشاعر باقتباس بعض المفردات، والألفاظ من الموروث الإسلامي، ولاسيما القرآن الكريم، ولكن دون أن يعمد إلى توظيف هذه المقتبسات فنياً، حيث يأتي استعمالها في حيز دلالاتها، وإيحاءاتها ذاتها، وغرضه من ذلك هو جعل النص الشعري أكثر ثراء، ومد المعنى، واستكمال أبعاد الصورة، وفي بعض الأحيان يكون استحضاره للتراث بهدف التذكير بمضمون ذلك الأثر، أو الحكمة، أو الحدث التاريخي، وكذلك ليكون حياً في النفوس، ومُطبقاً في واقع الحياة، وأحياناً يهدف الشاعر من خلال توظيفه للتراث إلى تسليط الضوء على قضايا معاصرة، بغرض ضمان التواصل بين القديم، والجديد ■

الهوامش:

(١) ولد الشاعر سيف المري بإمارة دبي، وأكمل تعليمه الجامعي سنة (١٩٨٤م)، تخصص علم النفس، وانتقل إلى العمل في الصحافة ابتداءً من سنة (١٩٨٥م)، وانتسب إلى عدد من دورات إدارة المؤسسات الإعلامية في جامعة سيركيوز بالولايات المتحدة الأمريكية، كما شارك في العديد من الأمسيات، والندوات الشعرية داخل الإمارات وخارجها، ومثّل بلاده في كثير من المناسبات الشعرية والثقافية، وأسهم في تأسيس ندوة الثقافة والعلوم بدبي، إضافة إلى عضويته في مجموعة من المؤسسات الثقافية، والمجلات الإماراتية، وقد عمل مديراً لتحرير صحيفة «البيان»، وتولى منصب مدير عام مؤسسة «دار الصدى للصحافة».

(٢) سيف المري، الديوان الأول، الأغاريد، ط١، ٢٠٠١م، ص١٠٩.

(٣) ديوان الأغاريد، ص١١٣.

(٤) نفسه، ص١١٥.

(٥) نفسه، ص١١٤.

(٦) نفسه، ص١٢٧.

(٧) نفسه، ص١٢٠.

(٨) نفسه، ص١٣١.

(٩) نفسه، ص١٣٢.

(١٠) نفسه، ص١٤٢.

(١١) نفسه، ص١٤٤.

(١٢) نفسه، ص١٤٥.

(١٣) نفسه، ص١٥٣.

(١٤) نفسه، ص١٦٧.

(١٥) سيف المري، الديوان الثاني، العناقيد، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٥٣.

(١٦) سيف المري: العناقيد، ص٤٨.

(١٧) سورة مريم، الآية٢٥.

(١٨) سيف المري، الأغاريد، ص١٦٥.

(١٩) نفسه، ص١٥٩.

(٢٠) سورة المُلك، الآية٣-٤.

(٢١) إبراهيم الكوفحي، توظيف الموروث الديني في شعر حيدر محمود، مجلة دراسات، مجلة علميّة محكّمة تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية، المجلد٢٨، عدد١، شباط ٢٠٠١م، ذو القعدة١٤٢١هـ، ص٢٠٩.

(٢٢) سيف المري، الأغاريد، ص١٦٥.

روحي فداء محمد

د. وليد القصّاب

ما قُصَّ من جُنحِ لطائرْ ... أو قُلِّعتْ منه الأظافرْ
إلّا غدا طُعمَ الوحو ... شِ من الأكابرِ والأصاغرْ
استنسرتْ فينا البُغا ... ثُ وقد تغيبتِ الكواسرْ
وأتى كما الطاووس غُو ... رو ساحبًا ذيل المُفاخِرْ:
عُدْنا صلاحُ وأنتُمُ ... في نومِ أصحاب المقابرْ
وتجرأتْ جندُ المغو ... لِ وقد غفتْ فينا البواترْ
شُغلت نواطيرُ الحمى ... فأباحه لصٌّ وغادرْ
وتَصفَّدت فينا الأسو ... دُ فلم يعُد إلا الأباعرْ

* * *

هذا دعيٌّ من بلاد ... الكفرِ مخمورٌ مُقامرْ
هذا عَمٍ في تيهِ حقدٍ ... أسود القسمات سادِرْ
من نسلِ صهيونِ أبا ... لسة الغواية منذ غابرْ
ضحكوا عليه فما يرى ... وجهَ الحقيقة وهو سافرْ
وشَراه تجارُ الضلال ... فما يَميزُ ولا يحاورْ
يرمي الرسولَ محمداً ... شاهتْ وجوهُ ذوي الصغائرْ(*)

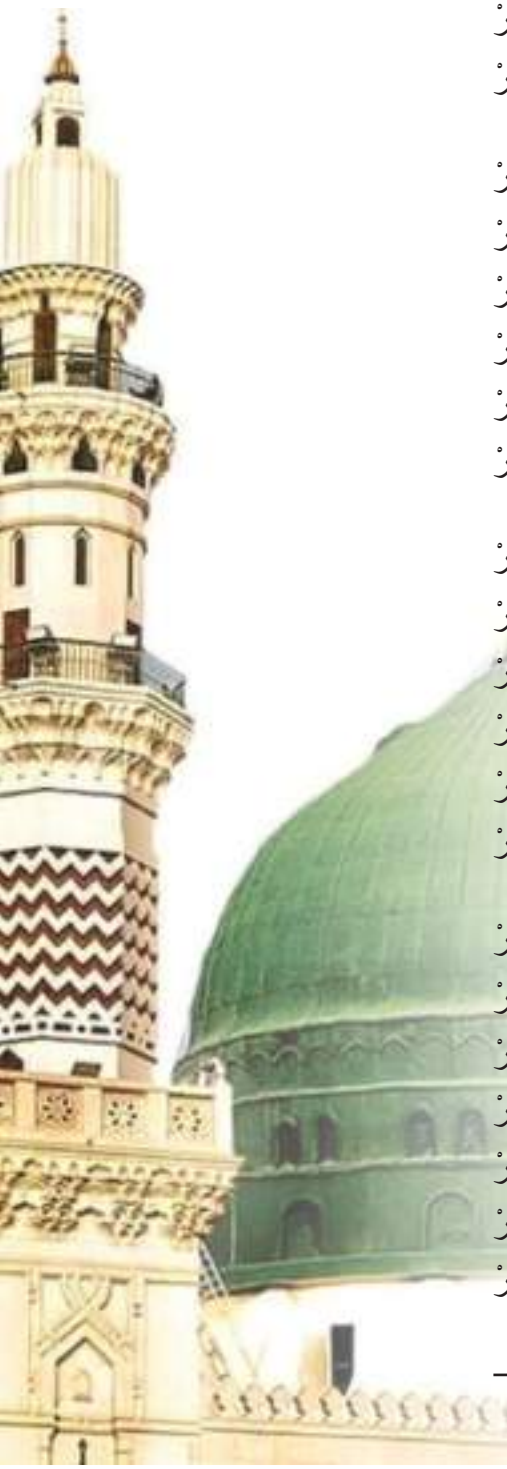

حسِبوا ضياء الشمسِ تحجبُه عن العينِ السواترْ
حسبوا جلالـــة أحمدٍ لا تستبينُ لكلِّ ناظرْ

* * *

الغربُ عن وجهٍ قبيحٍ أسودِ القسمات حاسرْ
الغربُ يرتع في الضّلا لةِ أعرجَ الخطواتِ عاثرْ
فقَدَ الرشادَ وساسه موتى القلوبِ بلا مشاعرْ
مَصُّوا دماءَ المتعبين ولم يكنْ للظلم زاجرْ
كم من حقودٍ فيهمُ كم ظالمٍ منهم وغادرْ
سفِهوا على خير الورى سَفِهَ الجناةُ ذوو الجرائرْ

* * *

يا رحمةً ملأت فؤا دَ العالمين بكلّ طاهرْ
يا واحةً مزروعةً حيث اتجهتَ لكلِّ حائرْ
يا أشرفَ الخلق الذين بنورهم كُشفتْ بصائرْ
وتكحّلت عينُ الدُّنا فإذا الهدى للكون غامرْ
منْ كان يجهلُ ما رسا لةُ أحمدٍ غِرٌّ مكابرْ
ماعاب أهلَ الفضل إلّا التّافهون ذوو الصّغائرْ

* * *

الغربُ يعلم أن نور محمد في الكون سائرْ
وهو الذي تهفو إليه نفوسُ أصحابِ الضمائرْ
لكنّ تجارَ الضغائن والعَمايةِ والمجازرْ
وقفوا لكيما يطفئوا شمس النهار على المعابرْ
لكنَّ نور محمدٍ آتٍ، وإنَّ اللهَ قادرْ
من كان لم يَنْهَدْ لنصر ةِ أحمدٍ فاللهُ ناصرْ
من لم يَجُدْ با لروح يفد.. ي أحمداً واللهِ خاسرْ

* * *

(*) حول ما نشرته بعض الصحف الغربية من رسوم تسيء إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم, وما قاله الخائب ماكرون. الرّياض: ٢٠٢٠/١٠/٢٦م.

محمود حسين مفلح: ولد عام (١٩٤٣م) في بلدة سمخ على ضفاف بلدة طبرية. في عام (١٩٤٨م) هاجر مع أسرته إلى سورية، واستقر في مدينة درعا. درس المراحل التعليمية الأولى في مدارس مدينة درعا. ونال شهادة أهلية التعليم الابتدائي في مدينة السويداء. درس اللغة العربية في جامعة دمشق، ونال إجازتها عام (١٩٦٧م) عمل في التعليم الابتدائي في مدينة درعا. وبعد حصوله على الشهادة الجامعية عمل في التعليم الثانوي في مدينة القامشلي ثم في مدينة درعا. أعير للتدريس في المملكة المغربية عام (١٩٧٦م)، ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية وعمل في مجال التربية والتعليم، ثم عمل موجهاً تربوياً لمادة اللغة العربية، عضو اتحاد الكتاب العرب بدمشق، وعضو اتحاد الكتاب الفلسطينيين، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، اختار القاهرة سكنا له بعد الأزمة السورية وأضحى ناشطا على مواقع التواصل الاجتماعي.

الشاعر محمود مفلح لـ (الأدب الإسلامي):

ليس المهم الشكل الشعري.. المهم أن يكتب الإنسان شعراً حقيقياً

■■ ما هي أعمال الأديب الشاعر محمود مفلح؟

■ من أعمالي: «مذكرات شهيد فلسطيني»، ديوان شعر، ١٩٧٦م، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، سورية. «المرفأ»، مجموعة قصصية، ١٩٧٧م، دار المعرفة بدمشق، سورية، «القارب»، مجموعة قصصية، ١٩٧٩م، مؤسسة الرسالة في بيروت، لبنان،

حوار: خليل الصمادي – فلسطين

«المرايا»، ديوان شعر، ١٩٧٩م، مؤسسة الرسالة في بيروت، لبنان. «الراية»، ديوان شعر، ١٩٨٣م، دار عمار في عمان، الأردن، «حكاية الشال الفلسطيني»، ديوان شعر، ١٩٨٤م، دار العلوم في الرياض، السعودية. «إنهم لا يطرقون الأبواب»، مجموعة قصصية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م،

مكتبة الأديب في الرياض، السعودية. «شموخاً أيتها المآذن»، ديوان شعر، ١٩٨٧م، دار الفرقان في عمان، الأردن، «فضاء الكلمات»، ديوان شعر، ١٩٨٧م، دار الأمان في الرباط، المغرب، «نقوش على الحجر الفلسطيني»، ديوان شعر، ١٩٩١م، دار الوفاء في المنصورة، مصر. «غرد يا شبل الإسلام»، أناشيد للأطفال، ١٩٩١م، دار البشير، عمان، الأردن، «لا تهدموا البرج الأكبر» القاهرة ٢٠١٦م وغيرها من الدواوين.

■■ هلا حدثتنا عن بدايتك الشعرية؟

■ كتبت الشعر في العشرين ودون العشرين عاما أقول: إن جرثومة الشعر كانت تسري في دماء الأسرة ؛ فأخي أحمد شاعر وله ثمانية دواوين مطبوعة، ووالدي شاعر شعبي، وكذا جدي كان شاعرا شعبيا بامتياز. ساهم شعر أبي وجدي في حب الأرض والجهاد والتمرد على المحتل.

■■ ما ألوان الشعر الفنية والفكرية التي يتناولها الشاعر محمود مفلح؟ وكيف تطور البناء الفني عند محمود مفلح؟

■ تطور شعري منذ البدايات وحتى الآن وكتبت كل ألوان الشعر تقريبا، الشعر العمودي، وشعر التفعيلة، وحتى القصيدة النثرية.

تطور البناء الفني عندي كثيرا، أصبحت أهتم كثيرا بالصورة الشعرية المدهشة أكثر من اهتمامي بالفكرة، وأقول: إن

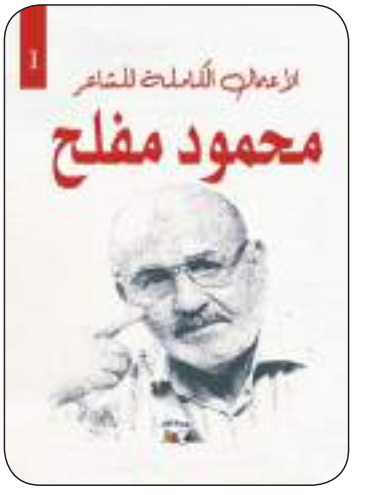

القضية المقدسة لا تشفع للشاعر أن يكون شعره ضعيفا، كثيرٌ من الشعراء الإسلاميين – وللأسف – يركبون موجة القضية الإسلامية، وأما شعرهم فضعيف ركيك، إن هذا الشيء في نظري يسيء إلى القضية المقدسة التي نحترمها جميعا.

أنا أُغلِّب في شعري الفن، إنني أذوِّبُ الموضوع في الفن وبهذا دائما أبحث عن الجديد فيما أكتب، أبحث عن البناء الجديد، وعن التراكيب، عن الصورة الشعرية غير المطروحة، أحاول أن أكون لنفسي بصمة شعرية في هذا الزحام الشعري، ما أكثر الشعر! وما أقل الشعراء حقيقة!.

■■ ما رأيك بالشعر الحر؟

■ أقول: ليس المهم الشكل الشعري، المهم أن يكتب الإنسان شعرا حقيقيا، وقد يتوفر في القصيدة الخليلية العمودية أو قصيدة التفعيلة وغيرها، أو في القصيدة النثرية التي يرفضها كثير من نقاد الأدب الإسلامي، وأنا أقرأ ما يكتبه الحداثيون، أقبل بعضه وأرفض بعضه، أجد أن بعضه ينطلق من مقومات الشعر الحقيقية، وهو شعر جميل بالرغم من أنه جاء بشكل آخر، وغاب

عنه الاتباع المألوف الذي نعرفه، ولكن الموسيقى لم تغبْ عنه، الموسيقى الداخلية التي يعرفها كل من يكتب الشعر بكل أنواعه.

■■ هل للشاعر محمود نشاطات أدبية غير الشعر؟

■ نعم كتبت القصة القصيرة، لي في القصة القصيرة ثلاثة كتب هي «المرفأ»، و«القارب»، و«إنهم لا يطرقون الأبواب»، ولي في النقد كتاب حول الشعر السعودي اسمه نظرات في الشعر السعودي المعاصر ولم يطبع مازال مخطوطًا ولكن الغالب على أعمالي هو الشعر.

وللأسف لم أتابع كتابتي في القصة القصيرة لأسباب أجهلها، ربما اختطفني الشعر من عالم القصة القصيرة، رغم أنني أحن كثيرا لهذا الفن، وأتمنى أن تتاح لي الفرصة لأكتب فيها من جديد.

■■ هل كتب محمود مفلح للأطفال؟

■ نعم كتبت للأطفال مجموعتين شعريتين «غرد يا شبل الإيمان» وهو أول ديوان للأطفال تطبعه رابطة الأدب الإسلامي، وقد لقي رواجاً كبيراً، وأنشدت كثير من قصائده في المحطات الإعلامية و«هيا ننشد، هيا نلعب» صدرتا في الشارقة وهما رائجتان.

وأحب أن أضيف أن كثيرا من قصائدي ولا سيما قصائد الأطفال دخلت في المناهج الدراسية في كثير من البلدان العربية في الإمارات، والسعودية، وفلسطين، والجزائر، وأخيرا في مصر اختاروا للصف الرابع الابتدائي نشيدا في المقررات الدراسية وما زلت أكتب

للأطفال وأتمنى أن يمد الله في عمري أكثر لأكتب لأطفالنا المزيد من القصائد والأشعار.

■■ ما نصيب القضية الفلسطينية في شعرك؟

إن القضية الفلسطينية تستحوذ على معظم ما كتبت وأقول دون تكلف: بأنني أسبح في ماء القضية الفلسطينية دون أن أنسى القضايا العربية والإسلامية الأخرى، وقد يعاب علي من قبل بعض النقاد أنني لا أتغنى إلا عكس القضايا المحاطة بأمتنا، أشعر بما يحاك ضدنا، وما يرسم لنا، وأعبر عن مشاعر الأمة من المحيط إلى الخليج، ومن الصين إلى الفلبين.

■■ وهل كتب شاعرنا في الحب والغزل؟

■ لم أكتب كثيرا في القضايا العاطفية والغزل والحب رغم أن لي بعض القصائد بذلك، أما معظم أغراضي الشعرية والنثرية فهي حول القضايا الإنسانية والوطنية، وعلى رأسها قضية فلسطين، ولو استعرضتم أسماء دواويني فأول ديوان لي «مذكرات شهيد فلسطيني»، ولي ديوان «حكاية الشال الفلسطيني»، ولي ديوان طبع بمصر عام (١٩٨٩م)

بعنوانه: «نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني» ولي ديوان طبع بالمغرب أيضا عن فلسطين اسمه «سنابل الشهادة» أغلب عناويني تتمحور حول فلسطين.

■■ نرى لك حضوراً لافتا في أغلب الندوات والأمسيات الشعرية في محطتك الحالية بالقاهرة ما سبب ذلك؟

■ طبعا محطتي الآن في القاهرة التي وصلتها بعد الأزمة السورية وحيث إنني بلغت من العمر عتيا وحيث لا مقدرة على العمل والتدريس تفرغت للأنشطة الثقافية والأدبية وصار لي في القاهرة عدد من الأصدقاء والأحباب وأغلبهم من الشعراء وممن يتذوقون الكلمة، وصرت ضيفا على كثير من الأمسيات الشعرية والمهرجانات الأدبية، وصرت أحرص على الحضور ولا سيما أنشطة رابطة الأدب الإسلامي فرع القاهرة، وولعي بمصر يعود لعدة أسباب أهمها: أن مصرت كانت ومازالت أم الثقافة العربية، وكذا كان طبيعتها الخلابة ونهرها الجميل وآثارها المتعددة التي أعشقها، وكذلك منتدياتها الكثيرة والمتنوعة وقلما يمر يوم دون أمسية شعرية أو

د. حسام عقل

د. يسري عبد الغني

مناقشة فكرية في القاهرة وغيرها من المدن العديدة.

■■ ما صدى شعر محمود مفلح في العالم العربي؟

بفضل الله فزت بجوائز كثيرة في سورية والسعودية والكويت ومصر، وشعري يدرس في بعض الجامعات العربية وهناك أكثر من ثماني رسائل جامعية بين ماجستير ودكتوراه تناولت شعري وسيرتي. وأما دواويني الشعرية فقد طبعت عدة طبعات في عدد من العواصم العربية، وأهمها أعمالي الكاملة التي خرجت أخيراً في طبعتين، وفي مجلدين كبيرين في أكثر من ألف صفحة، طبعة في فلسطين، وطبعة في مصر.

وتجربتي الشعرية في مصر كانت من أغنى التجارب فبالإضافة لما ذكرته سابقا من ولعي بمصر هو اتصالي بالشعراء والأدباء المصريين فوجدت عندهم كل حفاوة وتكريم وتقدير بكل ما أكتب، ولقيت كل حفاوة وتكريم وتشجيع معنوي، وبفضل الله لقد نوقش شعري في أكثر من ندوة وأمسية من قبل كبار النقاد منهم د. حسام عقل، ود. يسري عبد الغني، ود. ياسر أنور، وغيرهم وغالب أيامي في كل أسبوع موزع ما بين محاضرة وأمسية وندوة حتى صار لي كثير من الأصدقاء المصريين أعتز بهم وأفخر بصحبتهم، وأنا على اتصال دائم بمكتب رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة. وقد انعقدت ندوتان لمناقشة بعض قصائدي، وفي هذه المناسبة أشكر مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية التي أتاحت لي فرصة اللقاء لعرض تجربتي الشعرية خلال أربعين عاما، وهذا معروف عنها وعن مكاتبها المنتشرة في كثير من أصقاع العالم الإسلامي■

مفكرة حمامة

هاجر الأحمد – تركيا

قلبت المفكرة الصغيرة، أستلقي على حافة السرير، تكاد عيناي تريان الأفكار تجلس حولي، تدور، تقفز، تركض، وتخرب كل الأشياء، لا تتركني في النوم ولا في الصحو.

وما النوم والصحو عندي إلا سواء، في منامي تنتشلني الأفكار من واحة الواقع، لترمي بي في واحة الرؤى والأحلام.

حركت ساعدي محاولة أن أجدد النشاط فيَّ، أو ربما كي أطرد ما يطير حولي من أفكار، استويت على السرير للحظة، وأنا أسأل نفسي:

لماذا قال: طوق الحمامة؟! وليس الحمام؟!

هكذا، ومنذ شهر تقريبا، تورط أفكاري بكتاب لفقيه أندلسي، لا نهاية لحياته، وعلمه وأدبه (طوق الحمامة) لابن حزم الأندلسي الظاهري. وقع اختياري على العنوان، من بين آلاف الكتب المطروحة على الموقع الإلكتروني. لا أدري ما الذي جذبني لطوق الحمامة؟! ربما لأني قرأت عنه مرة، أو ربما أنه من اختارني، من يدري!؟ كل ما أعرفه، أني تورطت مع ابن حزم، وقرأت الكتاب.

مفكرتي ذات الغلاف الأحمر، لم يبق فيها مكان حرف إضافي، ملأتها بالأسئلة والخواطر حول الكتاب. كثيرة هي الأشياء التي استوقفتني في قراءتي للكتاب، حتى صرت أنام وأصحو وأنا أردد أبياته الشعرية.

(لا بد أن أخرج، أريد أن أتنفس) هكذا شددت من همتي، في هذا الصباح المليء بالأسئلة، فخرجت إلى الحديقة القريبة من العمارة التي نستأجر فيها سكنا. عادة ما أشعر بالاختناق في هذه البلاد، لا أدري لماذا؟ ربما لأني نسيت قلبي، أو أن الحقائب لم تسعها. لم أقف قرب الحديقة، وراحت خطواتي تسير بعيدا.. إنه ابن حزم من جديد، لكأنه يسكن أفكاري، سوال آخر طرح نفسه علي وأنا أسير،

فتصارعت الآراء. وتكالبت الأفكار التي تريد أن تثبت حضورها على غيرها، فانتزعت بعضها من الصراع بالقوة التي تمتلكها نظيراتها الأخرى.

لم أجد نفسي إلا وأنا أمام واحة من الأزهار الملونة، بين الأحمر والأصفر والوردي، تماوجات الألوان وكثرتها أوقفت ما كان يدور في رأسي، وأعلنت الحياة داخله هدنة صغيرة لأتحرى أين وصلت؟! وما هذا الجمال أمامي؟

تلفت يمينا، وشمالا، وجدت مقعدا على مقربة مني، أخذت بعضي، وجلست عليه، تركت حقيبتي الصغيرة قربي، وراح بصري يسرح في جمال المنظر حولي: بماذا يذكرك هذا الورد؟! بالجمال الأندلسي، إنه جمال أندلسي لا محالة. هذه بعض أقحوانات الأندلس، تغربت لتكون هنا، في هذه الأرض.

التفت إلى يميني، كان محدثي رجلا يبدو في السبعين من عمره، يجلس على المقعد جواري، تفصلنا الحقيبة، والمفكرة داخلها محتشدة بالأفكار الأندلسية. له جلسة بهية, ذات وقار، ملابسه غريبة عن المألوف هنا، إذ يرتدي جبة بيضاء، وفوقها عباءة بلون بني فاتح، وعلى رأسه عمامة أضفت عليه الكثير من الهيبة.

تأملته بدهشة، وتعجب، نظر إلي، وأعاد نظره يحدق في الأزهار، تلعثم الصوت داخلي، كدت أنطق سائلة من أنت؟! وقبل أن تهمس شفتاي بحرف، قال وبصره يتأمل البعيد:

– أبو محمد، المعروف بابن حزم الظاهري، الأندلسي.

يا إلهي، إنه سؤالي، إنه من أبحث عنه. تأملته بعيون مفتوحة، كان يلبس في قدميه نعلا من طراز جميل، منقوش الحواف، بلون بني.. أطلت التحديق في ملامحه، وما يرتديه، ولم ينطق هو بحرف، أخيرا، تمالكت نفسي، وقلت بعد نفس طويل:

– هذه الأزهار أندلسية إذن!؟

• أجل، أندلسية، غرست هنا منذ زمن بعيد، فتعودت الاغتراب عن أرضها.

إنه يتحدث عن الاغتراب، وكأنه يعرف وجعي.. نظرت إليه، سألته:

– لا يسلب الاغتراب جمال الأزهار، أليس كذلك؟

• الغربة تصقلنا يا ابنتي.

– كيف تصقلنا؟!

• الغربة جوف خاوٍ إلا من الألم، وحفنات الأنين، لأن الألم يصقلنا، فالغربة تصقلنا. أنت بعيدة عن وطنك، ومع هذا، ملأت هذه المفكرة بالأفكار الجديدة.

وأشار بنظره إلى الحقيبة الصغيرة، التي تضم مفكرتي. ثم أشاح بنظره إلى البعيد مرة أخرى.

أخرجت المفكرة، سألته بتلهف:

– كيف تعلم أني لست من هنا؟! وأني أنزف اغترابا؟!

• إنه لأمر يسير، فالغرباء نزفهم واحد، أتعرفين كم مؤلمة في الغربة، وكم عانيتها في (شاطبة) بعيدا عن قرطبة الحبيبة، الأرض التي ولدت فيها. الغرباء نزفهم واحد.. ما أروعك!.

كنت منبهرة بلغته السلسة التي أفهمها بسهولة، وحديثه المبهر الذي يجرني إلى أسئلة مختلفة،

وأخبار لا تنتهي.. تحديقه في البعيد أثار فضولي، سألته:

– حسنا، كيف عرفت أن مفكرتي مليئة بالأفكار!؟

• إنه لأيسر من الأمر الأول.

– بما أن الأمور يسيرة عندك، ألك أن تجيب عن سؤالي، وأنت تنظر في المدى البعيد؟؟

• ما تسمينه المدى البعيد، هو أصل الرؤيا.

– أصل الرؤيا! كيف ذلك؟.

• إنه الحب.

– ماذا؟

• الجواب عن سؤالك.

– لكني لم أسألك بعد.

• منشغلة أنت بطوق الحمامة.

أليس كذلك!؟

– بلى. أريد أن أعرف: لم حمامة وليس حماماً!؟ قبلها لم تخبرني أي رؤيا.

• لأنه الحب، يوهب الحمامة منفردة.

– والرؤيا.....!

• لأنها رؤيا الكون.

– كيف ذلك؟! فهي البسيط يعتذر منك، هلا أفصحت.

لم يفصح، بل اكتفى بابتسامة شعرت أن الشمس التي مالت بعض أشعتها جهة جلوسنا أخذتها مع نظرائه إلى زاوية بعيدة من المدى الذي يتأمله. تلكأت أسئلني، إنه يعرف الكثير عني، أو ربما عن الأشياء التي تشغلني. وأيضا لا يكف تحديقه في المدى. فتحت مفكرتي، بعثرت كل الأفكار حولي، لأجد الخيط الذي أريد أن أبتدئ به. داهمني صوته الشجي، بنبرته الثابتة:

• أنت تبحثين عن أشياء كثيرة، في وقت واحد.

– ما الخطأ في ذلك؟

• جِدِي ضفة، ولتبحري منها.

– كل الضفاف لي، والوطن جريدة بلا حروف في يدي.

• الوطن نحن، هو حيث نكون.

– والغربة رياح توجه شراع قلبي حيث تشاء.

تنهد بعمق مع جملتي الأخيرة، قلت بعد لحظة صمت:

– أريد أن أسألك، لكني أخاف غضبك.

ابن حزم الأندلسي

ابتسم مع نهاية جملتي، وأومأ برأسه أن أحكي، أخذت نفسا، سألته:

– أريد ملامح الحب الأول في كتابك، لم تبح بها، لماذا؟

بقيت صامتة أنتظر منه إيماءة أخرى، لأكمل، أكملت:

– أوليس الحب الأول يولد بحب الله؟! نحن نولد على الفطرة، أي على محبة الله تعالى، ومنها أبدأ بحب أمي وأبي، وإلا ما أدراني أنا ما الحب؟! هو حب الله أودعه داخلي، ثم حب إخوتي، ثم أصدقائي، ثم معارفي، وهكذا. وصولا إلى حب يسرقني كما تصفه في الطوق، وهو حب الشريك. لكن، كله حب مستمد من الحب الفطري الأول، حب الله.

• هل هذا ما دونته في مفكرتك!؟

– أجل.. ما رأيك؟!

• طوق الحمامة ولد على يدي، من أجل قلبي.

– أولم يكن من أجل الصاحب الذي طلبه منك؟!

• من يصدق أن تطوق حمامة، وينتشي عمر لأجل طلب ما؟! وإن كان، فالأصل لأجل القلب. الحب يولد في القلب، وينبع منه، وتخرج الحروف منه. كل ما ورد في الطوق، هو رغبة مني في الإفصاح للناس عن الحب الذي يعيشونه هم. أريد أن يعلم الناس، أن هناك هبة كبيرة داخلنا، وأريدهم أن يعلموا كيف يدارونها!؟

كنت أصغي إليه بصمت، واهتمام بالغ، أومأت برأسي الذي احتشد أفكارا حول سبب تأليف الكتاب. حبستنا لحظة صمتي، كنت أفكر فيها بكلامه، وأسأل نفسي:

– لماذا لا يدرك العالم هذه المرتبة من الحياة، ليبقى على قيد الإنسانية؟!.

نظر إلي، قال بلهجة تساؤل:

• تفكرين كثيرا.

ما تقوله يدعو للتفكير، أو ربما للبكاء! لماذا العالم حولنا يفتقد الإنسانية؟!

أخبرني: لماذا يسكن داخلي صوت طائرة تنزل قذائفها علينا، لنموت بصمت مطبق، دون أي اعتراض!؟ نحمل معنا إلى قبورنا استنكاراتهم فقط، بعد أن تهشمت أعمار الأحياء، واحدودب ظهر الأرض بالأموات؟!! لماذا لا يقرأ العالم طوق الحمامة، ويتقن لغة الشوق؟! ويلمس الحب عن قرب!؟

أخذتني غصة مع الحديث، نظرت بعيدا، إلى الزاوية التي ينظر إليها هو، كان غارقا في المدى. لفنا الصمت لأجده يكسر الأشياء، والأرض، ويشق طريقا في السماء البعيدة، قال بهدوء:

• إنه الإنسان.

وعادنا الصمت، يمزق الهواء، ويشتت ما حولنا.

للحظات، تمالكت نفسي، كسرت حاجز الصمت بابتسامة، قلت:

– أحببت ثقتك في النساء.

حرك يده اليمنى، إشارة الإيجاب، أكملتُ:

– إنك تطرح ثقتك هذه في الطوق، وتخبر من مسه الحب، أن المرأة لها القدرة على الإصغاء إلى قلبه، دون أن تبوح بأي سر، قرأت باب طي السر كثيرة.

• هذه حقيقة.

– ربما حقيقة ما لمسها إلا من عاش معهن، وتعلم على أيديهن، ثم إنني أحببت أشعارك، لكأن الكتاب حمامة مطوقة بالشعر. أذكر كثيرا من الأبيات التي راقتني فحفظتها، منها:

وإن تقل: ممكن قصد السماء؛ أقل

نعم، وإني لأدري موضع الدرج

عندما سمع الأبيات طرب بها.

أردت أن أناديه، لكني خجلت، أن أناديه؟! شيخنا؟! عماه؟! فقيه الأندلس؟! لا أدري.. حقا لا أدري.

تصفحت المفكرة، (رسائل ابن حزم) يا إلهي، قد نسيها، كيف لم أقرأها كاملة؟ متى أقرؤها ويعود هو لأسأله!؟ أخذت نفسا. قلت له:

– لم نعطك حقك. بقي محدقا في المدى، صمتا. أكملتُ:

– الحق أننا لم نقرأك جيدا. وأنا أولهم.

نظر إلي، فتسرب صوته الشجي قائلا:

• قرأت مقالا لك عن يحيى الغزال. كنت تقولين: إنكم لم تعطونا حقنا..

استوقفته وبدهشة قلتُ:

– هل قرأت ذاك المقال؟!

• أجل، أقرأ كل ما يكتب في العالم بأسره، ثم

إني كنت ضيفا عندما تحدثت عن حياتي لزملائك.

لم أتمالك نفسي، فنهضتُ من مكاني والفضول يملؤني، والدهشة تثقل السؤال على لساني، فصرت أحرك كلتا يدي، تمالكت نفسي، وسألت:

– كيف كان أدائي؟! أحقا كنت في القاعة ذاك اليوم؟! كيف لم أشعر بذلك!؟.

تنبهت أن أحد المارة يرمقني بنظرة تعجب، وكأنني أحدث نفسي، لم أهتم له، سألت مجددا:

– أخبرني، أين كنت تجلس؟! كيف تقبلتَ أن يحكي أحدهم عنك ويناقش حياتك من وجهة نظر واحدة!؟

حركاتي، وأسئلتي قد أجفلته ربما، فطلب مني بابتسامة أن أجلس، ليحكي، عدتُ للجلوس، وأعاد هو نظره إلى البعيد، قال:

• كنت تقفين على المنصة مرتجفة، كنت مصغيا لتمتمة من كان يجلس في القاعة، ولخوفك الذي يملأ المكان، وقفت قربك على المنصة، قرب تلك اللوحة البيضاء المتسخة.

– كنت خائفة، لكن خوفي تبدد لحظة تناسيت الجالسين، وقررت أن أحكي عنك لك! لم أكن أعلم أنك معنا داخل القاعة، تصغي لسير نقاشنا حولك.

ابتسم، وكأنه يرى شيئا ما في المدى، يقرب روحه منه أكثر. قلتُ:

– لكننا لم نعطك حقك.

نظرت إليه، أريد أن أسأله عن تحديقه في المدى، لِمَ يحدق بعيدا يا ترى!؟ قال بصوت منخفض:

• ماذا أيضا؟

حدقتُ في المدى الذي يحدق فيه، قلتُ بحيرة:

– ما الذي تراه في المدى!؟

والتزم الصمت، أحدق بعيدا، وقد اعتلى قلبي شعور غريب، لكأنه مزيج من الترقب والشك، ومن اليقين والحقيقة!

تعجبتُ مما بدا في قلبي، فكرتُ أن أسأله عن سر الرؤيا؟! وحقيقة إبصار الأشياء، وسبل الكشف عما خلف تلك الأشياء، والإصغاء إلى المآذن وهي صامتة، والتأمل بوجه القمر في ليلة غائمة! أردتُ سؤاله عن اللحظة الفاصلة بين الخيط الأسود والأبيض من الفجر، ولم لا نعي سر الحب المودع فينا، كما لا نعي سر الإشراق بلمحة تفصل الأسود والأبيض؟! كنت متحمسة لأسأله عن الزمن..

ومن أي نافذة يمكن أن أصافح وجه الأيام وهي تبتسم؟! والحرب..!؟ لِمَ الحرب متوغلة فينا لا تتركنا!؟ ولم في كل حرب يقطع جارنا أشجار حديقته، وحديقة الحي ليبيعها..؟! وعن الحب الذي يفطن ابن حزم لكل خباياه. أريده أن يخبرني: أمن قوانين الحب الأزلية ألا تهب القلوب المحبة بعضها بعضا؟! وأن يبقى نزف الحب فراقا كما تنزف السماء شوقها لحضن عشيقها الأرض..؟! أم أن الحب كان وشاحا من الإيمان والقدسية، لينزع طيشنا هذا الوشاح عن صدر الحب، ونتركه لهوا وعبثا وانتماءات خاطئة..؟!

لحظاتُ تأملي في المدى لا أعلمها طالت أم قصرتْ..؟! استدرت لأكمل حديثي، لم أجده.. لم أجد صاحب الحمامة.. كان قد اختفى!.■

قالوا عليٌّ

د.حيدر الغدير – السعودية

كثيرون هم الأخيار الذين كانوا لي قدوة حسنة في الصدق والنقاء والزهد الإيجابي، أما الشيخ الجليل أبو الحسن الندوي فكان هو الأول بينهم، واسمه الشخصي «علي» رحمه الله. وشكراً لروحه الطاهرة التي أملت عليَّ هذه الأبيات بعد عقدين من رحيله.

تاج الجلال على جبينك يشرقُ ... والبشر في نعمائه والرونقُ
غنّى الحمام على رواقك هاتفاً ... أن "العلي" بكل فضل أليق
أنفقت عمرك للشريعة حارساً ... وبك النضارة والشباب الريّق
تطوي الليالي في بلاء مصابر ... حتى كبرت وشاب منك المفرق
تغني وتقني لا كلال ولا ونى ... والناس حولك مطرق ومحدّق
وسما عطاؤك فهو أقباس الهدى ... وقديمه كجديده لا يَخْلَق

***

تحيا لأمة أحمد متوشحاً ... عقلاً كأن ذكاءه لك فيلق
من حيث جال وغيرةً محمودة ... مِسْكية ريا النوافح تنشق
أبداً جوادك مسرج مستنفر ... ولواؤك الميمون فيه يخفق
أما يقينك فهو قلب مرابطٍ ... إن أنت تغضب أو تلين وترفق

***

لك في فجاج الأرض رحلة مؤمن ... تهدي الضياء لحائرين تفرقوا
يدعوك مغريها فتهرع نحوه ... فإذا أتيت له دعاك المشرق
الندوة الغراء تعرفك الفتى ... والمكتان ومن بهنَّ وجِلَّق

***

ومضيت في العهد الوثيق تصونه ... ويَجِلُّ عند الأكرمين الموثق
ومشيت في درب الجهاد عشقته ... وعلمت أن السير فيه مرهق
حتى غدوت بكل ناد زائراً ... بالحق يجهر لا يلين ويشفق
وتقول ديني إنني درع له ... والمفتديه وسيفه والخندق
في موكب من يوم نادى أحمد ... فأتت جموع السابقين تدفق
أحببته ومشيت في غمراته ... مشي الألى سمعوا فهبوا فالتقوا
من كل صوب والعزائم وقدة ... والخيل تصهل والصوارم تُمْشَق
منحوه رغم الغاشيات قلوبهم ... وسيوفهم لم ينكلوا أو يفرقوا

***

هو ركب أحرار يزينه الهدى ... ورجاله الشهب التي تتألق
الشافعي عليه عقل أروع ... وأبو حنيفة حَبْره المتفوق
والطاهر الأردان أحمد أمة ... علم يضيء وعبرة تترقرق
وبطيبة الزهراء مالك سيد ... والواردون تهيبوا وتحلقوا
وقوافل لا تنتهي ومدارس ... وشيوخ فضل كالملائك تصدق
هم في ذرا الأكوان درته التي ... طرفت عيون الناس وهي تحدق
أنت الذي أحببتهم وعشقتهم ... والمرء حيث فؤاده يتعلق

***

قالوا: علي، قلت عقل سابق ... بين النهى ومنارة تتألق

علم من أعلام الصحافة العربية الحديثة، ورائد من روّادها في شبه القارة الهندية فضيلة الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي الذي ارتحل إلى رحمة ربّه المستعان، فجر يوم الأربعاء، ٩ جمادى الأولى ١٤٤٠هـ، الموافق ١٦ يناير ٢٠١٩م، في دار الضيافة، بجامعة ندوة العلماء، لكنؤ، الهند، حينما كان متضرعاً إلى الله، فور صلاة التهجد، وملبّياً لأذان الفجر؛ مثلما لبّى خاله العظيم المغفور له الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي نداء ربّه في يوم الجمعة في ٢٢ رمضان المبارك ١٤٢٠هـ، الموافق ١٩٩٩/١٢/٣١م في مسقط رأسه (تكية شاه علم الله، وسيد أحمد الشهيد رحمهما الله) في راي بريلي، في العشر الأواخر من الشهر الفضيل في أثناء استعداده لصلاة الجمعة وتلاوة القرآن، وابتهاله إلى الله جلّ وعلا. اللّهم اغفرلهم مغفرة واسعة.

محمد واضح رشيد الحسني مربّياً جليلاً

شفيق أحمد خان الندوي(*) – الهند

فضيلة أستاذنا العظيم ومربّينا الجليل محمد واضح (من مواليد ٣ شعبان ١٣٥٢هـ، الموافق ١٩٣٣/١١/٢٠م في تكية، راي بريلي) كان مديراً لشؤون التربية والتعليم في جامعة ندوة العلماء، وعميداً لكلية اللغة العربية وآدابها، ومديراً للمعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي، وأمين عام رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالهند، ونائب رئيس المجمع الإسلامي العلمي، ورئيس تحرير صحيفة الرائد، ورئيس التحرير المشارك لمجلة البعث الإسلامي، ومؤلف كتب كثيرة:

وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

تخرّج شيخنا محمد واضح في جامعة ندوة العلماء عام ١٩٥١م حاصلاً على درجة الفضيلة في الأدب، ثم التحق بجامعة علي كره الإسلامية طالباً منتسباً، فحاز على بكالوريوس الإنكليزية. وبناءً على ذلك فإنّه تعين مترجما ومذيعا لدى إذاعة عموم الهند، نيودلهي حيث اشتغل لمدة ٢٠ سنة كاملة.

أمّا علاقتي بالشيخ محمد واضح فإنها قديمة، تعود إلى عام١٩٦٦م عندما التحقت بالجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي، طالباً منتظماً في صفها العاشر، بالمدرسة الثانوية العامة بعد تخرجي في ندوة العلماء، وحصولي على درجة الفضيلة في علوم الشريعة الإسلامية، وكانت في دلهي مجموعة طيبة من الندويين، ذلك الوقت، بمن فيهم الشيخ محمد واضح رشيد الحسني، والشيخ أبوبكر الحسني، والأخ محمد خالد الحسني، والأستاذ الدكتور سيد محمد اجتباء الندوي ونحوهم. وكانت بيننا مودة وأخوة، كان الشيخ محمد واضح يتردد على أستاذنا سيد محمد اجتباء، وكنّا نتردد عليه حيناً لآخر، رأينا فيه أخاً شفيقاً وكريماً، وكان منزله مأوى للعاملين على جمع التبرعات والصدقات للمدارس الدينية.

وذات مرة، في عام١٩٦٨م قام الأستاذان عبد الحليم الندوي، وسيد محمد اجتباء الندوي بعقد مسابقة خطابية عربية برئاسة الشاعر السوري السفير عمر أبي ريشة، عنوانها "دور الطالب في بناء الوطن"؛ في مبنى كلية الآداب، الجامعة الملية الإسلامية، بتعيين لجنة التحكيم المكونة من العضوين أولهما الشيخ أبوبكر الحسني أستاذ قسم دراسات غرب آسيا في جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، والآخر الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي، مترجم ومذيع وحدة اللغة العربية، إذاعة عموم الهند، نيودلهي. تمّ توزيع الجوائز والكؤوس والشهادات على يد السفير السوري، ففاز كاتب هذه الأسطر بالجائزة الأولى، ولله الحمد. عبّر الأستاذ محمد واضح عن إعجابه وتقديره لمثل هذه المسابقات الأدبية التربوية، مركّزاً على ضرورة الاهتمام بتصحيح النطق والالتزام بالمخارج العربية السليمة.

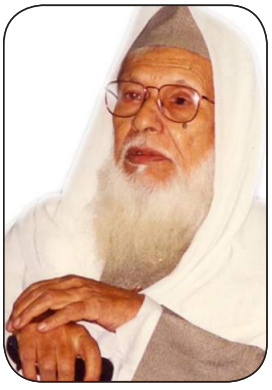
الشيخ أبو الحسن الندوي

د. محمد اجتباء الندوي

كان الشيخ محمد واضح متّقيا بكل ما في الكلمة من معنى، يخاف الله في السرّ والعلن ولا يقرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويستهدف رضى الله ورسوله في كل حين وآن. إنني أتذكر تلك اللحظات التي كنت جالساً فيها مع شيخنا الجليل أبي الحسن الندوي رحمه الله، إذ رنّ جرس التليفون. فتنبّهنا- إلى ذلك وعرفنا أنّ الشيخ محمد واضح رشيد الندوي يستأذنه في الاستقالة عن وظيفة إذاعات عموم الهند، بناءً على ما اتخذ موقفه من الحيطة والحذر في نشر أنباء صادقة وزائفة.

رجعتُ من تكية (راي بريلي) إلى بيتي في قرية رسته مئو (راي بريلي)

ومن ثمّ إلى علي كره حيث كنت طالباً في الماجستير في جامعة علي كره الإسلامية، فسمعت، بعد أسبوع، أنّ الأستاذ سيد محمد واضح رشيد استقال من إذاعة عموم الهند، وانضم إلى دار العلوم لندوة العلماء لكنؤ مدرّساً للغة العربية. فتذكّرت أنه اختار طريقاً للحيطة والحذر، إيماناً واحتساباً وإخلاصاً لخدمة لغة القرآن والسنة.

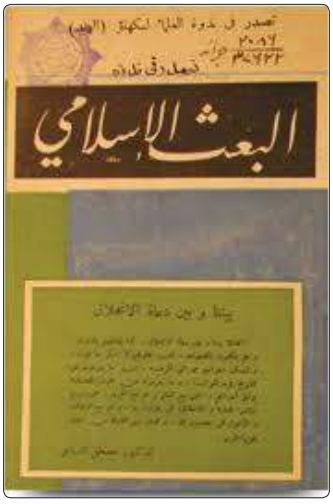

وبالتالي بدأ الشيخ محمد واضح كتابة مقالاته في صحيفة "الرائد"، ومجلة "البعث الإسلامي" بانتظام والتي اختارت عناوين ثابتة معروفة بـ: صور وأوضاع، وأنباء وتعليقات، وافتتاحية العدد. إنّها أصبحت محطة أنظار للدارسين والمدرسين في سائر أوساط تعليم وتعلّم اللغة العربية والمثقفين في العالم، ووسيلة لتنمية المهارات اللغوية. أمّا أسلوبه فإنه أسلوب سهل بسيط وجميل يسرّ القراء والسامعين، بوفرة جدّة الفكر، وجودة المضمون، وقوة العاطفة، والاتزان بين اللفظ والمعنى، والامتزاج بين الكلاسيكية والحداثة في التعابير العربية والأصيلة، على حدّ تعبير المتنبّي:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وفي البداوة حسن غير مجلوب

إنّه أدّى دوراً مهمّا في تأديب الدارسين، وتربية الشباب وتهذيب الجوّ العام في حرم الجامعة الندوية، وإنهاض الصحافة العربية في الهند، وتقديم الجهود التي بذلها الشيخ أبو الحسن، والشيخ محمد الرابع، والشيخ محمد الحسني، والشيخ سعيد الأعظمي إلى الأمام في سبيل النهضة العربية الإسلامية الحديثة.

أصدر أستاذنا محمد الرابع، وأستاذنا سعيد الأعظمي حفظهما الله صحيفة عربية نصف شهرية اسمها "الرائد" عام١٩٥٩م عندما كنت طالباً في الصف الثاني العربي، وأرافقهما في معظم الأحيان وأساعدهما في الشؤون المكتبية والإدارية. كنت أكتب عناوين المشتركين على ظروف "الرائد"، وأوصلها إلى مكتب بريد لكنؤ لتسليمها إلى أصحابها؛ لمدة غير يسيرة. ساعد الدارسون الآخرون أيضاً، بعدي في هذه المهمة لمدة طويلة حتى انضمّ إليها الشيخ محمد واضح رشيد الحسني عام١٩٧٣م، وتفانى في ترقية "الرائد" وترويجها في الشرق والغرب؛ جعلها ملوّنة وجميلة في الشكل والمحتوى كمجلة مزيّنة بافتتاحية الشيخ محمد الرابع، وكلمة العدد بقلم الشيخ سعيد الأعظمي، وأنباء وتعليقات من الشيخ محمد واضح نفسه إلى جانب مقالاته المتنوعة؛ حتى رفعها من أرض الهند إلى سماء العالم العربي، فتكلّلت جهود هؤلاء الأساتذة بالنجاح، ولله الحمد.

لم يكتف الشيخ محمد واضح أن يكون مدرساً في الفصل أو معلما كاملا في المدرسة، بل وإنه

أبلى بلاءً حسناً في تربية الشباب وإصلاح الأمة، عن طريق جهوده الفردية خارج الفصل وجهاده بالقلم حتى برزت مقالاته ومؤلفاته إلى حيّز الوجود. وأهمّ مؤلفاته كالآتي:

المؤلفات العربية:

- إلى نظام عالمي جديد.
- من قضايا الفكر الإسلامي: الغزو الفكري.
- تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي.
- أعلام الأدب العربي في العصر الحديث.
- مصادر الأدب العربي.
- أدب أهل القلوب.
- تاريخ الثقافة الإسلامية.
- الرحلات الحجازية ومناهج كتابها في العصر الحديث.
- أدب الصحوة الإسلامية.
- محمد رسول الله وصحابته رضي الله عنهم.
- الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي قائداً حكيما.
- أبو الحسن علي الندوي: منابع فكره ومنهجه.
- من صناعة الموت إلى صناعة القرارات.
- حركة رسالة الإنسانية.
- حركة التعليم الديني وتطور المنهج.

(ب) المؤلفات الأوردية:

- محسن انسانيت.
- سلطان تيبو شهيد – ايك تاريخ ساز قائد شخصيت.
- مسئله فلسطين.
- ندوة العلماء – ايك رهنما تعليمي مركز اور تحريك اصلاح ودعوت.
- نظام تعليم وتربيت.
- اسلام – تكميل نظام زندكى (حديث نبوى كى روشنى مين).
- انسانى حقوق (قرآن وحديث اور سيرت كى روشنى مين).

(ج) المؤلفات المترجمة من الأوردية إلى العربية:

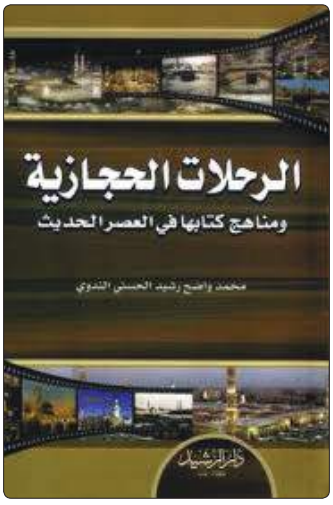

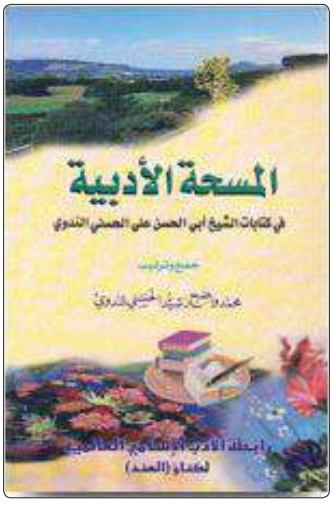

- فضائل القرآن الكريم (الشيخ محمد زكريا).
- فضائل الصلاة على النبي (الشيخ محمد زكريا).
- الدين والعلوم العقلية (الشيخ عبد الباري الندوي.

هذا هو التراث الأدبي والعلمي والتربوي لأستاذنا الفاضل المربّي واضح رشيد الندوي الذي خلفه لنا صدقة جارية له في هذه الدنيا وفي الآخرة كما قال الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له. بناء على ذلك فإنّنا نأمل من الله العليّ القدير أن يجعل تراثة العلمي التربوي النافع ذخراً وصدقة، وأن يجعل برحمته تلاميذه البررة في عالم الأرواح بمثابة أولاد صالحين له.

إننا نعده منارة إشعاع تربوي خالد للتعليم والتربية على حدّ تعبير سيدنا الإمام الشافعي رحمه الله:

قد مات قوم وما ماتت فضائلهم
وعاش قوم وهم في الناس أموات

إنه كان مدرّساً في الفصل، ومعلماً في المدرسة، ومربّياً في العالم يربّي تربية فكرية، وأدبية، وذوقية، وجمالية، وخلقية، وجسمية، وروحية تستهدفها كليات التربية منذ القدم؛ وكان متّسماً بالعدل والاعتدال، والتفكير والتدبر في غاية من الصمت، وحسن الخلق، والطهارة، والنظافة، والتطبيق بين العلم والعمل؛ وراغباً في الأعمال الخيرية؛ آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر؛ ومشجّعاً على إجادة الأعمال الصالحة النافعة.

هذه صفاته: صفات المؤمن المتّقي المربّي الجليل التي وجدناها في شخصية أستاذنا المربّي الجليل محمد واضح رحمه الله. أتذكّر بهذه المناسبة، نموذجاً من تشجيع شيخنا محمد واضح على العمل؛ وهو أنّنا اجتمعنا، مرة، في دلهي في منزل أخينا المغفور له محمد حسين الحسني، مع شيخنا المربّي الجليل سيد محمد الرابع الحسني، إذ خاطبني الشيخ محمد واضح بلطف وشفقة: "كيف حالك، يا شفيق؟ قرأنا كتابك اللغة العربية الوظيفية (٤ مجلدات). أعجبني ذلك، فدعوت الله لك مزيداً من التوفيق. أمّا الآن فإنني أفكّر في كيفية نفعه وطريقة استخدامه لطلاب دار العلوم لندوة العلماء". سررت جدّا بهذا التعليق والتشجيع. ندعو الله جلَّ وعلا أن يغفر له ويرفع درجاته ويدخله في فسيح جناته. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلّى الله على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه وسلّم■

(*) البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملّية الإسلامية، نيودلهي، سابقا، ورئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في نيودلهي.

يقين

سامي أبو بدر ـ مصر

تَحوَّلَ وَجهُ الصَّبرِ عني ومَلَّني
حَديثي لِنفسي عن صباحٍ سيُشرقُ

ودَاهَمَ قلبي في غياهِبِ حُزنِه
نذيرٌ من الشُّؤمِ المُقيمِ يُحَلّقُ

ولَولا يَقيني أنَّ حُزنِي مُغادِرٌ
وأنَّ جَوادِي يَومَ يُسْرَجُ يَسْبِقُ

وأَنَّ بُلوغَ الشَّطِّ رَهْنُ سَواعِدِي
وأنَّ الذِي يَخشَى السِّباحةَ يَغرقُ

لَعَانَقْتُ يَأْسِي مُستَجِيراً بِرُكنِه
وعَافَيْتُ نَفسِي مِن طُمُوحٍ يُؤَرّقُ

سأَنْشُدُ أَرضَ الحالِمينَ وإنّها
إذا وَاعَدتْنِي بالسَّعادةِ تَصدُقُ

وتُؤْنِسُ حُراً في دَهاليزِ لَيلةٍ
تُحيّرُ أصحابَ العقولِ وتُقلِقُ

هُنالكَ آياتٌ تَبَدَّتْ لِخاطِري
تُهدهِدُ آهاتِي العَذارَى وترفُقُ

وليسَ يُلَقَّاهَا سِوَى مَن يَرُومُها
بقَلبٍ عَلَى وَقْعِ التَّمَرُّدِ يَخْفُقُ

فمَنْ يَتْلُ وِردَ النُّورِ في عَتمةِ الدُّجَى
يَرَ الصُّبحَ مِن طِيَّاتِها يَتَدفَّقُ

لِيُدرِكَ أنَّ الليلَ بابٌ لِحُلْمِه
وأنَّ خُيوطَ الفجرِ مِنهُ تُخَلَّقُ

الخنزير

ثروت مكايد – مصر

حين ولى وجهه شطر المرآة تسمر، هذا وجه خنزير!.. أخفى وجهه في كفيه، لا.. لا يمكن أن يحدث هذا.. حاول أن يسلخ كفيه عن وجهه، فباءت محاولته بالفشل، وحين سمع وقع أقدامها ارتعد، وتساقطت كفاه.

صباح الخير.. قالتها ودلفت إلى ردهة قصيرة تؤدي إلى الحمام.

صباح الـ...

أعاد إلى المرآة عينيه، لكنه أغمضهما. اقتلع قدميه من أمام المرآة، وسار إلى غرفة نومه، دفن وجهه في المخدة القطنية المكسوة حريراً، دفعت الباب وألقت بجسدها إلى جواره فوق السرير الدائري. قالت: ماذا بك!؟

تمتم: لا شيء..

التفتت إليه وقالت: لست كما أحب.

عجب من عدم انتباهها للتحول الحادث له، تحسس وجهه.. أنفه وفمه وعينيه وصلعته، قال: ماذا تعنين!؟

بم!؟

ثار في وجهها، وقال: تردين على السؤال بسؤال!؟.. هذا مقزز.

أتثور في وجهي!؟

اضطرب، قام إلى مرآة التسريحة، التهم وجهه، بصق، وضرب المرآة بقبضة يسراه، فتناثرت قطعا، وانداح في الحجرة حيران، وقد تكورت فوق السرير في لباس نومها مذعورة. اقترب منها، صرخت، أمسكها من معصم يسراها، واجهها متسائلا:

من أنا؟

لم تنبس. هاج وبصق في وجهها. لوى يدها، وكشر عن وجه كريه، زاد صراخها، وزاد سعاره. أحاط رقبتها بكفيه. سالت يدها، قام إلى صوان ملابسه، ارتدى بنطالا أسود، وقميصا برتقاليا، اشترته له في عيد ميلاده الثلاثين قبل أسبوعين.

خرج وانضم إلى جموع السائرين في الشارع يلهث. مال إلى قسم الشرطة، وهو في طريقه إلى محطة رمسيس.

سأل الشرطي الواقف في كشك الحراسة: من فضلك أين أجد ضاب...!؟

لم يكمل كلمته إذ سقطت البندقية من يد جندي الحراسة، وسقط هو مغشيا عليه وهو يتمتم: خنزير يتكلم!..

صَوْصَوْ.. ود لو يجد مرآة. اندفع في الشارع لا يلوي على شيء، صدمته سيارة إسعاف تحت كوبري رمسيس، غرق في دمه على أنه تمنى حتى نفسه الأخير لو يجد مرآة!.■

مع انبثاق فجر الرسالة المحمدية -على صاحبها الصلاة والسلام- التي بُعثت رحمةً للعالمين بدأت مرحلة جديدة في حياة اللغة العربية. فاللغة العربية التي كانت في معظم أدوار العصر الجاهلي تقطر دما، وتتنفس فتكاً وقتلا ودمارا، لا تمجد إلا رمحا وسيفا، ولا تصف إلا مشاهد قتال وحروب وصراعات طاحنة مستمرة، لا أول لها ولا آخر -بدأت تستمدّ اليوم من إشراقة هذه الرسالة النبوية الرحيمة رؤية جديدة ملؤها الرحمة والإنسانية والرأفة والعطاء والبذل والبرّ والكرم والخلق الكريم وما يرادف ذلك في قاموس المعاني الإنسانية من كلمات النبل والكرامة.

الرسول العربي ﷺ

نماذج من تأصيل المصطلح الإسلامي

عبدالوهاب سلطان الدّيروي(*) – **باكستان**

◂◂ اللغة العربية وطبيعتها قبل بعثة الرسول العربي:

أما طبيعة اللغة العصبية والدموية في عصرها الجاهلي فإن الذي يتابع مسيرة اللغة العربية في عصرها الجاهلي يُدرِك ذلك بوضوح وجلاء. والأمثلة على ذلك كثيرة طفحت بها مكتبة الأدب العربي الجاهلي بأيامه وأخباره، سواء في شعرها ونثرها. ولقد أحسن العلامة الداعية الأديب أبوالحسن الندوي تصوير المجتمع الجاهلي العصبي الدموي تصويرا قويا، يقول: «وكانت العصبية القبلية الدموية شديدة جامحة، وأغرموا بالحرب حتى صارت مسلاة لهم

(*) خرّيج القسم العربي بجامعة دار العلوم كراتشي – رئيس رابطة اللغة العربية – باكستان.

وملهى، وهانت عليهم إراقة الدماء، فتُثيرها حادثة تافهة، وتدوم الحرب أربعين سنة، ويقتل فيها ألوف من الناس»[1].

يقول أحد الشعراء الجاهليين ما يعكس طبيعتهم المولعة بالحروب والمطبوعة بالغزو والغارات إلى حد القساوة، يقول:

وأحيانا على بكر أخينا
إذا لم نجد إلا أخانا

ويقول آخر، وهو عباس بن مرداس السلمي في أيام الجاهلية:

فحارِب فإن مولاك حارَدَ نصرُه
ففي السيف مولىً نصرُه لا يحارد

ويقول سعد بن مالك الشاعر الجاهلي في تحدٍّ وشدّة:

كشفت لهم عن ساقها
وبدا من الشرّ الصّراحْ
من صدّ عن نيرانها
فأنا «ابن قيس» لا براحْ[2]

هذا قليل من كثير، ومن يطالِع حرب «البسوس»، وحرب «داحس والغبراء» في الأدب العربي الجاهلي يشعر من خلالها لكأنما الحياة الجاهلية العربية -وكما وصفها العلامة الندوي- «شبكة محبوكة من ترات وثارات فشت حبائلها في القبائل وأوصى بها الآباء الأبناء... حتى كانت كفة الجزيرة كفة حابل لا يدري الإنسان متى يغتال وأين ينهب...»[3].

فاللغة العربية التي نشأت في ظل هذه العصبية الدموية الغارقة في العداء والقساوة حتى النخاع لم يكن لها بدّ من أن تستلهم منها غير روح القتل والنهب والفتك والطمع والجشع مع الاعتراف بالميزات والمحاسن الخلقية الأخرى التي لا يمكن تجاهلها والتهوين من شأنها.

◁◁ اللغة العربية بعد بعثة الرسول العربي ﷺ، رؤية جديدة ومرحلة جديدة:

وعندما أشرقت على هذا المجتمع الجاهلي شمس الرسالة المبعوثة رحمةً للعالمين، -حدثت تغييرات في كل مناحيها، وحتى في طبيعة لغته وأدبه وأساليبه البيانية. فاستلهمت اللغة العربية من وحي هذه الرسالة المبعوثة رحمةً للعالمين لغةَ التآخي والتراحم والتعاون والتحابب والتسامح والتآلف وكل أنواع التفاعل الإنساني المعروف، تماما كما صوّر القرآن الكريم هذا المعنى تصويرا جامعا ورائعا وجميلا حيث قال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[4].

◁◁ رسالة الرحمة والإنسانية كانت بحاجة إلى لغة الرحمة والإنسانية:

وكان هذا طبيعيا أن يحدث في هذا المنعطف التاريخي العظيم. وكان من البديهي أن تأخذ اللغة العربية هنا طورا جديدا من البيان وتكتسب حلّة جديدة من التعبير، لأن الرسالة التي بعثت رحمة للإنسانية جمعاء كانت بحاجة إلى لغة جديدة تتلاءم مع روحها وطبيعتها وإلى لغة تتناغم مع ذوقها وفطرتها. ولتعبّر عن بعثة الرحمة الإنسانية بأكمل معانيها وأوفاها وأبلغها.

◁◁ رحلة اللغة العربية مع رسالة الرسول العربي ﷺ:

بدأت اللغة العربية رحلتها الجديدة مع الرسالة الإسلامية المحمدية، أضافت إليها هذه الرسالة من خلالها رصيدا لغويا وأدبيا من المعاني الإنسانية والمفاهيم الأخوية الكريمة، والمشاعر الرحيمة

النبيلة. وضخّت في قلبها روحا جديدة تحبّ الأمن والسلام والخير والرحم والوصل وكل ما يخدم مصلحة الإنسان وإنسانيته.

مظاهر الرحمة وتعليم الإنسانية في لغة الرسول العربي ﷺ:

المظهر الأول:

تبدأ هذه الرحلة من أول منطلَق من منطلقات هذه الرسالة العالمية. عنوان رسالة الرسول العربي المبعوث رحمة للعالمين ينبغي أن يأتي متوافقا مع رسالة رحمتها العالمية. فاختارت أبلغ كلمة تعبّر عن معنى الرحمة والإنسانية، لتكون عنوانا اصطلاحيا لهذه الرسالة. وهي كلمة «الإسلام» فأعظم ببلاغتها الرحيمة، وسموّها الإنساني وحدّث عن البحر ولا حرج. حيث تمّ نحتها واشتقاقها من مادة «السّلم» أو «السّلام». وجرى هذا المعنى في سائر مشتقاتها ودلالاتها. فالمسلم يعني الحامل لهذه الرسالة الإنسانية العالمية. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه التسمية بوضوح وبلاغة، قال: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾[٥].

كما أوضحها الرسول العربي ﷺ بوضوح أكثر يلفت أنظار «المسلم» إلى هذه الرسالة الإنسانية «السّلامية» -إن صحّ التعبير- التي يحملها اسمه وعنوانه، يقول الرسول العربي ﷺ فيما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٦].

عنوان آخر من عناوين الرحمة والإنسانية في رسالة الرسول العربي:

ويتلو هذا العنوانَ الرئيسي لبعثة الرحمة المحمدية عنوانٌ رئيسي آخر في مثل قوته ودلالته التعبيرية

عن محتوى هذه الرسالة التي بُعثت رحمةً وإنسانيةً، وهو كلمة «الإيمان»، وصاحبها «المؤمن». وهو مصطلح إسلامي متعدد الدلالات والمعاني والمفاهيم كما ذكرها اللغويون. ولكنها تلتقي جميعا على مادة «الأمن» التي تم اشتقاق هذا المصطلح منها. وقد ترجم الرسول العربي ﷺ عن هذا المعنى وهو يربط هذا المصطلح بمحتوى رسالته الإنسانية المبعوثة رحمةً للعالَم، ففيما أخرجه ابن ماجة في سننه عن فضالة بن عبيد أن النبي ﷺ قال: «المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم»[٧].

وتبرز قوة هذا المصطلح العربي الإسلامي الذي يفرض على حامله -المؤمن- أن يحقّق هذا

المفهوم عمليّا على واقع الأرض في سياق تأكيدي وشبه حصري، وبالتالي فإنه يوحي أن الذي لا يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم لا يحقّ له أن يتسمّى بـ«المؤمن».

◁◁ اهتمام الرسول العربي بإثراء اللغة رحمةً وإنسانيةً:

وهكذا وبهذا الاهتمام البياني الرائع بدأ الرسول العربيﷺ يُضيف إلى رصيد اللغة العربية منذ انطلاقة رسالته الأولى ثروة لغوية ضافية تعبرّ عن مفاهيم الرحمة الإنسانية التي اختصت بها في عناوينها الرئيسية التي اصطلحت رسالة الرسول العربيﷺ عليها، لتطلع على العالَم رافعة رايةَ السّلام وهتافَ الأمن.

◁◁ توظيف البُعد الإنساني في اللغة عند الرسول العربيﷺ:

لا يدور اهتمام الرسول العربيﷺ في فلك المصطلح الإسلامي فحسب، بل يعدوه إلى عامة مظاهر اللغة العربية وأسمائها ودلالاتها الشائعة في المجتمع الإسلامي. ونجد في أحاديثهﷺ[٨] أمثلة ونماذج رائعة تمثّل عنايتهﷺ بتغيير الأسماء والعناوين والأمثال والمصطلحات ليستبدل بها بدائلَ أخرى هي أقرب إلى معاني الرحمة والإنسانية التي تكوّنت منها لحمةُ رسالتهﷺ ولتكون أكثر دلالة على هذا البُعد الإنساني النبيل الذي يبعث التفاؤل ويبشّر بالخير ويحفّز على الكرم والعطاء.

المظهر الثاني من مظاهر الرحمة وتعليم الإنسانية في لغة الرسول العربي:

منها –على سبيل المثال– تسمية «يثرب» بـ«المدينة» المنوّرة، حيث أخرج البخاري في صحيحه فيما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله قال: «أمرت بقرية تأكل القرى يقولون: يثرب، وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد»[٩].

وهو في الواقع تغيير عميق يتصل أحدُ طرفيه بزمام اللغة العربية، وثانيه بزمام النفس الإنسانية التي تتأثر بطبيعتها من دلالات الأسماء. فلمّا كانت كلمة «يثرب» على عربيّتها تحمل شُمّة من معاني الشر والهلاك، وكان من الطبيعي تأثر النفوس الإنسانية بهذا الاسم، أزالها الرسول العربيﷺ من قاموس اللغة العربية الإسلامي، وأحلّ محلّها كلمة ذات دلالة رائقة وشاملة لعدّة أبعاد لغوية وأدبية وثقافية تجعلها أقرب إلى البعثة المحمدية وأشمل دلالة على محتواها. فكلمة «المدينة» فضلا عن دلالتها اللغوية الصادقة والمطابقة لمدلولها، تحمل أبعادا أعمق منها، وهي أبعاد «المدنية» و«التمدن» و«التعايش المدني» وما إليه، والتي تنتحلها اليوم الجهات التي تسمّى فيما تسمّى «الدول المتمدنة» و«الراقية» و«الحضارية». إن الرسالة المحمدية هي التي أرست دعائمها منذ أول يومها حتى سمّت معسكر رسالتها الأول باسم «المدينة» إيحاء بهذا المعني الإنساني العظيم.

نموذج آخر في هذا السياق:

وتأتي في هذا السياق كلمة أخرى لتسمية هذا المركز الإسلامي الأول الذي انطلقت منه الرسالة المحمدية. ونجد في بعض الروايات ما يدلّ على أن الرسول العربيﷺ يختار لها من الكلمات أفضلها وأجملها وأطيبها، وهي كلمة «طابة» لتضفي على مدلولها معنى إنسانيا لطيفا يتفق وطبيعة رسالته المبعوثة رحمةً للعالم بلغتها وأدبها فضلا عن مدلولها ومحتواها. ففيما أخرجه البخاري في صحيحه عن عن أبي حميد –رضي الله عنه–: «أقبلنا مع النبي من تبوك حتى أشرفنا على المدينة فقال: هذه طابة»[١٠]

أثر هذا التغيير في لغة المجتمع:

ولم يكن ذلك مجرّد تعبير عن شعورها. بل أخذت هذه الدلالات الجديدة رواجا في لغة المدينة المنورة وأدب أهلها. وجرت في شعرها ونثرها مجرى سائر الكلمات. ومن ثم نجد ذات الكلمة عند أحد شعراء الصحابة رضي الله عنهم يستخدمها في بعض أبياته استجابة دعوة الرسول العربيﷺ كأنها هي الكلمة المعروفة بينهم، حيث يقول فيها:

فلمّا أتانا واستقرّت به النوى
وأصبح مسرورا بـ «طيبة» راضيا(١١)

يعني بـ"طيبة" المدينة المنورة.

المظهر الثالث من مظاهر الرحمة والإنسانية في لغة الرسول العربي ﷺ:

ونجد ثمّة مظهرا ثالثا من مظاهر هذا الإصلاح اللغوي في كتب السنة والسيرة والذي يهدف إلى توظيف المعنى الإيجابي الإنساني في الكلمات العربية. وهو يتمثل في إحلال كلمة «العشاء» محلّ كلمة «العتمة». فقد كان العرب الأنصار قبل الهجرة يستعملون «العتمة» للعشاء. وكانت تحمل رائحة سلبية لدلالتها على «الظلمة» و«الظلام». فاستبدل بها الرسول العربيﷺ كلمة «العشاء». ولا زالت هذه الأخيرة هي الكلمة التي يستعملها العرب المسلمون وغيرهم للتعبير عن معنى «العتمة» السابق. ولنقرأ القصة بلفظها فيما أخرجها المسلم في صحيحه عن ابن عمر قال: «قال رسول الله ﷺ: «لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء، فإنها في كتاب الله العشاء، وإنها تعتم بحلاب الإبل»(١٢).

ويتجلّى فيه اهتمام الرسول العربيﷺ الكبير باتخاذ المصطلح الإسلامي الإيجابي، حيث نوّه باستخدام كلمة «العشاء»، وحذّر في الوقت نفسه من أن تغلبهم لغة الأعراب السلبية في خصوص هذه الكلمة.

أثر الوحي السماوي في الإصلاح اللغوي:

وبحكم كون اللغة العربية لغة رسمية في السماء – إن صح التعبير – فإن هذه التغييرات الإيجابية لتأصيل المصطلح الإسلامي كانت تتم في السماوات ومنها تأتي إلى الأرض. وقد ورد في بعض الروايات الحديثية ما يعزو هذه التسمية إلى الله سبحانه وتعالى. ففيما جاء في «مشكل الآثار» للإمام الطحاوي(ت ٣٢١هـ) رحمه الله تعالى، ما يعزّز هذا الاتجاه كما يأتي:

«الأمر الذي كانت العرب تعرفه في اسم هذه الصلاة أنه العتمة لا العشاء، وكان السبب في تسميتها إياها ذلك الاسم ما قد ذكر في حديث أبي سلمة عن ابن عمر الذي ذكرناه في أول هذا الباب حتى أنزل الله عز وجل على رسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ [النور: ٥٨] فصاروا إلى اسمها الذي سماها الله عز وجل به في هذه الآية، وأخذ به رسول اللهﷺ»[١٣].

إشكالية والإجابة عنها:

وهنا تظهر إشكالية ربما تفرض نفسَها على الذهن، ومفادها أنا نجد حتى في صميم الشعر العربي الإسلامي ما يفيض حربا وحماسة، ويشعّ قتلا وجهادا. فقد وجد عند الشعراء الإسلاميين في العصر الإسلامي من أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم أشعار قوية حماسية لمقارعة شعراء المشركين. ولكن هذه الإشكالية لا تصح في هذا المقام. فإنهم في واقع الأمر لم يقولوها ليدفعوا عن أنفسهم أذى فرديا نالهم من المشركين بل ليدفعوا عن المجتمع الإسلامي الفتي الناشئ إيذاءَ المشركين وافتراءاتهم.

وهنا كانت اللغة العربية هي الأخرى تتجلى في صيغتها الشعرية لتجسّد مفهوم التراحم والتلاحم والتناصر الذي دعا إليه الرسول العربيﷺ فيما أخرجه مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير قال: قال رسول اللهﷺ: «المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»[١٤].

كلمة الختام:

وهكذا تبلورت من خلال النماذج والأمثلة المذكورة أعلاها وما عداها مما توارد في كتب السنة والسيرة أن اللغة العربية كانت موضع اهتمام خاص من الرسول العربيﷺ. وفضلا عن جوامع كلمه وسنته وأحاديثه وخطبه العربية الخالدة شبه المعجزة التي كانت وظلت ولا تزال عمادا أساسيا للأدب العربي الإسلامي، فقد كان يخدمها ويثري مادّتها بتحرّي البدائل العربية التي تخدم مصلحتها بشكل أفضل. وغالبا ما يغلب على هذه الاستعمالات العربية البديلة التي وضعها الرسول العربيﷺ طابع الرحمة وسمة الإنسانية. وبالتالي تترقرق من خلالها شخصية رسول عربي بعث رحمة للعالمين ومعلّما للإنسانية ليس برسالته ودعوته فحسب، بل بلغته وأدبه كذلك■

الهوامش:

(١) أبو الحسن علي الندوي، السيرة النبوية، ص:٤٠، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، رقم الطبعة غير متوفر.
(٢) ديوان الحماسة في الشعر الجاهلي.
(٣) أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص: ٦٢، مكتبة الإيمان، مصر، رقم الطبعة غير متوفر.
(٤) [الأنفال : ٦٣].
(٥) القرآن الكريم، [الحج : ٧٨].
(٦) صحيح البخاري، نسخة طوق النجاة (١/ ١٣).
(٧) سنن ابن ماجه – (٢/ ١٢٩٨)
(٨) صحيح البخاري، نسخة طوق النجاة (١/ ٤٤)، باب المدينة طابة.
(٩) حياة الصحابة للعلامة يوسف الكاندهلوي رحمه الله تعالى. صحيح مسلم، عبد الباقي، (١/ ٤٤٥).
(١٠) شرح مشكل الآثار (٣/ ٣٠)، الإمام أبو جعفر الطحاوي، طبع مؤسسة الرسالة مصر، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ/ ١٤٩٤م).
(١١) صحيح مسلم، موافق لترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (٤/ ٢٠٠٠)
(١٢) شرح مشكل الآثار (٣/ ٣٠)، الإمام أبو جعفر الطحاوي، طبع مؤسسة الرسالة مصر، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ/ ١٤٩٤م).
(١٣) صحيح مسلم، موافق لترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (٤/ ٢٠٠٠).

الجراد

د.أحمد كوري السالكي– موريتانيا
نائب عميد كلية أصول الدين بجامعة العلوم الإسلامية بالعين.

يجتاح الجراد البلاد دوريا فيهلك الحرث والنسل، ثم يفيق الناس من الصدمة فيقبلون على الجراد فيأكلونه، ويعوضون به خسارتهم في المزروعات، ويقول الأطباء الشعبيون: إن الجراد شفاء من كل داء؛ لأنه يأكل من كل شيء، وهكذا تنقلب النقمة نعمة، كما أن الأمم تتداعى إلى المسلمين دوريا كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، فتحاول القضاء على كل مظاهر الإسلام والحضارة، ثم بعد كل ما تسببه من دمار وخراب، تهزم هذه الأمم، ويغنمها المسلمون أو تدخل في دين الله أفواجا، وتندمج في المسلمين، وتصبح من أكثر أمم الإسلام غيرة وبَلاء وغَناء، كما حدث قديما مع عرب الجاهلية والفرس والروم والتتر والمغول، وسيحدث - إن شاء الله - مع الاستعمار والصهيونية.

جاءنا الغيثُ بعد سبع شداد ... فغدا الناس منه في أعياد
تلك أرضي تربو وتهتز لَمَّا ... دبَّ ماءُ الحياة في كل وادي
نَبت العشبُ منه والكلأ الغض ... ض ولِلزرعِ حان يومُ الحصاد

* * *

فجأةً.. خَيَّم الجرادُ وكنا ... في ظلام من ليلنا ورقاد
ونهيقُ الجرادِ خَدَّرَنا عن ... قومِنا بالإنشاء والإنشاد
فحسبناه عارضاً ممطراً فو ... ق روابي شنقيطَ أو بغداد
وحسبناه ضيفَنا.. إنَّ من عا ... دتنا الجودَ بالقرى والزاد
يا مُجيرَ الجرادِ! هذا سِنمَّا ... رُ جرادٍ يَجزيكَ بالأحقاد![1]
يُهلك الحرثَ.. يُهلك النسلَ.. يَسعى ... في نواحي بلادنا بالفساد
لستُ أدري أيُّ الجرادِ؟! ففيه ... أممٌ لم يُحِطْ بها تَعدادي
كلُّ هاوٍ وكلُّ غاوٍ من الغو ... غاء مُغْوٍ فما له من هادي
إنهمْ قد عادوا لنا يا صَلاحَ الد ... دين، عادَ الأجدادُ في الأحفادِ
معضلاتٌ ولا أبا حسنٍ فيـ ... ـها يُجَلّي لنا سبيلَ الرشادِ
يا لُعابَ المنية احْرِسْ ودافعْ ... عن حِماناً فأنت كل العتاد
زَفَرَ الغُرْبُ يومَها وبكوا.. لـ ... ـكنْ بكاءَ النساءِ يوم الحداد

* * *

أكلوا الصخرة الشريفة والأقـ ... ـصى ومن فيهما من العُبَّاد
أكلوا كل مسجد وإمام ... ثم صاروا أئمةَ الإرشاد
أكلوا مصحفي وطُرَّةَ جدي ... أكلوا اللوحَ كله ومدادي
أكلوا قبرَ جدنا أولا تَسْـ ... ـلمُ منهم ضرائحُ الأجداد؟!

أكلوا تقويمي! متى يوم عرسي؟ لست أدري! متى؟ متى ميلادي؟
إنهمْ يأكلون مني دماغي إنهمْ يأكلون مني فؤادي
أكلوا الأذْنَ واللسانَ جميعا أكلوا منهما اللسانَ الضادي
أكلوا الشّعْرَ.. إنهمْ أكلوا حَنْـ ـجَرتي.. أزعجتهمُ أورادي
أكلوا من غُرّ الجيادِ النواصي أكلوا حمحمات كل جواد
أكلوا نخلةَ الأميرِ وسيفاً وسراويلَ من تراثِ تلاد
أكلوا سيف الفاتح ابنَ نصير أكلوا سيف طارق بنَ زياد
أكلوا اللحية.. الرجولة منا ففَرَرْنا من زحف يوم الجهاد
أكلوا موطني فأصبحت فيه لاجئاً في مهانة واضطهاد
أكلوا حقلنا هواءً وماءً نَزَعوا روحنا من الأجساد
رَزَّ هذا الجراد فامتص نِفْطاً ودماً ماجداً من الأكباد[٢]
بالنُّفايات لَوَّثوا الأرض والجوْ وَ وغَشَّوْا بلادنا بالسواد
نَزَعوا عنوة عيونَ بناتي وحليبَ الأطفال من أولادي
ضحكات الأطفال قد أكلوها أكلوا أنغام البنات الشوادي
استباحوا دراعتي ولثامي أكلوا تحت الطفل كل المهاد[٣]
سلبوا المِلْحَفاتِ من أخواتي أكلوا عنوة حجابَ سعاد
مُسْفِراتٍ خرجنَ في ذلك اليوْ م.. سبايا فرائسَ الأوغاد
يتظَلّمن من بني قينقاع لَا يجدن الغداة من إنجاد[٤]

* * *

ثم من بعد كل ذلك أَقْبَلْـ ـنا عليه بهمة واجتهاد
فأكلنا منه حلالاً شهيّاً مَغْنَماً بارداً بدون اصطياد[٥]
وأخيراً.. نحن الذين أكلنا هـ.. أَكَلْنا الجرادَ حتى النفاد[٦]
ونُفاياته الخطيرة صارت فوق أرض الحقول خيرَ سماد
ذهباً صار عندنا.. بركاتٍ بشرتْنا بالخير والإسعاد[٧]
فهتفْنا بنشوة: "كلّ عامٍ أنت يا أمتي بخيرِ جراد!!"

هوامش:

(١) مجير الجراد: مدلج بن سويد الطائي. منع الناس أن يأخذوا الجراد الذي وقع في حماه، فضرب به المثل فقيل: "أحمى من مجير الجراد".

(٢) رزت الجرادة: غرزت ذنبها لتبيض.

(٣) اللثام شعار ورمز المرابطين (الملثمين).

(٤) سبب غزوة بني قينقاع أن امرأة مسلمة أرادت أن تشتري بسوق بني قينقاع من صائغ يهودي، فاعتدوا عليها، فقتل رجلٌ من المسلمين الصائغ، وقتل اليهودُ المسلم، فحاصرهم الرسولﷺ، وأجلاهم عن المدينة.

(٥) "أحلت لنا ميتتان الحوت والجراد": رواه ابن ماجه، ويقول الجاحظ: "والجراد الأعرابي لا يتقدمه في الطيب شيء"، ويقول: "ونحن لا نعرف طعاماً أطيب منه".

(٦) "أمرت بقرية تأكل القرى": متفق عليه، قال ابن أبي أوفى رضي الله عنهما: "غزونا مع النبيﷺ سبع غزوات أو ستاً كنا نأكل معه الجراد": متفق عليه.

(٧) بينا أيوب عليه السلام يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحتثي في ثوبه، فناداه ربه: "يا أيوب ألم أكن أغنيتك عمَّا ترى!؟" قال: "بلى وعزتك، ولكن لا غنى بي عن بركتك": متفق عليه.

قصة مهاجر روهنجي من الجيل المكافح!

في منتصف السبعين: بلغت حافة الموت ثم ولدت من جديد!

نعم، أنا حافظ غريب الله، الشيخ المسنّ الحافظ لكتاب الله كما يعرّفني قوم يحسنون الظن بي، أحسن الله إليهم. يااه، ما أجمل الساعة الأولى من الصباح الناعس! الصباح الذي توقظه شمس عاشقة من نومه اللذيذ بقبلة حانية!.

مرحبا بكن شجيراتي العزيزات، كيف حالكن؟ لم أركُنَّ منذ زمن، وأي زمن! منذ شهر وما أطوله وأعسره من شهر! اعذرنني شجيراتي الحبيبات، كنت مريضا أتعالج، وها أنا اليوم جئت أزوركن بشوق، وأسقيكن بيدي بشغف.

وليس الآن بيدي قلم؛ ولكني قادر على إبلاغ كلمتي إليكم -أيها القراء الأعزاء- بحول الله وقوته، كما كنتم تبلغونني دعواتكم خلال مرضي الأخير الذي شفيت منه بفضل الله ثم ببركة دعواتكم لي. أحبكم وأشكركم بني قومي وديني.

أشعر الآن بتحسن مستمر في صحتي، وفي علاقتي بربي، والحمد لله. أحدثكم لأول مرة في حياتي عبر نص منشور عن ولادتي الجديدة في منتصف السبعين، بمخاض عسير يصحبه ألم وأنين؛ ولكنه ألمي وأنيني أنا هذه المرة، لا الأم الوالدة! أحدثكم عن حياة جديدة كتبها الله لي في هذا العمر، وعن تجربة الموت التي عشت على حافتها خلال الأسابيع القليلة الماضية.

ما شاء الله.. تبارك الله، كيف نمت هذه "المورينغا" سريعا هكذا؟ من كان يتعهدها بالرعاية والسقي خلال غيبتي؟ ما أجملها منظرا وألطفها ملمسا! أحبك يا مورينغتي!

أبدأ أولاً بتجربة الموت التي ابتدأت في صبيحة العيد تقريبا؛ الصبيحة التي تتجدد فيها روح الحياة بعد شهر صائم نهاره، قائم قانت ليله، عامر كل وقته بذكر الله وتلاوة القرآن؛ ولكنها كانت صبيحة كئيبة سوداء في وجهي. لم يكن عيدا سعيدا

إبراهيم حافظ غريب – مكة المكرمة

صاخبا يجمع الشمل والأحباب مثل كل عام، يجمعني ويحيطني بأولادي وأحفادي جميعا، يأتي بهم من كل أرجاء المدن إلى حضرتي. كان عيدا غريبا قاسيا لم أر مثله في حياتي.. جاء صامتا ذاهلا، ومضى خاويا ميتا لا روح فيه!.

وجلست وحدي في غرفتي أنتظر وفود أولادي علي تباعا دون جدوى.. طال انتظاري لهم، وتضاعف شوقي إليهم.. أصابني الهم، وركبني القلق.. داخلني الحزن، وتضاعف شعوري بثقل الانتظار.. تمددت على سريري أتخفف من شعوري، فلم أقم منه بعد أيام إلا إلى سرير المرض أو الموت في المستشفى!

لا عليك مورينغتي بعد الآن، اطمئني، ستجدين الرعاية الفائقة منذ اليوم، وسأزورك كل صباح كعادتي. وأنت أيضا أيتها "الكريلا"! كأنك بائسة وحزينة لغيابي عنك! لا عليك، ستستعيدين عافيتك سريعا منذ اليوم..

هل كنت أعيش في المستشفى؟ كلا..، هل كنت أموت؟ كلا..، هل كنت بين الحياة والموت؟ لا أدري..، بم كنت أحس في سائر جسدي؟ بآلام فظيعة لا تطاق! بم كنت أشعر في قلبي؟ بمشاعر مختلفات متناقضات لا يمكن وصفها..، كيف مضى وقتي؟ كيف كنت أشعر به؟ لم يكن يمضي؛ بل كان واقفا جامدا لا يتحرك، لا طعم له ولا لون؛ ولكنه مشحون ممتلئ، يضج بخلجات وخواطر صاخبة لا تُحكى ولا توصف!

المرض للروح حياة أخرى مستجدة ولكن غيبية، كما أنه للجسد مرحلة اختبار مختلفة ولكن بكثافة، وهو للعقل أسئلة مفتوحة لا قرار لها؛ خصوصا مع كبر السن وتقدم العمر: من أنت ولم عشت؟ كيف عشت ما عشت؟ هل أصبت ونجحت؟ هل أخفقت وانهزمت؟ هل ستنتهي وتغادر؟ ما المصير إذن؟ هل ستنجو وتستأنف؟ ما السبيل إذن؟ هل توفق فيما بقي؟ هل تخذلك نفسك؟ لم مرضت؟ لم ضعفت؟ لم سقطت وتهاويت؟ أعقوبة أم كفارة؟ ما الدرس المستفاد؟

ويندلع شريط العمر في ذاكرتي: هاجرت من أراكان شابا يقرب من العشرين، عشت أهوالا لا نهاية لها في الطريق المظلم الوعر، تنقلت بين المنافي الطاردة قبل أن أستقر في المهجر الغريب عني في كل شيء تقريبا؛ في اللغة والثقافة، والعادات والتقاليد، وطريقة العيش والتفكير. ورغم ذلك جعلت كل همي في الحياة أن أعيش لأهل بيتي، وصلاح أمورهم ومعاشهم، كافحت وجاهدت، ناضلت وقاومت، علمت أولادي جميعا ما عساهم أن ينجحوا به في حياتهم، جعلت أكثرهم يحفظون القرآن مثلي.

لم يدر بخلدي –وأنا أهاجر من أراكان– أني سأجد المأوى والمستقر، لم يخطر ببالي وأنا أواجه الحياة في مهجر جديد علي كل الجدة، مختلف عني كل الاختلاف، أني سأبلغ ما بلغت من نجاح في الحياة بحمد الله.

لماذا يخاف جيل اليوم ويضطرب أمام ما يواجهونه من تحديات الحياة؟ لماذا يقلقون من المستقبل الغامض الذي يترقبونه ولا يودون أن يبلغوه؟ لماذا يتخوفون من رفض الآخرين لهم المتعصبين ضدهم من ضعاف النفوس، وصغار العقول، وهم مثلهم في كل شيء تقريبا؟ في اللغة والثقافة، وفي العادات والتقاليد، وفي طرائق العيش والتفكير؟ {قل إن الأمر كله لله}، فليطمئنوا.. ولم لا يفعلون وقد كنت أنا وجيلي مثلهم؟ ليتني امتلكت في يدي الاطمئنان الذي بلغته الآن لأوزع عليهم منه بالحب والتساوي!.

أيتها الملوخية الزاهية: هل اشتقت إلي أنت أيضا؟ هل أصابك الجفاف، ومسَّك الحزن، ويبست منك الأوراق لفقدي وغيابي عنك!؟ لا عليك صغيرتي بعد اليوم، قد عدت إليكنَّ أتعهدكنَّ بالرعاية، وأبذل لكنَّ الحب والوصاية.. مرحى لكنَّ، وطوبى لي بكنَّ، إني لأحبكنَّ!,

وفيما كنت أعيش هانئا ذائقا حلاوة الاطمئنان التي شعرت معها بأني بلغت النجاح الذي طلبته لنفسي وولدي، وسعيت إليه سعيا بكل جهدي وطاقتي؛ إذا بصحتي تنهار وتتدهور دون سابق إنذار، وأسقط فريسة المرض سقوطا نفسيا مدويا من الداخل، وإن كانت آثاره غير بادية علي من الخارج. وحينها ينداح أمامي كتاب الحياة أحاسب نفسي على كل صفحة فيه؛ صفحة إثر صفحة، وأسائل نفسي بعد آخر صفحة:

ما الذي بقي أمامي مما يتوجب علي أداؤه من رسالة الحياة؟

وبعد تفكير طويل، وتأمل عميق ومراجعة للذات خلال ساعات المحاسبة؛ اهتديت أو هداني الله لأن أحاول التجرد بكليتي من كل علائق الدنيا، وأحقق العبودية الكاملة الخالصة لله بقدر جهدي وطاقتي الممكنة، أن أجعل من نفسي وروحي وجسدي وقفا لله تعالى فيما بقي لي من فسحة العمر، أن لا أفكر في غير الله، ولا أعيش إلا لله، وبالله رب العالمين، أن لا يخطر على قلبي غير الله سبحانه وتعالى في كل لحظة وحينٍ، أن أنسى كل من عداه من أهل وولد وقريب، وأكِل أمرهم إلى من تولى أمرهم، أن أعيش بجسدي على تراب الأرض مضطرا، وأن أحيا بروحي في أعالي السماء مختارا. وهنالك شعرت أني ولدت في الحياة من جديد!.

شجيراتي العزيزات: أستأذنكنَّ الآن عائدا إلى البيت، سقيتكنَّ ومنحتكنَّ ما كنت أنا في حاجة لبذله لكنّ من حبي وعطفي، وإلى اللقاء بكنَّ صباح الغد إن شاء الله. وما لي لا أحب الخضرة والجمال وأنا ابن الطبيعة الخضراء في أراكان الحبيبة؟ أنى اتجهت إلى ناحية من بلادنا صادفتك الخضرة، وراعتك مفاتنها حيثما نظرتَ والتفتَّ. بلادنا التي شغفتنا حبا وعشقا وجوى! ولولا الاضطهاد الديني والتهجير القسري لنا من عدونا لما رضينا أن نفارقها أبدا! فلأسرع بدخول البيت الآن قبل أن تتلظى الشمس وتشتد.. بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا...

– ماذا؟ أمازلت على حالك يا ولدي منهمكا تخط بقلمك كما تركتك منذ حين؟ أتراك تكتب قصتي يا إبراهيم؟■

مكارم الأخلاق

مسكين الدارمي

رُبَّ أُمـور قد بريتُ لحاءها ... وقومتُ من أَصلابها ثم زُعْتها

أُقيمُ بدار الحرب ما لَم أُهَن بها ... فإن خفتُ من دار هواناً تركتها

وأَصلحُ جلَّ المال حتَّى تخالني ... شَحيحاً وإن حق عراني أَهنتها

ولست بـولّاج البيوت لفاقةٍ ... ولكن إذا استغنيتُ عنها ولجتها

أَبيتُ عن الإدلاج في الحي نائماً ... وأَرضٌ بـإدلاج وهـمٍّ قطعتها

أَلا أَيُّها الجاري سنيحاً وبارحاً ... يُعرّض نفساً لو أَشاء قتلتها

تعارض فخر الفاخرين بعصبة ... وَلَو وُضِعت لي في إِناء أَكلتها

وإن لنا رِبْعيَّة المجد كلها ... مـوارث آبـاءٍ كـرام ورثتـها

إذا قصَّرت أَيدي الرجال عن العلا ... مددت يدي باعاً عليهم فنلتها

وداعٍ دَعـاني للعلى فأَجبته ... ودعوة داع في الصديق خذلتها

ومكرمةٍ كانَت رعاية والدي ... فعلمنيـها والـدي ففعلتها

وعَوراء من قيل امرئ ذي قَرابَةٍ ... تصاممت عنها بعدما قد سمعتها

رجاء غد أَن يعطف الرَّحم بيننا ... ومظلمةٍ منه بجنبي عركتها

إِذا ما أُمورُ الناس رثَّت وضيعت ... وجدت أُموري كلها قد رممتها

وإنّـي سألقى الله لَم أرم حرّة ... ولَـم تتمنَّ يـومَ سـرٍّ فخنتها

ولا قاذِفٌ نَفسي وَنَفسي بريئة ... وكَيفَ اعتذاري بعد ما قد قذفتها

(*) مسكين الدارمي: ربيعة بن عامر بن أنيف، شاعر شريف من سادات قومه، عاش في صدر الدولة الأموية، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٦٨/٨-٧٢).

الرؤية التراثية العربية للواقعية

قراءة في كتاب

«أخبار الحمقى والمغفلين» لابن الجوزي

د. أحمد يحيى علي محمد – مصر

إن اللغة بوصفها أداة للتعبير والتمثيل؛ أي تمثيل ما في العالم من أشياء (بشرية وغير بشرية)، وما يقع فيه من حوادث في سياقات لغوية حافظة لها بالنظر إلى ظرفها الزماني وبيئتها المكانية وسياقها الثقافي؛ هي بمثابة دليل كاشف يهتدي به الآتي بعدُ في ظل لحظته التاريخية التي يحياها، وعلاقته بمحيطه الجمعي الذي يأوي إليه، وهذه المرآة المسماة لغة تتيح للرائي تحصيل تجارب عبر القراءة، وصياغة رؤى إزاء ما يقع في عالمه تبعا لتشابه المواقف بين اللاحق والسابق عليه[1].

فتجارب البشر وإن كانت لا تتكرر بشكل حرفي، لكن فيها من مقومات التماثل ما يتيح لكل جيل إدراك ما تحمله من دروس وعظات مفيدة في معالجة ما في اللحظة الراهنة من أحوال. وفي النص القرآني الذي نزل ليكون مخاطبا وهاديا لأمة آخر الزمان ما في القصص المتصلة بسير الأولين ما يواكب القصد الإلهي من مسألة البعثة والرسالة، وينسجم مع هذه المسلمة الحيوية كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[3] فمقتضيات الدعوة تقتضي التحذير والإنذار للمخالفين الرافضين بتذكيرهم بما

أصاب من قبلهم.

واختيار الفكرة مراد اهتمام الكاتب يخضع لعوامل عدة، منها: قناعاته وما يؤمن به، واحتياجات الواقع الذي يعيش فيه؛ بوصف المكتوب رد فعل لواقع يحياه صاحبه، ويرى فيه من الفعل ما يستوجب من وجهة نظره تناولا بالقلم يخدم غايات يريد تحقيقها من خلاله[٤]، وتكوين النفس البشرية القائم على ثنائية (الخير والشر)، و(الإيجاب والسلب)، و(الجمال والقبح) يعد الإطار الذي ينضوي تحته كل مواقف البشر عبر مسارهم الزمني الممتد حتى انتهاء الدنيا.

وتأتي كتابات أهل العلم على اختلاف مشاربهم عاكسة – كلٌّ في بابه – هذا التكوين، وتماشيا بشكل واعٍ مقصود أو غير واعٍ معٍ منهج الدعوة المتبع من قبل الرسل المبعوثين. وفي حقل الفلسفة –على سبيل المثال– ظهر ما يسمى بمذهب المثالية ومذهب الواقعية، وكلاهما يتعامل مع واقع الذات الإنسانية على الأرض بمنظور مختلف مناقض للآخر؛ فبينما تنظر المثالية إلى الحياة بوصفها سعادة ونعمة لمن فيها، نجد الواقعية التي ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تتعامل معها بوصفها شرا ووبالا ونقمة[٥]، ولكل منهما بالطبع حيثياته ومبرراته، لكنَّ الاثنين في نهاية المطاف لا يخرجان عن حال النفس البشرية عموما المتنقل بين نقيضين، كلاهما يعبر عن هويتها بدقة؛ بوصفها حاملا لملاك داخلها ولشيطان يتنازعانها، ويظهر أثر عملهما في عمليات البناء والإنجاز والحضارة في مقابل مواقف الصراع والهدم والتدمير التي لا تخلو الأرض من الاثنين معًا (البناء والهدم)، ولن تخلو حتى لحظات النهاية بالنسبة إلى عمر الدنيا.

وابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد ٥٠٨-٥٩٧هـ) يقدم لنا مصنفات تعكس رؤية واقعية لها جذور بالطبع في تراثنا تتضمن موقفا من سياق اجتماعي يموج بما يتكون منه من شرائح بنماذج من البشر، منها ما هو قابل للاتباع والقدوة، ومنها ما هو غير ذلك، في سلسلة متعددة الحلقات، فيها كتابه «أخبار الظراف والمتماجنين»، وكتابه «أخبار الأذكياء»، وكتابه موضوع هذه الدراسة «أخبار الحمقى والمغفلين».

إن ثنائية (الجمال والقبح) يمكن العثور على تشكيل أدبي لها بالنظر إلى هذين المصنفين لابن الجوزي الذي يقع أحدهما موقع الضد من الآخر «أخبار الأذكياء» الذي قُدر له أن يذيع وينتشر مع خروج نقيضه «أخبار الحمقى والمغفلين»

إلى النور، وتلك مفارقة؛ فإذا كانت الأشياء تتميز بضدها فإن الذكي الذي يمثل نموذجا للقدوة التي تبني والجديرة بالاتباع يستحضر إلى العقل المتأمل الضد منه؛ ألا وهو القدوة التي تستوجب بقيمها الفكرية وما يترتب عليها من أفعال النفور والمخالفة. هكذا تطرح تجربة ابن الجوزي عبر كتابيه هذين؛ فمنطقة الحكمة في حياة الإنسان تلازمها منطقة أخرى تمثل موطنا للشر والانحراف؛ ألا وهي منطقة الفجور، ولعلنا نجد في قوله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٦] ما يعكس هذه الحال.

وابن الجوزي في الصفحات الأولى من كتابه «أخبار الحمقى والمغفلين» يعرض على قارئه حيثيات الوضع الخاصة بهذا الكتاب ونقيضه «أخبار الأذكياء» على هذا النحو:

«وبعد فإني لما شرعت في جمع أخبار الأذكياء، وذكرت بعض المنقول عنهم ليكون مثالا يحتذى؛ لأن أخبار الشجعان تعلم الشجاعة، آثرت أن أجمع أخبار الحمقى والمغفلين لثلاثة أشياء، الأول: أن العاقل إذا سمع أخبارهم عرف قدر ما وهب له مما حرموه؛ فحثه ذلك على الشكر...، والثاني: أن ذكر المغفلين يحث المتيقظ على اتقاء أسباب الغفلة، إذا كان ذلك داخلا تحت الكسب وعامله فيه الرياضة، وأما إذا كانت الغفلة مجبولة في الطباع فإنها لا تكاد تقبل التغيير، والثالث: أن يروّح الإنسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المبخوسين حظوظا يوم القسمة؛ فإن النفس قد تمل من الدؤوب في الجد، وترتاح إلى بعض المباح من اللهو، وقد قال رسول الله ﷺ لحنظلة: «ساعة وساعة». وعن حنظلة الكاتب أن النبي ﷺ ذكر الجنة والنار، وكنا كأن رأينا رأي العين، فخرجت يوما فأتيت أهلي فضحكت معهم فوقع في نفسي شيء، فلقيت أبا بكر، فقلت: إني قد نافقت، قال: وما ذاك؟ قلت: كنت عند النبي ﷺ، فذكر الجنة والنار، فكنا كأن رأينا رأي عين، فأتيت أهلي، فضحكت معهم، فقال أبو بكر: إنا لنفعل ذلك، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: ياحنظلة لو كنتم عند أهليكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطريق، يا حنظلة ساعة وساعة»[٧].

إن ابن الجوزي يطرح من خلال هذه المقدمة التي صدر بها كتابه منظوره للفن ورسالته –عمومًا – التي يجب أن تكون جامعة بين جانبي المنفعة والمتعة معًا[٨]؛ فلا نكتفي بواحد دون الآخر، ولا يطغى في الوقت نفسه أحدهما على الآخر، هكذا تقول كلماته هذه ضمنا دون تصريح، وفي سياق حديثه عن العلة فيما تضمنه كتابه وما يتصل به من ترويح بالهزل وذكره لمواقف منثورة وأشعار، من مثل إيراده أبياتا لأبي فراس الحمداني:

أروح القلب ببعض الهزل
تجاهلا مني بغير جهـــل
أمزح فيه مزح أهل الفضل
والمزح أحيانا جلاء العقل(٩)

يعلق في وعي القارئ مفردات متنوعة، مثل الواقعية، والأدب التعليمي، والترويح والتسلية والمتعة، والأدب الساخر؛ إن الموقع الذي يتخذه الكاتب إزاء ما في عالمه من ظواهر، موقفه منها موقف الرافض يقود إلى هذا الشكل الأدبي الفني المبني على السخرية، ونرى حضورا له في تراثنا العربي –على سبيل المثال– في هذه الشخصية التي تحظى بحضور في أدبنا الشعبي؛ ألا وهي شخصية جحا (أبو الغصن دجين بن ثابت الفزاري)؛ ومن ثم فإن مصنف ابن الجوزي يمثل مفتاحا لباب يمكن للقارئ الولوج منه إلى تلك الشخصية في تراثنا الشعبي، وما صاحبها من مواقف تعكس تجسيدا جماليا دراميا لمثالب وعورات موجودة في سياق واقعي معيش.

وينقسم الكتاب إلى أربعة وعشرين بابا، استهلها بذكر الحماقة ومعناها، وختمها بالباب الرابع والعشرين خصصه لذكر المغفلين على الإطلاق، وبين الأول والأخير يتوقف القارئ عند محطات، منها على –سبيل المثال– «ذكر اختلاف الناس في الحمق» في الباب الثالث، «وفي ذكر أسماء الأحمق» في الباب الرابع، و«في التحذير من صحبة الأحمق» في الباب السادس، و«في ذكر أخبار من ضرب المثل بحمقه وتغفيله» في الباب الثامن، و«في ذكر المغفلين من القضاة» في الباب الثاني عشر، و«في ذكر المغفلين من الأمراء والولاة» في الباب الثالث عشر و«في ذكر المغفلين من الكتاب والحجاب» في الباب الرابع عشر، و«في المغفلين من الأئمة» في الباب السابع عشر، و«في من قال شعرا من المغفلين» في الباب التاسع عشر، و«في المغفلين من القصاص» في الباب العشرين، و«في ذكر المغفلين من الحاكة» في الباب الثالث والعشرين.(١٠)

وتتفق طريقة ابن الجوزي في تشكيل مادة كتابه مع سمة تأليفية بنت عصرها؛ ألا وهي الخبر القصصي الذي يعمد صاحبه إلى ذكر الحكاية مصحوبة –في الغالب– بكيفية حصوله عليها من خلال ذكر الرواة الذين أخذ عنه، معطيا بذلك إيحاء بأن متن القصة المحكية حقيقي الحدوث؛ محاكيا بذلك الآلية التي كانت متبعة في جمع الحديث النبوي الشريف في ذاك الزمن؛ فبناء الخبر القصصي غالبا كبناء الحديث يقوم على سند ومتن(١١).

وبعد هذا العرض التمهيدي يأتي حديث ابن الجوزي عن الحمق والغفلة من بوابة المعجم؛ ليكون ما يرد ذكره من أبنية قصصية بمثابة تفصيل فني حكائي عاكس للمعنى المعجمي:

«قال ابن الأعرابي: الحماقة مأخوذة من حمقت السوق إذا كسدت، فكأنه كاسد العقل؛ فلا يشاور ولا يلتفت إليه في أمر حرب، وقال أبو بكر المكارم: إنما سميت البقلة حمقاء؛ لأنها تنبت في سبيل الماء وطريق الإبل، قال ابن الأعرابي: وبها سمي الرجل أحمقَ؛ لأنه لا يميز كلامه من رعونته...، معنى الحمق والتغفيل هو الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود، بخلاف الجنون فإنه عبارة عن الخلل في الوسيلة والمقصود جميعا؛ فالأحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه الطريق فاسد، ورؤيته في طريق الوصال إلى الغرض غير صحيحة».[١٢]

إن الأحمق والغافل مشهود لهم بحيازة العقل والوعي والإدراك، لكن الأداءات الموصلة إلى الغاية هي المحك والفيصل في الحكم والتصنيف بين الجدير برتبة الذكاء والحكمة، ومن ينزل عنها شاغلا نقيضها، وفي رحلة المتابعة داخل عالم ابن الجوزي يتوقف القارئ في الباب الرابع أمام ما للرجل الأحمق من أسماء أخرى يعرف بها، مثل: الرقيع، المائق، الأزبق، الهجهاجة، الهلباجة.. وغيرها، وما للمرأة الحمقاء أيضا من أسماء تعرف بها، مثل: الورهاء، الخرقاء، الدفنس، الخذعل، الهوجاء.. وغيرها.[١٣]

إن هذه المنطقة السلبية في الشخصية الإنسانية تقتضي نظراً يقف منها موقف الرافض لها، الداعي إلى النفور منها؛ لأن الله سبحانه وتعالى ركب في الإنسان أداة للفكر اسمها العقل، ومعها أداة للحب والكره –وهي أيضا محل الإيمان – اسمها القلب، وجعل معهما حواسَّ تربط هذا الإنسان بعالمه لتكون بمثابة أدوات وصل ومؤن يستعين بها في تفاعله مع عالمه؛ بوصفه خليفة في أرض الله الذي عليه أن يبني حياته وفق مراد ربه، والانحراف عن هذا القصد يؤثر بالسلب في واقع الفرد وواقع المجموع الذي يعد هذا الفرد جزءا منه؛ ومن ثم في بنية الحياة نفسها بوصفها وعاء حاضنا لكل حي من إنسان وغير إنسان.

وبلا شك فإن نموذج الأحمق والغافل ليس في صالح البناء الحضاري الذي على الإنسان أن ينجزه تبعا لما يمتلكه من مقومات الدين والدنيا، وفي هذا البناء يلمح الناظر المعتبر منظومة ثلاثية تقف وراء إقامته، هي: (العقل والقلب) و(الحواس) و(اللغة) التي تسير في مسارين أثيرين، المسارُ الأولُ مسارُ الرصد والتسجيل ذي الصبغة التاريخية لحاصل علاقة هذا الإنسان مع عالمه، وما يتمخض عنها من نتائج وتجارب، وفي هذا المسار تسكن معارف شتى تؤمن جميعها بما هو مشاهد وما هو ملموس، والمسار الثاني هو المعتمد على جانب الخيال الذي يعيد قراءة العالم وفق منظار يتجاوز الملموس والموجود ليقدم رؤية موازية مجازية متجاوزة ما هو

حقيقي قابل للمشاهدة وخاضع للتجريب، وفي هذا المسار الثاني يسكن الفن الموظف للغة بأشكاله المختلفة.

والخبر القصصي الذي مثل الوعاء الأشهر لكتاب الحكايات في تراثنا العربي يلجؤون إليه في وضع تشكيلاتهم المنثورة يشير في اعتماد المصنف العربي القديم عليه –ونموذجه ابن الجوزي– إلى منطقة التقاء بين ما هو تاريخي وما هو فني سمته الخيال:

«روينا عن الأحنف بن قيس أنه قال: قال الخليل بن أحمد: الناس أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري، فذاك عالم فخذوا عنه، ورجل يدري وهو لا يدري أنه يدري، فذاك ناسٍ فذكروه، ورجل لا يدري وهو يدري أنه لا يدري، فذاك طالب فعلموه، ورجل لا يدري وهو لا يدري أنه لا يدري، فذاك أحمق فارفضوه. وقال أيضًا: الناس أربعة؛ فكلم ثلاثة ولا تكلم واحدًا، رجل يعلم ويعلم أنه يعلم، فكلمه، ورجل يعلم ويرى أنه لا يعلم، فكلمه، ورجل لا يعلم ويرى أنه لا يعلم، فكلمه، ورجل لا يعلم ويرى أنه يعلم، فلا تكلمه. قال جعفر بن محمد: الناس أربعة، رجل يعلم ويعلم أنه يعلم، فذاك عالم فتعلموا منه، ورجل يعلم ولا يعلم أنه يعلم، فذاك نائم فأنبهوه، ورجل لا يعلم ويعلم أنه لا يعلم، فذاك جاهل فعلموه، ورجل لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم، فذاك أحمق فاجتنبوه».[١٤]

يعد هذا الاستشهاد الذي ورد في الباب السادس تحت عنوان «في التحذير من صحبة الأحمق» علامة دالة على الصبغة التعليمية التي حرص ابن الجوزي عليها في كتابه، يعول عليها في صياغة حالة نفسية وذهنية لدى المتلقي تتخذ موقف المخاصم لهذا الصنف، من خلال آلية توظف أسلوب العرض والتعليق، وبعد أن يعرج في الباب السابع على الذين ضرب بهم المثل في الحمق من بشر وحيوانات وطيور[١٥] يأتي في الباب الثامن ليذكر أسماء أعلام من العرب عرف عنهم الحمق، وضرب بهم المثل فيه:

«من أخبار هبنقة الأحمق: فمنهم هبنقة، واسمه يزيد بن ثروان، ويقال: ابن مروان، أحد بني قيس بن ثعلبة، ومن حمقه، أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف، وقال: أخشى أن أضل نفسي؛ ففعلت ذلك لأعرفها به، فحولت القلادة ذات ليلة من عنقه لعنق أخيه، فلما أصبح قال: يا أخي أنت أنا، فمن أنا؟!... واختصمت طفاوة وبنو راسب في رجل ادعى كل فريق أنه في عرافتهم، فقال هبنقة: حكمه أن يلقى في الماء، فإن طفا فهو من طفاوة، وإن رسب فهو من راسب... وكان إذا رعى غنما جعل يختار المراعي للسمان وينحي المهازيل، ويقول: لا أصلح ما أفسده الله».[١٦]

إن النزعة الساخرة في تقديم الحكاية طريق يلجأ إليه المرسل ليحقق مقاصده التربوية عبر هذا التأثير الإمتاعي المؤسس على جانب التسلية والترفيه الذي أشار إليه المؤلف في بدايات كتابه، تاركا الحكم للمتلقي الرشيد بعد أن تلتقي عنده الغايتان، غاية المتعة وغاية المنفعة بالمعرفة عبر الاقتراب من تجارب الغير.

«أبو غبشان الأحمق: ..هو من خزاعة كان يلي الكعبة، فاجتمع مع قصي بن كلاب بالطائف على الشرب، فلما سكر اشترى منه قصي ولاية البيت بزق خمر، وأخذ منه مفاتيحه وسار بها إلى مكة، وقال: يا معشر قريش هذه مفاتيح بيت أبيكم

إسماعيل، ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم، وأفاق أبو غبشان فندم. فقيل: أندم من أبي غبشان! وأخسر من أبي غبشان! وأحمق من أبي غبشان!. قال بعضهم:

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت
بزق خمر فبئست صفقة البادي

... ثم جاءت خزاعة فغالبوا قصيا فغلبهم».[١٧]

إن هذه الأذكار الحكائية لدى ابن الجوزي تقوم في غالبها على سؤال إجرائي مفاده: كيف يفكر

الأحمق؟ هذا السؤال الذي يستحيل إلى حزمة من الأفعال يؤديها، ويترتب عليها اتصافه بتلك الصفة المذمومة (أحمق)، التي تعد بمثابة حكم يصدره طرف آخر يتابع ويشاهد ويعايش، ويجب أن يحظى بمقومات تؤهله كي يكون حكما مبرأً من عوارض الهوى والجهل والقصور؛ لأن قناعته قد لا تكون ملكا له وحده تبقى ملازمة له، بل قد يُكتب لها الانتشار في فضاءات للتداول؛ ومن ثم لابد من إدراك ما للكلمة من مسؤولية تقع على عاتق مستخدمها كتابة ونطقا، وابن الجوزي ومن على شاكلته يقفون هذا الموقف؛ أي موقف المستأمن على الكلمة يصف بها ويحلل ويضع الحكم، الذي قد يكون سببا وأثرا في توجيه مسار غيره فردا كان أو مجموعا فكريا وسلوكيا؛ ومن ثم فإن فكرة اللهو المباح التي طرحها ابن الجوزي في مستهل كتابه، تحمل ضوابط تحول بينها وبين أن تصير عبثا بلا فائدة مرجوة في نهاية المطاف؛ خصوصا إذا كان هذا اللهو أوقاتا تتخلل مجالس الذكر وحلق العلم؛ لتكون ترويحا يبعث في النفس نشاطها، ويحول بينها وبين الانغلاق بالملل والفتور.

فمصنف ابن الجوزي إذًا يتجه صوب هذه المنطقة الزمنية الفاصلة بين لحظات الجد، ولا تتخلى على الرغم من طابعها المرح عن جانب القيمة يكتسبها المتلقي، ويسهم بها في إثراء رصيده المعرفي الذي بالقطع سيغادر صداه في واقعه وواقع غيره، في إطار ثنائية (العلم والعمل)؛ فكل منتج أدبي لا يحمل قضية، ولا يحمل في دوافع خروجه إلى دنيا الناس دعوة إلى تغيير من يستقبله من حال إلى ما هو أفضل منها عروجا ورقيا وإصلاحا فلا وزن له.

هكذا تقدم لنا ثنائية (الفعل والصفة الناجمة عنه) قناعة نستشفها من خلال متابعتنا للبناء الدرامي لشخصية الأحمق، وكيف يقدم رسائل سلبية بأفعاله تتنافى تماما وهذه الغاية الشريفة المذكورة في قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١٨]؛ إن هذه الرسائل تمتد بالنتائج المترتبة عليها إلى سياق العالم حوله؛ ومن ثم وجود هذا النموذج الإنساني القبيح يتطلب ردود فعل داعية

لمواجهته عبر آليات مختلفة، منها اللغة وتشكلاتها المتنوعة؛ بوصفه تشخيصا لقيمة تعرقل حركة الفرد والجماعة باتجاه البناء الإيجابي، ويبدو أن هذه سمة الفن عموما –والأدب أحد مظاهره– أنه ينظر إلى العالم؛ بوصفه حزمة من الأفكار ذات طابع تجريدي تتم صناعتها وفق لغة الرمز، والأمر بالنسبة إلى المعنيين بها ليس أمر أشخاص لها أسماء أعلام قد اشتهرت بها، إنما العبرة بما يصاحب الشخص من فكر ذي أثر.

«من حماقات جحا: وعن أبي بكر الكلبي أنه قال: فخرجت من البصرة، فلما قدمت الكوفة إذا أنا بشيخ جالس في الشمس، فقلت: يا شيخ أين منزل الحكم؟ فقال لي: وراءك، فرجعت إلى خلفي، فقال: يا سبحان الله، أقول: وراءك؛ وترجع إلى خلفك؟! أخبرني عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى:﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[١٩]؛ قال: بين أيديهم، فقلت: أبو من؟ قال: أبو الغصن، فقلت: الاسم، قال: جحا... قال المصنف: وجمهور ما يروى عن جحا أنه تغفيل نذكره كما سمعناه...

وحكى أبو منصور الثعالبي في كتاب غرر النوادر... مات جار له، فأرسل إلى الحفار ليحفر له، فجرى بينهما لجاج في أجرة الحفرة، فمضى جحا إلى السوق واشترى خشبة بدرهمين، وجاء بها، فسئل عنها، فقال: إن الحفار لا يحفر بأقل من خمسة دراهم، وقد اشترينا هذه الخشبة بدرهمين؛ لنصلبه عليها، ونربح ثلاثة دراهم، ويستريح من ضغطة القبر ومسألة منكر ونكير»[٢٠].

إن المثال القصصي السابق المتصل بشخصية جحا يقدم دليلا فنيا يختزل ما في واقع الجماعة الإنسانية عموما من النقيضين معا: الفضيلة والرذيلة، أو الحكمة والحمق، أو بتعبير النص القرآني (الفجور والتقوى)، والاثنان معا يسكنان –في الغالب– كل نفس بشرية، باستثناء من ولدت بخلل في العقل، أو أصابها في أثناء مسيرها في العمر، المهم أن الانتصار لأحدهما وجعل الغلبة له هو الذي يحدد هوية هذه الذات في واقعها، وهو الذي يقرر مصير هذا الواقع تبعا لما ستبثه إليه من أفعال قد تتجاوز سياق الزمان والمكان لصاحبها إلى ما بعده، ولعل في الأنبياء ومن نهج نهجهم من المصلحين وأرباب الإنجاز الحضاري أمثلة واضحة على هذه الحال الإيجابية لكل نفس غلبت نوازع الخير على نقيضها، ويؤشر في الوقت نفسه على ما تحظى به هذه النفس من قدرات فاعلة تتيح لها شغل مواقع التوجيه والتأثير في محيطها، بخلاف من وقف موقف المفعول المستسلم لعوامل الهوى والشيطان ونوازع الشر توجهه هي وتقوده إلى حافة أن يهدم بنيانه الذاتي أولا، هذا الهدم الذي قد يمتد من الفرد إلى ما حوله ومن حوله.

إن الحضور الفني لجحا يشكل نافذة يلج منها الناظر إلى سياق اجتماعي فيه من العوار ما فيه، ويستوجب بعد الترويح بالضحك وقوفا إيجابيا متأملا للحل والتغيير، يستغل الراوي الشعبي المقدم

له في سبيل هذه الوسيلة تفاصيل من دفتر يوميات شخصية ذات مرجعية تاريخية، في نهج استقرائي ينطلق من الجزئيات (التفاصيل) إلى أحكام يتركها باث الرسالة القصصية لمتابعها؛ فما جحا إلا رمز فني يفرض على من يراه عبر الكلمة الوقوف موقف المقارن بين أفعاله وبينه.

النساء المنسوبات إلى التغفيل:

ريطة الحمقاء: فمنهن التي نقضت غزلها، قال مقاتل بن سليمان: هي امرأة من قريش تسمى ريطة بنت كعب، كانت إذا غزلت نقضته... وهي من أهل مكة، وكانت معروفة عند المخاطبين، فعرفوها بصنعتها، ولم يكن لها نظير في فعلها، وكانت متناهية الحمق، تغزل الغزل من الصوف أو القطن، فتحكمه، ثم تأمر خادمها بنقضه، قال بعضهم: كانت تغزل هي وجواريها، ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن»[٢١].

حرص المصنف على تقديم صورة متوازنة لفكرة الحمق من خلال الإشارة إلى الشخصيات المتلبسة بها من مذكر ومؤنث دون تطرف في النظرة أو انحياز يقوض فضيلة الموضوعية التي على كل باحث علمي منصف التحلي بها في عمله.

إن هذه الحمقاء في المثال السابق تعد بمثابة تفسير لما ورد في قوله تعالى في سياق تحذيري ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾.[٢٢]

إن الهدم بعد البناء رجوع كارثي، وأشكاله متنوعة وكثيرة في حياة البشر عموما، يجدها المتأمل في الكفر بعد الإيمان، في المعصية بعد الطاعة، في الجهل بعد العلم.

إن لفظة أنكاث، المعبرة عن الحال تشير إلى هذا الوضع الشائن؛ أي الحل بعد الإحكام[٢٣]، ومن ثم فإن فكرة الحمق والتصاقها بهذه المرأة العربية تعد مرآة فنية يُرى فيها واقع بشري كائن متحرك بين طرفين.

إن سيرة الإنسان بصفة عامة يمكن إدراكها في حكاية هذه الحمقاء؛ فأزمنة الانحطاط والجمود الحضاري التي مرت عليها أمم العالم على اختلاف ألوانها ولغاتها بعد حالة التوهج والنضج، وتحول المنحنى من الصعود إلى الهبوط كما جرى للجماعة العربية المسلمة –على سبيل المثال– بعد أزمنة القوة والعطاء عبر مستويات عديدة في العصرين الأموي والعباسي وتحديدا بعد القرن الرابع الهجري يعبر تاريخيا عن هذه المرأة الساكنة فنا في مصنف ابن الجوزي، وتعد علامة سلبية على شخصية هابطة تنتقل من الفضيلة إلى النقيصة في زمن سمته المضارع، بالنظر إلى فعلها المذموم الذي كان يتكرر ولم يكن أمرا عارضا في

بنيان حياتها، هذا التكرار يتوسع به الرائي متجاوزا فضاء الفرد إلى فضاء المجموع، ومتجاوزا به سياقا عربيا إسلاميا إلى غيره، بالنظر إلى حال الأسرة الإنسانية كلها في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

وبناء على ما تم إيراده من نصوص من كتاب ابن الجوزي يتبين ما للكتاب من قيمة تاريخية على مستوى الفكرة، وقبلها ما يتمتع به من قيمة فنية على مستوى الصياغة الشكلية التي تتفق –إلى حد كبير– ومنهجية التأليف التي كانت سائدة في عصره؛ إذ هو حلقة في سلسلة إذا ما تم النظر إلى المصنفات النثرية التراثية القائمة على الحكاية، والكتاب في ظاهره وسيلة للتسلية، لكنه يحمل في أعماقه رسالة ذات أهمية بالوقوف على منطقة القبح في المكون الإنساني التي يتوجه إليها المصنف بقلمه، والتركيز على هذه المنطقة ينسجم ونظرة لها مكانها في مذهب الواقعية الذي خرج إلى بيئتنا الثقافية حديثا، ويتعامل مع جانب المأساة في حياة العنصر الإنساني، التناول التراثي لها لا يأتي منطلقا من نزعة تشاؤمية ملؤها الحزن، لكنه عند ابن الجوزي يظهر من بوابة الترويح بعد لحظات الجد، هذا الترويح –الذي لا يعني العبث غير المفهوم، الذي يتطلب ذاتا قارئة تمتلك الصبر والأدوات اللازمة لفك طلاسمه– ليس قضاء للوقت بطريقة سلبية، ولكنه إفادة وتعلم، في اتساق واضح مع الغاية التي يجب أن يحوزها كل عمل أدبي يرجو بقاء في أرض الناس؛ ألا وهو تحقيقه لمتطلبات المتعة، بحسن صياغته وما ينبني منه من لفظة وعبارة ترقي النفس وتهذب الطبع، والمنفعة –بالنظر إلى ما يحمله من قضايا– التي بها يُرجى أن تعرج النفس من درجة إلى ما هو أفضل منها■

الهوامش:

(١) انظر: د. عزت قرني، أصول الفن، (ص٣٤٨-٣٥١)، طبعة ٢٠١٦م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
(٢) سورة البقرة: الآية ١١٩.
(٣) سورة الكهف: من الآية ٥٦.
(٤) انظر: تيري إيجلتون، النقد والأيديولوجية، ترجمة: فخري صالح، (ص٨٤-٨٥)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة .
(٥) انظر: د.محمد مندور، الأدب ومذاهبه، (ص٩١-٩٤)، طبعة نهضة مصر بالقاهرة، دون تاريخ.
(٦) سورة الشمس: الآيات، ٧-٩.
(٧) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، (ص١-٤)، الموسوعة الشعرية الإلكترونية، ركن المكتبة، إصدار ٢٠٠٣م، المجمع الثقافي العربي، دولة الإمارات العربية المتحدة.
(٨) انظر: د.عائشة عبد الرحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، (ص٢٣١-٢٣٥)، الطبعة الثانية، دون تاريخ، دار المعارف بالقاهرة.
(٩) السابق، (ص٩).
(١٠) انظر: السابق، (ص١٢-١٣).
(١١) انظر: يوسف الشاروني، القصة تطورا وتمردا، (ص٤٨-٥٢)، الطبعة الثانية، ٢٠٠١م، مركز الحضارة العربية، القاهرة.
(١٢) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، (ص١٤-١٥).
(١٣) انظر: السابق، (ص٢٠-٢٢).
(١٤) السابق، (ص٤٠).
(١٤) انظر: السابق، (ص٤٤-٤٧).
(١٥) السابق، (ص٤٧-٤٩).
(١٦) السابق، (ص٤٩-٥٠).
(١٧) سورة البقرة: من الآية ٣٠.
(١٨) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، من (ص٥٤-٥٧). وقد مهد ابن الجوزي لحديثه عن جحا بما يشير إلى أنه قد روي عنه ما يدل على فطنة وذكاء، وأن ما قيل عنه مكذوب عليه؛ فقد وضع له بعض من كان يعاديه حكايات فيها افتراء عليه.
(١٩) سورة الكهف: من الآية ٧٩.
(٢٠) انظر: السابق: (ص٥٤).
(٢١) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، (ص٨٣-٨٥).
(٢٢) سورة النحل: من الآية ٩٢.
(٢٣) انظر: السيوطي، تفسير الجلالين، سورة النحل، الآية ٩٢، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، دار الحديث، القاهرة.

الحفل

كان الوقت ضحى عندما وقفا إلى جانبي، وأنا ألعب في ظل الحُجْرة الخلفية للمنزل ذي البهو الفسيح، قبل أن يقول أحمد بأنفاس متلاحقة: إدر.. يس.. يع.. مل؛ وتلقفه أخوه الأصغر إسماعيل في إجهاد واضح: عن..د.. عم..ك..رض..وان. دون أدنى تماطل يذكر.

انطلقنا ثلاثتنا نسابق ظلالنا إلى حيث منزل عمي رضوان؛ حتى إذا وصلنا، وقفنا في ظل وارف لشجرة باسقة، أعيننا على حركات إدريس، وآذاننا تلتقط كلماته، تماما كما اعتدنا أن نفعل كلما بلغنا أنه يشتغل مساعدا لبناء أو بنائين، أثناء تشييد، أو إصلاح بيت من بيوت قريتنا الصغيرة؛ فهو معروف بين الخاص والعام، بقوته البدنية، ويقبل على ما يكلف به بدون كلل ولا ملل، ويفعل ما يطلب منه فعله طيلة عملية البناء بمختلف مراحلها.

أما نحن فقد كانت تشدنا إليه حركاته في أثناء عمله، وعباراته المتقطعة، وهو يتوجه إلى صاحب المنزل في فترات متقاربة: "إذن ستصلح لي حجرتي؛ فهي في حاجة إلى باب، ونافذة و..".

يحرك صاحب المنزل رأسه موافقا، أو يقول: نعم على عجل، فيقبل إدريس على عمله ثم لا يلبث أن يقول هذه المرة في شبه توسل: "ستعزمني إلى الحفل عندما تنتهي من بناء منزلك!" بدل أن يجيبه بحثه في غضب على مواصلة العمل، أو يصله أمر من البناء، فيركض بما في يده من مواد أو أدوات، فنضحك ملء أفواهنا، وأعيننا مركزة على ظهره المقوس، وساقيه المنتفختين. ولا تمضي إلا دقائق معدودات حتى يطرح سؤاليه بشكل متقارب، فيجدد له صاحب المنزل وعده بلسانه أو حركة عجلى من رأسه، ولا يثنيه هذا عن طرحهما بعد مدة قد تطول، أو تقصر. حتى إذا انتهت عملية البناء برمتها سمح له صاحب المنزل بحمل بعض المخلفات، فيحملها فرحا، وهناك بجانب حجرته المتهالكة القابعة في نهاية القرية، يقضي أياما يرتبها، ويعيد ترتيبها، إلى حين استدعائه للعمل من

عمر فتال – المغرب

جديد، فيقبل عليه بهمة ونشاط، وبنفس الحركات، ومعهما طبعا السؤالان الملحان..

أذكر أننا ضحكنا في ضحى ذلك اليوم إلى أن دمعت أعيننا، فقد كان عمي رضوان يحثه على العمل، وهو يعده بصوت مرتفع: هيا يا إدريس.. اعمل.. اعمل؛ سأصلح لك حجرتك كما ينبغي، وسأعزمك يوم الحفل؛ فيضحك إدريس، ويركض، حتى لو لم يحتج الأمر إلى ذلك، فنشعر نحن الثلاثة ببهجة ما بعدها بهجة.

أذكر أني كنت غارقا في الضحك، عندما مسني أحمد بمرفقه، ثم ما لبث أن قال في شبه همس: انظر كيف يجعل كذب عمك رضوان إدريس يعمل أكثر فأكثر!؟ أحسست حينها بقشعريرة تسري في بدني بكامله، وعقدت كلمات أحمد الهامسة لساني، فلم أجد القدرة التامة على الإجابة عليه، حتى إنه عندما كاد إدريس أن يسقط، ضحك أحمد، وأخوه إسماعيل، ملء فميهما، وجلسا إلى الأرض، وعينا كل واحد منهما تدمعان، اقتصرت على ابتسامة باهتة، وفي أعماقي كانت تتردد عبارة أحمد مدوية: "انظر كيف يجعل كذب عمك رضوان إدريس يعمل أكثر فأكثر!؟" وخانتني الكلمات عندما هممت بالرد على ما قاله في حق عمي رضوان، ولأول مرة بدت لي حركات إدريس، وسؤالاه الملحان لا تستدعي مجتمعة الضحك، فكنت أجاري أحمد، وإسماعيل في الظاهر، وفي داخلي رد قوي، ومستميت على أحمد بالخصوص: "عمي رضوان لا يكذب على إدريس..". لكني مع ذلك لم أجد القدرة الكافية لقولها صارخة في وجهه على الرغم من أنه على مدار عملية البناء التي حضرنا مختلف مراحلها، اعتاد أكثر من مرة أن يمسني بمرفقه هامسا: "انظر إلى إدريس كيف صدق كذب عمك.. كذب عمك رضوان لا ينتهي.. اسمع.. اسمع؛ لقد قال له سأبني لك منزلا صغيرا!! ها هو إدريس قد صدق أنه سيحضر الحفل!! انظر إليه كيف يعمل بدون توقف".

لم يمض يوم واحد دون أن أسمع من أحمد هذا وغيره، وكثيرا ما زكى أخوه الأصغر إسماعيل، ما يقول، وإن كانت حركات، وكلمات إدريس غالبا ما تنسيهما الأمر، خصوصا عندما ينخرطان في ضحك متواصل لا يتقطنان معه إلى أني لم أعد أجاريهما فيه؛ حتى إني في الأيام الأخيرة من عملية البناء بدأت أتماطل في الذهاب معهما في الوقت المحدد.

ولما كانت الأمسية الأخيرة، وقد أخذ المنزل شكله النهائي، وقفت إلى جانبهما، نتابع حركات، وسكنات إدريس، وقد انخرط هذه المرة في تنظيف جوانب ذاك المنزل الجديد، وعمي رضوان يشير عليه في هدوء واضح بالقيام بهذا العمل، وهذه المهمة، وهو يلبي بدون تماطل، أو تهاون، وكاد الأمر يسير على ذاك المنوال، لما علا صراخ عمي رضوان على حين غفلة: "قلت لك: دع هذه البقايا جانبا".. ارتبك إدريس، وألقى ما في يده، ووقف لحظة شارد الذهن، قبل أن يواصل عملية التنظيف.

هنا دنا أحمد مني قائلا: "انظر إلى عمك رضوان؛ إنه يبخل على إدريس بتلك البقايا: "ألم أقل لك: إنه كان يكذب عليه طيلة تلك الأيام".

تنهدت من أعماقي، وما لبثت أن التفتت إلى الخلف، وأنا أكفكف دمعتين جرتا على خدي، قبل أن أتوجه نحو منزلنا بخطى حثيثة، ولم يمض إلا وقت قصير، حتى وجدت أحمد، وأخاه إسماعيل في البهو الكبير يتكلمان بلسان واحد: "بعد أن أنهى إدريس عمله، منعه عمك من حمل أية خشبة، أو حديدة مما تبقى من المنزل القديم، وقد انصرف المسكين إلى حجرته هذه المرة، ويداه فارغتان".

توالت الأيام، فعاودت اللعب وحدي في البهو الفسيح في الأصباح، والأماسي، وكدت أنسى كل ما حدث، إلى أن وجدتني مساء ذلك اليوم الربيعي الهادئ في معية أبي ببيت عمي رضوان الجديد، وقد تهيأ لاستقبال الضيوف.

تعدد ساعتها خروجي، ودخولي إلى ذلك البيت الجميل، وكانت عيناي تبحثان بين المدعوين عن إدريس، وكلما تقاطر الضيوف زرافات ووحدانا، خفق قلبي خفقات متتابعة، وعندما وصل أحمد، وإسماعيل صحبة والدهما، ضاق بي المنزل، وهممت لحظتها في عزم أن أتصل بعمي رضوان، لتذكيره بما سبق أن وعد به إدريس، غير أني لم أجده، فعدت أدراجي إلى حيث القاعة الغاصة بالضيوف الذين ملأت البهجة قلوبهم، وارتسمت علاماتها على وجوههم المستبشرة.

أما أنا فقد جلست في ركن منعزل كاسف البال، وأنا كذلك تجاوبت بدون مقدمات، ضحكات سعيدة داخل القاعة، فانتبهت مذعورا، فإذا عمي رضوان يأخذ إدريس من يده اليمنى، ويتقدم به إلى حيث المائدة التي تتوسط القاعة.

كان إدريس يضحك، ويشير تارة إلى البدلة الجديدة التي يرتدي، وتارة إلى عمي رضوان، دون أن ينطق بأي كلمة، حتى إذا اعتدل في جلسته، اقترب منه عمي رضوان قائلا في هدوء، واطمئنان: "إدريس يا إخوان يستحق مني أكثر من هذا!" وأعدكم أني سأقيم لكم حفلا آخر فور الانتهاء، إن شاء الله، من بناء منزل صغير له بدل حجرته المتهالكة تلك.

لم أملك نفسي عندما ألفيتني ألوح بيدي مفتوحة بالكامل، إلى أحمد وإسماعيل في أقصى القاعة، ولسان حالي يقول: "اسمعا وانظرا!" وإن كنت ناسيا شيئا، فلن أنسى بهجتي في تلك الليلة، إذ التصقت عيناي بإدريس، ولم تفتني أي حركة من

حركاته السعيدة، وهو وسط الضيوف الذين شرفوا عمي رضوان بحضورهم، ولا تسل عن الغبطة التي غمرت قلبي لما شاهدت في صباح يوم صيفي حار، عمي رضوان صحبة البناء ومساعده، وهما يأخذان منه التعليمات الأولى، قبل بداية بناء منزل صغير لإدريس قرب حجرته في هامش القرية، فقد قفزت في مكاني، وصفقت في فرح عارم؛ وسرعان ما ركضت صوب أحمد، وأخيه إسماعيل، وهناك في منزلهما صحت بأنفاس متقطعة: "عم..ي رضو..ان شر..ع في بنا..ء من..زل لإد..ريس".

بعدها أطلقنا سيقاننا للريح؛ غير أننا عند وصولنا، لم نضحك كما اعتدنا أن نفعل في سالف الأيام، فقد كان إدريس جالسا على كرسي صغير، يتابع في هدوء التحضيرات الأولى لعملية البناء، فدنوت حينها أكثر فأكثر من أحمد، ثم مسسته بكوعي، وأنا أشير إلى البناء ومساعده، وإلى القرب منهما عمي رضوان يصدر إليهما بين الفترة والأخرى بعض الأوامر.

لم تمض إلا دقائق قليلة حتى تبادلنا نحن الثلاثة الابتسامات؛ بعدها عدنا من حيث أتينا. أذكر أني كنت أسير إلى جانب أحمد، وإسماعيل منتصب القامة، وبين جوانحي تتجاوب أصداء حفل بهيج■

مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

علاء الدين حسن – سورية

مِـن أَيـنَ أَبـدَأُ فِـي مَـديـحِ مُحَمَّـد
لَا الشِّـعْـرُ يُنْصِـفُـهُ وَلَا الأَقْـلامُ
هُو صَاحِبُ الخُلُقِ الرَّفيعِ علَى الْمَدَى
هُـوَ مُـلْـهِـمٌ هُـو قَـائِـدٌ مِـقـدَامُ

* * *

مـحـمَّـدٌ أَشـرفُ الأَعـرَابِ وَالـعَجمِ
مـحـمَّـدٌ خَيرُ مَن يمشِي علَى قَدمِ
مـحـمَّـدٌ تَـاجُ رُسـلِ الله قَاطبةً
مـحـمَّـدٌ صَـادقُ الأَقـوَالِ وَالـكَلِمِ
مـحـمَّـدٌ حَـاكمٌ بِـالـعَدلِ ذُو شَرف
مـحـمَّـدٌ مَـعدِنُ الأَخـلاقِ وَالشِّيَمِ
مـحـمَّـدٌ ذِكـرُهُ رُوحٌ لأَنفُسـنَا
مـحـمَّـدٌ شُكرُهُ فَـرضٌ علَى الأُمـمِ
مـحـمَّـدٌ طَـابتِ الدُّنيَـا بِبعثتِه
مـحـمَّـدٌ جَـاءَ بِـالآيَـاتِ وَالـحِكَمِ

* * *

شَوقي إليكَ –رسولَ الله– دفَّاقُ
فَنهرُ حبِّك فِي الأَعمَاقِ رَقراقُ
لُقياكَ –يَا خَيرَ خَلقِ الله– أُمنيتي
علَى ضِفافِ الرِّضا وَالأُفْقُ برَّاقُ
كمْ لِلعُيونِ مِن الإِشراقِ لَو نَظرتْ
لِـنورِ وجهٍ لـهُ الأَنـوارُ تَشـتَاقُ
رَجَـاءُ نفسيَ أنْ أحظَى برؤيتِه
فِي جنَّةِ الخُلدِ فَالأَشـواقُ إِحراقُ

* * *

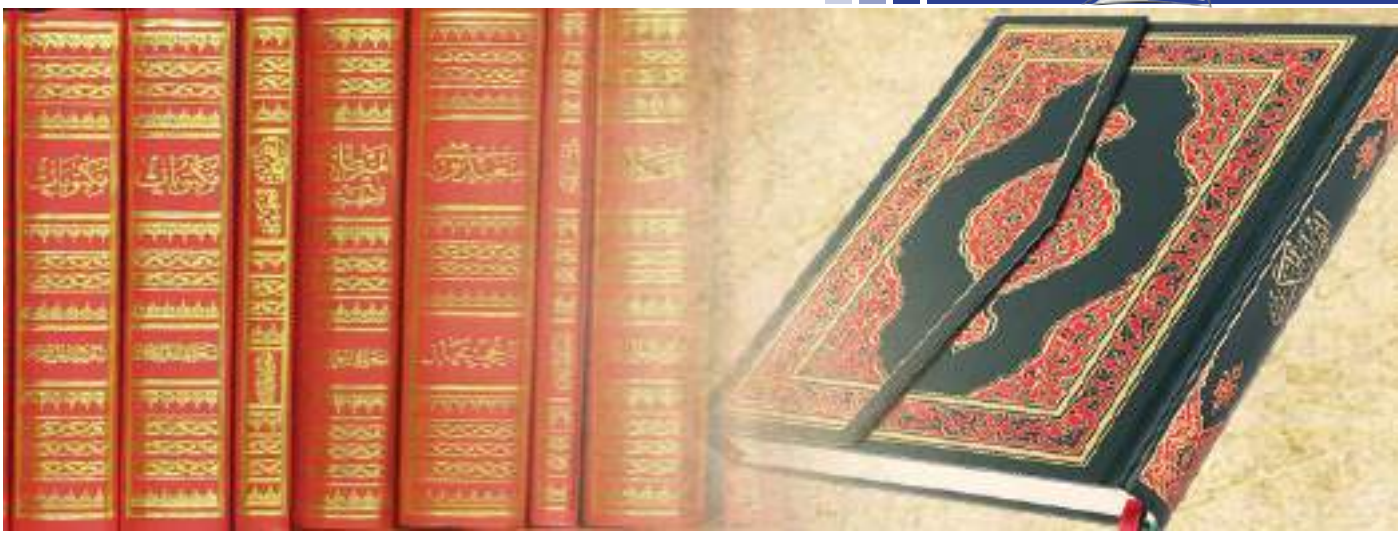

من ملامح الفكر الجمالي في
رسائل النور..
مقارنة مع نظيره في شعر الرومي

علم الجمال في شكله المنهجي التنظيري علم جديد، أول من نظّر له، وبحث فيه كفرع مستقل عن الفلسفة «أستاتيك» أي الإدراك أو المدرك بالحواس لا بالعقل هو «بومجارتن» الألماني (١٧١٤-١٧٦٢م)، وقد عرّف هذا العلم بأنه: «علم يبحث في الشعور والإحساس واللذائذ التي تبعثها مناظر الأشياء الجميلة»[١]. وباعتبار نوع المشاعر التي يبعثها الجميل في النفس فإن: «الجميل يبعث في النفس الشعور بالحب والجاذبية واللذة والسرور»[٢]، بينما القبيح يبعث: «الشعور بالكراهية والنفور»[٣].

محمد رشدي عبيد – العراق

أما الجليل في الفن والطبيعة والحياة فهو يشعرنا: «بالذهول والتوتر المصحوب بنوع من الفزع، ويمتلئ العقل بموضوع التذوق بحيث يعجز عن إدراك غيره»[٤]، وقد يبعث: «نوعاً من الكآبة أو الوجد يصح لنا أن نسميه ألماً لذيذاً. وسبب هذا أننا نُراعُ أمام هذه الأشياء باللانهاية، وهذا يحدث في النفس شعوراً بالضعة، ثم يتلوه شعور بالرفعة»[٥].

وقد كان النورسي فناناً وجمالياً وإن لم يمارس أحد الفنون الجميلة، كما مارس الرومي عزف الناي، فقد كان يصور الجمال بنثره الفني وينظّر له بفكره وفلسفته. ولقد كان

الفيلسوف الألماني الذائع الصيت «كانت» يتحدث عن الفن وعلم الجمال وهو لا يعرف شكسبير ولم يزر متحفاً للتصوير.. كما يقول عالم الجمال بارتليمي.

وقد ذهب برجسون إلى أن: «الفلسفة وعلم الجمال مختلطان.. ويجمعهما إطار واحد، وهدفهما واحد، وطريقتهما واحدة، وكلاهما مكلّف بأبعاد وأفكار فوق واقعية»[٦].

ولنبين بمقارنة نقدية بعض سمات الجمال عند النورسي.

الجمال تعددي ومقنّن بمعايير:

الجمال عند النورسي تعددي بعدد الروائح والطعوم والألوان[٧]، كما أنه يستعمل مصطلحات جمالية وكمالية متعددة كالانتظام والاتزان والتقنين والتزيين والانسجام والاتساق والإتقان والتساند والنقاء والأناقة والنظافة والطهارة والدقة والنظام والكمال والإحسان، وعدم الإسراف، وعدم العبث، والحكمة والتقدير والوزن والميزان والإبداع.

الجمال ذاتي وموضوعي:

وعلى الرغم من موضوعية الجمال ونسبيته وعلاقاته كما يرى ويؤكد الغزالي في الإحياء فيقول: «لا أحد ينكر أوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن»[٨]، فإنه يؤكد على دور الذات في تصور الجمال، ذلك أن كل إنسان في رأيه: «ينظر إلى الكون بمنظاره الخاص، وعلى وفق ما تصوره له مرآته الخاصة»[٩].

وعلى صعيد النظرة الفلسفية؛ فالمادية منها هي التي لا ترى إلا الشذوذ والناس المشوهين، وذلك ما ذهب إليه الرومي حين دعا في شعره إلى نزع الزجاجة الزرقاء عن العين لتدرك العالم على حقيقته، ويخرج من الأذن قطن الوسواس ليسمع هتاف الأفلاك، ويرفع عن ذهنه الزكام لينفذ إلى مشامه نسمات الله. وطرف أصبع واحد أمام العين يحجب القمر والشموس، والخيال قد يشوه الصورة الجميلة فيراها قبيحة.

وذلك الفهم الرومي[١٠] الذي تماثل معه النورسي ما تؤكده الفلسفة الحديثة التي تقرر أن من أسباب نقص الذوق الجمالي الخيال والملكات العقلية والاستدلالية، وهو ما يعزى إلى الفهم أو إلى عدم التدرب على الحكم، أو إلى الجهل وعدم الانتباه، أو قد ينسب إلى أسباب سلوكية مثل العناد أو التردد أو الرعونة[١١].

جدلية الشكل والمضمون:

عند النورسي تغليب للمضمون والمحتوى على الشكل، والمضمون لديه هو الحقيقة التي لا تموت أبداً، بل تظهر في تشخصات عديدة، وتظهر بحلل جديدة، وأن الحقيقة والصورة تتناسبان عكسياً زيادة ونقصاً[١٢]، كما يتجه إلى تخليد الجمال في المعاد داعياً إلى الزهد في جمال مزخرف إذا تناقض تحصيله مع معايير الدين، واعتبره عدماً[١٣].

وكذلك الرومي الذي يدعو إلى تملي تجلي باطن الذات البشرية ومعناها، لا جمال الشكل الحيواني[١٤]، فهو يقول: «فما الصورة أمام المعنى؟ إنها لضعيفة واهية، وما جعل الفلك متقلباً منكساً سوى معناه»[١٥]. فالنزعة الأخلاقية تنظم الاستمتاع الجمالي لتنجي من السرف والقرف.

الجمال والزوال:

كتب كثير من علماء الجمال عن التعاسة التي يشعر بها المتلقي حين ينتهي الاستمتاع الجمالي ويزول، وهنا كما بينا يأتي دور الإيمان والقيم في تأطير

الكمية الجمالية أحياناً، لأن قانون التغير الذي أصّله اليوناني زينون يحول عليه. وينقل الشهرستاني في الملل والنحل ذلك عنه، فالله جميل، وخالق الجمال، وله الحق في تحديده، وذلك من مصلحة الإنسان. وقد عبر النورسي عن

سعيد النورسي

المضاضة التي يشعر بها العاشق للجمال حين يفنى، والذي شبهه بالمناظر السينمائية وتجددها:

حكمة الإله تقتضي فناء الجسد، والقلب تواق إلى الأبد. لهف نفسي من بلاء وكمد، حار لقمان في إيجاد الضمد.

وقد بين أن النظرة الاستدلالية والبرهانية لم تسعفه في تفسير زوال الجمال وغياب شعاع الحسن.. وكذلك الماديات لا تقدم جواباً!.. إلا أنه عثر على وصفة إيمانية تعوضه عن جمال العالم خاصة حين رأى قلعة أنقرة وهرمها، وزوال دولة بني عثمان وشعوره بمشاعر الشيخوخة.. وهي الالتجاء إلى الله، والتعويض عن جمال الأشكال بجمال القلب، وكذلك فعل الرومي حين دعا إلى التحرر من عشق الصور، والبحث عن الله الحي لا الموتى، وصقل بصيرة الروح ما دامت الصورة تفنى على الرغم من شعوره بنفس المرارة النورسية، ونفس الحيرة التي دفعته إلى التساؤل: وماذا يكون القصد من تصوير نقش ثم غرس بذور الفساد فيه؟

وإني لأعلم يقيناً أن هذا عين حكمتك لكن مقصودي هو العيان والمشاهدة[١٦]. وتلك هي الاستحالة القصوى، ومع ذلك فقد دعا إلى عشق الحي فهو سيسقيه شراباً ينعش روحه.

أحس الرومي - ومثله النورسي- أن هذا العالم المادي على جماله وكأنه ظل، وأنه ينشئ الغفلة، وهو يكدر اللذة الجمالية، ويعود المشاهد على الغرور بالآفل الصائر إلى التبدد والضياع: «إن العشق الذي يكون من أجل نضارة اللون ليس بعشق وعاقبته سوء السمعة والعار»[١٧]، لذا أيس من الصفاء واللطف وردد: لا أحب الآفلين.. وتعلق بأذيال شمس تبريز.

وبينما تعلق الرومي بأعتاب الصداقة فكذلك النورسي دعا إلى الفناء في الجماعة، وأنشد مقولة الرومي الإبراهيمية.. كما أنه أدخل معامل الخلود في المعادلة لكي لا يتكدر الشعور بالجمال.

الإحساس بالجمال غريزي:

والإحساس بالجمال غريزي فطري مطبوع؛ فيتذوقه الإنسان بسلاسة واستشفاف.. وإن كان متأهلاً لتشربه يستقر في مشاعره نحو مجاليه عشق بكبر الكون[١٨] وكذلك قرر الغزالي أن الكمال والجمال والبهاء والعظمة محبوبة بالطبع عند من أدركه.[١٩]

وكذلك أشار الأنصاري في مشارق الأنوار (ص٩٧)؛ مبيناً أن لكل شيء مغناطيساً جاذباً للنفوس، ومغناطيس النفوس شعاع نور الجمال؛ لهذا كان تعاشق الأرواح حتى تتوجه نحو الاتحاد[٢٠].. والفرق بين الجذب

الأرسطوي والنورسي هو أن الله هو الذي يحرك الذرات في مفهوم النورسي بعضها نحو بعض أيضاً لإحداث الجمال والكمال، وليست حركتها ذاتية.. وهكذا يعرف الله[٢١].. وكل ما قرأته عن أرسطو أنه يرى أن الله هو الذي حرك الكون.. والنورسي في الشعاعات ذهب إلى بقاء صور الجمال طبيعياً وبقاء معانيها أخروياً.

الجمال يرقي الإنسان ويهذب مشاعره.

فيرقى المتلقي، ويعلو بتذوق الجمال إلى آفاق معنوية تنقذه من رتابة الأشياء أو النشاز في بعض الصور، ولا شك فإن القبح عند النورسي يُكشف به الجمال.. وأن الجمال عميق في الكون وأسسه عريقة.[٢٢]

كما أن اللذة الجمالية المتولدة من الإحساس بالجمال عبادة لذيذة، وتفكر رفيع وممتع.. كما رأى أن الصور المخلوقة الجميلة لها منافع، ومرتبة حسبها، ومفصلة تفصيلاً متقناً من أقرب طريق إليه، وأسهل شكل يعينه على أداء مهمته[٢٣]. وقد اكتشف في (بارلا) تسبيحات الأشجار، وصلوات الأزهار وأصداءها وأنغامها مترجمة لشكر معنوي لله.. وكذلك فعل الرومي.. كما لمّح إلى دور أسماء الله الحسنى في إضفاء الجمالية على الإنسان والطبيعة، كالدوائر المتداخلة وكأطياف الضوء السبعة، ووظيفتها أن يتعود الإنسان على الذكر فلا يقع في الغفلة التي تؤدي إلى الحسرة والشعور بالحرمان والفوات كما أشار الرازي[٢٤].

وكذلك الرومي يرى أن الجمال خُلِقَ ليتمتع وينتفع به الإنسان في حدوده المعقولة والمشروعة، فيقول: وكل ما صنع جميلاً رائعاً منمقاً فإنما صنع من أجل العين المبصرة، ومتى كانت الألحان بوزنها الخفيف والعالي من أجل أذن صمّاء معدومة الحسّ!؟ إن الله لم يجعل المسك طيب الأنفاس عبثاً، إنه خلقه للإحساس السليم، وليس من أجل الأخشم!.[٢٥]

وهناك فكرة جمالية أشار إليها علماء ومتصوفة وفلاسفة، وهي فكرة تجلي جمال الله في العالم؛ ومنهم ابن عربي، وعبد القادر الجيلي، والغزالي؛ فما دام العالم يزخر بمظاهر الجمال فلا بد أن يكون خالقها جميلاً.. وهناك حديث حول هذا المعنى.. ولتقريب المعنى إلى الأذهان العادية مثلوا بمثال المرايا التي تعكس الأشياء... وهكذا رأى النورسي آثار الجمال الإلهي متمثلة في كل زجاجة، في كل شيء شفاف وملون، في كل ذرة، وكل بلورة، وكل زهرة، ومجرة.. والقصر

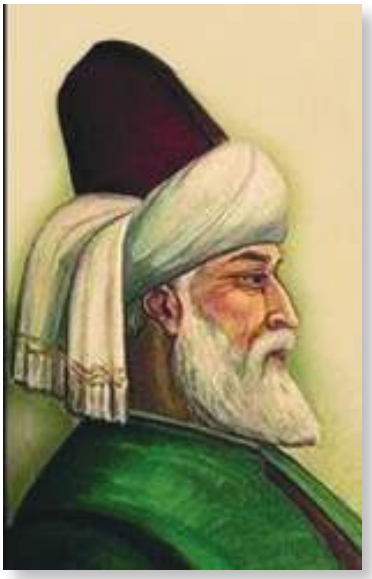

جلال الدين الرومي

المنير، والجبل الراسي، وكل طائر يطير، وكل نبات زاه، وزوج بهيج.. وكذلك الإنسان وجمالياته، والحياة ومشاهدها وتنوعاتها، والتاريخ ومآثره. ويسوق أدلة على جمال الله منها حاجة الإنسان إلى ذلك وحبه لله، ومنها وجود

الأفعال والسلوكيات الحسنة في الوجود، ومنها الحركة الدائرية للقطع الكونية كحركة المولوي العاشق.[٢٦] وهكذا ساد التفاؤل بالجمال نظرته إلى الوجود..

وكذلك قال الرومي عن فكرة استمداد الجمال والنور: «فاقتبس بروحك من النور الأول إن أردت، أو من الشمعدان إن شئت، فليس هناك من فرق في الحالين. وإذا شئت فانظر نور الله في سراج الآخرين، وإن شئت فانظره في شموع الغابرين».[٢٧]

وقد مثّل بقصة تاريخية حول أثر صفاء النفس في الإبداع الفني وهي استقدام سلطان الروم والصينيين لرسم لوحة فنية وكيف أن الصينيين ركزوا على الألوان الخارجية وإتقان الصنعة بينما اختار الرومي الأخذ مباشرة من الجمال العتيد المرسوم على صفحة الوجود، فكانت نتائجه الإبداعية أسهل تلقياً وأكثر نقاء وأرقى جمالاً.[٢٨]

وقد أشار القشيري إلى موضوعي الجمال والجلال، فذهب إلى أن: «معنى الجميل المحسن، والجميل بمعنى المجمل، وأن الله سبحانه يكاشف القلوب مرة بوصف جلاله، ومرة بوصف جماله، وإذا كاشفها بوصف جماله صارت أحواله عطشاً في عطش، وإذا كاشفها بوصف جلاله صارت أحواله دهشاً في دهش».[٢٩]

كما أشار كل من النورسي والرومي والغزالي إلى فكرة النور الإلهي، وساقوا أفكاراً عنه، وذلك بحاجة إلى تفصيل. وكذلك رؤية النورسي للفن الذي يفضله أن يكون معلياً للحقيقة لا ممعناً في الحس مما فصلناه في مقال بعنوان: الجمال والفن والأخلاق عند الإمام النورسي■

الهوامش:

(١) مبادئ الفلسفة، أ.س، رابويرت، ص٥٢.
(٢) مبادئ الفلسفة، ص٥٢.
(٣) مبادئ الفلسفة، ص٥٢.
(٤) أصل الجليل والجميل، أدموند بيرك، ت: أحمد حمدي محمود، سلسلة تراث الإنسانية، مصر، ص٧١.
(٥) مبادئ الفلسفة، ص٥٢.
(٦) بحث في علم الجمال، بارتليمي، ص٥٤٢.
(٧) الشعاعات، سعيد النورسي، ت: إحسان قاسم الصالحي، ص٧٧، دار سوزلر، إستانبول، ط١، سنة ١٩٩٣م.
(٨) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ج٥، ص٥٩، دار الكتاب العربي، بيروت.
(٩) الكلمات، سعيد النورسي، ت: إحسان قاسم الصالحي، ص١٥٠، دار سوزلر، إستانبول، ط١، سنة ١٩٩٢م.
(١٠) المثنوي، جلال الدين الرومي، ت: محمد عبد السلام كفافي، ج١، ص١٩٨-١٩٩، ٢٠١١، ٤٠٤، ط١، سنة ١٩٦٦م، صيدا – بيروت.
(١١) الجليل والجميل، ص٧٠.
(١٢) المكتوبات، سعيد النورسي، ت: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، ط١، سنة ١٩٩٢م.
(١٣) المكتوبات، ص٢١٢.
(١٤) المثنوي، ج١، ص١٤٥.
(١٥) المثنوي، ص٣٨٤.
(١٦) المثنوي، ج١، ص٩٣، ج٢، ص٨٤-٨٥، ١١٣، ١٨٧.
(١٧) المثنوي، ج١، ص٩٢.
(١٨) اللمعات، سعيد النورسي، ت إحسان الصالحي، دار سوزلر، ط١، سنة ١٩٩٣م، ص٩١.
(١٩) الإحياء، ج٥، ص٤٧.
(٢٠) المثنوي، تعليق المترجم ١٨٦-١٨٧، ج١، ص٤٠٨.
(٢١) الشعاعات، ص٦٨١.
(٢٢) الشعاعات، ص٩١، ص١٩٣.
(٢٣) الكلمات، ص٧٩٧.
(٢٤) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ج١٥، ص٦٥.
(٢٥) المثنوي، ج١، ص٢٩٩.
(٢٦) الشعاعات، ص٩٢.
(٢٧) الشعاعات، ج١، ص١٠٨.
(٢٨) الشعاعات، ص٣٩٦-٣٩٨.
(٢٩) شرح أسماء الله الحسنى، عبد الكريم القشيري، ط١، سنة ١٩٦٩م، مكتبة الأمانة، مصر، ص١٩٩-٢٠٠.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

د. سالم بن رزيق بن عوض- السعودية

بأبي وأمي أحمدُ المختارُ
شَمسُ الحَقيقةِ، سَيْفُها الخطّارُ

ومعينها الأسنى، يذوب عذوبة
وكريمها، وعظيمها المغوارُ

وفؤادُها الميمون، ناموس التقى
وشفيعها، وحبيبها الكرارُ

وجمالها الأهدى، يفض ضراعة
وخلالها، وجلالها الموارُ

جيلٌ من الخلق العظيم يضمه
وتقوده نحو العلى الأقدارُ

بأبي وأمي من تشرفت الدنا
تأوي إليه! وتزدهي الأعصارُ

وتذوب في يده القلوب حشاشة
وتفجرت من هديه الأحجارُ

وتعانق الطهرُ الطهور، وأينعت
في خطوه نحو اليقين قفارُ

وتحدث الكون العظيم بصوته
وتهدجت من صوته الأطهارُ

نور على نور القلوب وشعلة
هو للبرية بلسمٌ وشعارُ

يا من أتيت مبشراً ومخوفاً
ضاقت بهديك طغمةٌ فجارُ

يتلونون وينفثون سمومهم
ويسوقهم نحو الجحود سعارُ

نفثوا ضغائنهم، رسوما أظهرت
وجه الحضارة، شاهت الأنظارُ

وتفرعنت فيهم بقايا غلهم
وطغى على لون القلوب شجارُ

هم آفةُ العصر الذليل ووجهه
هم في البرية ذلةٌ وصغارُ

عجباً! وأحمد للوجود سعادة
تهفو إليه مع البحار بحارُ

عجباً! وأحمد للأنام محرر
تأوي إليه حمائمٌ وكنارُ

عجبا! وأحمد للظلام منور
ترنو إليه مع المنار منارُ

عجبا! وأحمد في الطهارة والنقا
فوق السحائب، تلتقي الأطهارُ

وتضوع من يده الشريفة جذوة
ويضيء منه على الوجود نهارُ

بأبي وأمي ذلك الوجه الذي
نطقت له في المسجد الأشجارُ

وتفجر الماء الزلال بكفه
وتراقصت في وجهه الأطيارُ

وتهادت الدنيا، تقيل بفيئه
وتنافست في فيئه الأنوارُ

ومشت تحرر كل قلب سادر
ويقوم في صدر الدنى الأحرارُ

فهنا حبيب الحق ينبوع الهدى
إنا على صلف العدى الأنصارُ

الحضور العربي في الرواية العالمية(*)

رواية: الخيميائي
رواية للكاتب البرازيلي باولو كويلو (الطبعة العربية الأصلية)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، عام ٢٠٠٥م، ترجمة: جواد صيداوي.

تسمع بالخيميائي فتخمن من عنوانه مضمونه، الذي قد يدور حول الوصول إلى الأهداف من خلال الابتكار، والتصميم، والإنجاز، وينطلق تفكيرك وتفكيري، تخمينك وتخميني، إلى تلك المحاولات القديمة للكيماويين السابقين، الذين حاولوا تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب.

حقا، هذا ما طاف بذهني قبل قراءة هذه الرواية، فماذا وجدت بعد قراءتها؟ أول مصافحة بيني وبين هذه الرواية كان وقوع عيني على الإهداء؛ فالكاتب يهدي روايته إلى (ج) الخيميائي، الذي يعرف أسرار الإنجاز العظيم، ومن هنا أمسكت بطرف الخيط الذي يمثل شبكة (باولو كويلو) في صيد القراء، وهو الانطلاق من مقولات مشهورة، أو أحلام مطروقة، أو أساطير متداولة شعبيا، ليعبر منها إلى قرائه.

فالرصيد الثقافي الشعبي هو مركب عبوره إلى ميناء قارئه، ووسيلته للوصول إلى شاطئه، والحياة في نظر باولو قافلة، وأفراد القافلة يتجه كل واحد منهم إلى هدف معين، وغاية خاصة، منهم من يصل، ومنهم من يسقط على مرمى البصر من هدفه، ومنهم من ينكص على عقبيه، غير أولئك الضعفاء الذين يتساقطون على الطريق. الذي يهم باولو هو الذي يظل يقتحم حتى يحقق العبور، أو الإنجاز كما يسميه.

هل سمع أحدكم بقصة الشاطر حسن؟ أو بإحدى مغامراته للوصول إلى هدفه؟ إذ يزوده الحكيم أو الشيخ بنصائحه وحكمه،

د.عبد الرزاق حسين – الأردن

(*) مجلة البيان، جمادى الأولى – رجب ١٤٣٠هـ/ شعبان – شوال ١٤٣٠هـ، تصدر عن اتحاد الأدباء في الكويت.

لينطلق بعدها منفذا هذه النصائح التي تشترط عليه التزامها، فإن التزم نجا من الغول، والوحش الكاسر، والنسر الضخم، والأفعى الشريرة، ليعود والبشر يطفح من وجهه، وقد أنجز المراد. أما إن خالف إحدى هذه النصائح فالهلاك مصيره.

هذه الحكاية في الأدب الشعبي العربي، وكذلك مغامرات السندباد، وعلي الزيبق، والزير سالم، وتغريبة بني هلال، كلها تقوم في أحداثها، وطريقة سردها، وشخصياتها على هذا النمط من الأسلوب الحكائي الذي أقام عليه باولو حكاية هذه الرواية (الخيميائي)، فهل اطلع باولو على الآداب العربية، والشعبية منها على وجه الخصوص، أم أن الآداب تتشابه، وبخاصة تلك الآداب الشعبية التي تعبر عن فطرة الشعوب. وهذا يظهر من قول الكاتب: «يتعانق تاريخ جميع البشر في صميمه على نحو يغدو معه تاريخا واحدا، تستطيع أن تعرف معه كل شيء؛ لأن كل شيء مكتوب"، (ص٩٢).

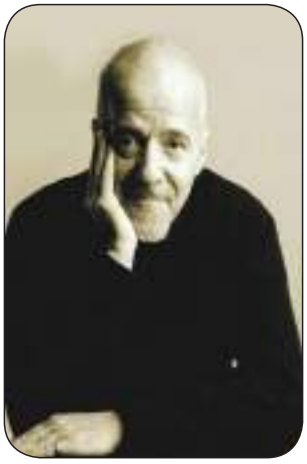

باولو كويلو

أما إجابة السؤال الأول، فالمطلع على شخصية باولو كويلو وسيرته وثقافته يظهر له من خلالها ميله إلى الثقافة العربية وتعمقه فيها، بل حبه لها. ولعلي أستنتج أن الجينات الوراثية في أصوله الإسبانية التي قد تعود إلى جينات وأصول عربية كان لها نصيب في هذا التأثير.

ويظهر حضور الثقافة العربية في هذه الرواية من خلال المقدمة أولا؛ فمقدمة الكاتب لسلسلة رواياته الصادرة بالعربية تتحدث عن أحد كبار متصوفي الإسلام، الذي ينقل عنه الكاتب: إن معلميه الذين تأثر بهم كثيرون، لكن أشهرهم ثلاثة: (لص، وكلب، وولد). وقد أراد بهذا النص إثبات (أن أحد أقدم الطرق التقليدية التي اعتمدها الإنسان لنقل معرفة جيله كانت القصص والروايات، (ص١١)، وليس غريبا أن نجد أثر اللص في الرواية كبيرا في أحداثها وبطلها بدءا وختاما، وهو يصرح بحضور الثقافة العربية، ويبين تأثره بها، قائلا: (وفيما يتعلق بي، كانت الثقافة العربية إلى جانبي خلال معظم أيام حياتي، تبين لي أمورا لم يستطع العالم الذي أعيش فيه أن يفقه معناها، واليوم أستطيع للمرة الأولى أن أرد على المكرمة بمثلها)، (ص١١).

تنطلق الرواية كما قلنا من البساطة والشعبية؛ فالشخصية الأساسية التي تقوم عليها الرواية شخصية راع أندلسي شاب، اسمه (سانتياغو).

والحدث يبنى على فكرة حلم يراه الراعي في منامه، يتمثل في كنز مدفون عند أهرامات مصر، وتبدأ رحلة تحقيق هذا الحلم بلقائه امرأة تفسر الأحلام تحدثه عن حلمه، وتطلب منه عند الحصول على الكنز، وتحقيق حلمه، إعطاءها جزءا منه، فيوافق على ذلك. ويتوج بداية انطلاقته بلقاء أسطوري مع أحد الملوك القدماء، هو ملك مدينة سالم (ملكي صادق)، الذي يكون بمنزلة الموجه والحافز والمرشد، وتبقى حكمته ونصيحته تدوي في أذنيه: (إذا رغبت في شيء فإن العالم كله يطاوعك لتحقيق رغبتك)، (ص٨٢). هذه العبارة تظل الدافع والمحرك لتحقيق حلمه وإنجازه.

وملكي صادق في التراث الديني المسيحي ورد في الكتاب المقدس في رسالة العبرانيين على أنه ملك سالم كاهن الله العلي، الذي استقبل إبراهيم راجعا من كسرة الملوك، وأعطاه خبزا وخمرا، وباركه، فأعطاه إبراهيم العشر من كل شيء.

وقد يرمزون به إلى المسيح، ويجعلون المسيح عليه السلام على رتبته، وبعضهم يجعله المسيح نفسه، وآخرون يفرقون بينه وبين المسيح في كلام كثير لسنا بصدد الحديث عنه، ومن أراد الزيادة فليعد إلى الإصحاح السابع، العدد ١.

والحكم على شخصيات الرواية، وأحداثها، وزمانها، ومكانها، يظل في دائرة الحدس، والبحث عن مقاصد المؤلف، وما يرمز إليه، ويرنو نحوه.

فلو تتبعنا المكان، فإن سلوك البطل في مسيره من جنوب الأندلس، وفي مدينة طريفا خاصة، ليمر عبر مضيق جبل طارق، مرورا بالمغرب العربي، ثم عبور الصحراء، حتى وصوله إلى مصر، ثم عودته إلى نقطة الانطلاق، وأن الكنز الذي حلم به مدفونا قرب الأهرامات يجده في أرضه التي كان يمشي عليها، بلا شك فإن كل هذه تعطي دلالات وانطباعات كثيرة، منها: الربط بين إسبانيا والبلاد العربية، خصوصا تلك الأسماء المهمة (جنوب الأندلس، طريفا، مضيق جبل طارق)، له دلالته الموحية؛ فوصول الإسباني إلى مصر على هيئة مستشار نتيجة لرؤاه الأسطورية، وأحلامه العجيبة التحقق، وتشبيهه بوصول سيدنا يوسف – عليه السلام – له أيضا دلالته، وتضاده في الوقت نفسه مع وصول العربي طريف بن مالك، وطارق بن زياد، وموسى بن نصير، وعبد الرحمن الداخل، الذي جعل من إسبانيا كنزا لا ينفد. والعقبات التي تكاد تحول دون تحقيق هدفه؛ كأن يسلب مرتين، وأن يتعرض لمخاطر الصحراء، وحروبها، وصراع البقاء مع حبيبته، ثم متابعة الرحلة، والوصول إلى الكنز وإرغامه من قبل اللصوص عند الأهرامات على دفع ما معه بعد الاعتداء عليه، والنيل منه، وإخباره بطريقة الحلم أيضا عن أن الكنز الذي يبحث عنه مدفون في قلعة من قلاع بلاده، وكذلك عودته من حيث أتى، والحصول على الكنز، كل ذلك له أيضا مقاصده وأهدافه؛ فقد نذهب بعيدا في رحلة البحث عن كنزنا المدفون في نفوسنا، أو تحت أرجلنا، هكذا هي الحياة، وهذا هو الطموح إلى فعل منجز على صعيد الروح الوثابة، والنفس الطماحة.

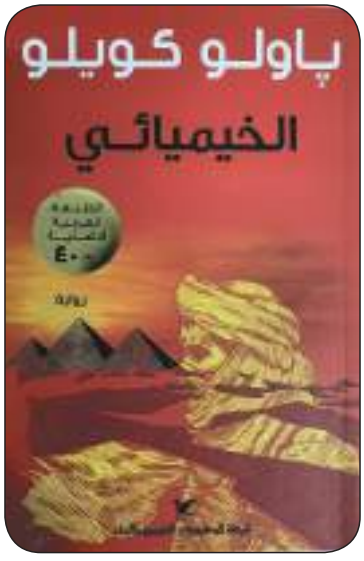

وتبدو الإشارات الفلسفية هي التي تسير البطل، وتسير به إلى هدفه، ومن هنا، فإن القبول بواقعية أحداث الرواية ينسجم مع قناعاتنا بأن الأحلام لا توضع في دائرة الواقع والمنطق، فالحلم يقفز عليهما، ويتجاوزهما من دون نقاش أو استغراب، وكذلك الرؤى الخيالية، والإشارات التي تجعل من البطل أسطورة تتحقق بنبوءاته ورؤاه وأحلامه؛ فهو تعلم أن يطيع الإشارات ويحترمها، كما قال له ملكي

صادق: (لكي تصل إلى الكنز ينبغي لك أن تنتبه للإشارات)، (ص٤٤)، وكما قال الخيميائي للفتى: (تابع سيرك باتجاه الأهرامات، وانتبه دائما إلى الإشارات: لقد أصبح قلبك قادرا أن يريك كنزك)، (ص ١٥٠), و(إمكانية تحقيق حلم يجعل الحياة جميلة) (ص٢٧)، والكنز معنا (لدى فاطمة، إنها الكنز الأعظم بين كل ما حصلت عليه)، (ولا تنس أنه حيث يكون قلبك يكون كنزك)، (ص١٣٤)، وقوله: (إن لكل إنسان على وجه البسيطة كنزا ينتظره)، (ص ١٥٠).

إن مهمة الكاتب تشبه مهمة العجوز قارئة الكف إلى حد ما، فهي تقول للراعي سنتياغو: (مهمتي تفسير الأحلام، وليس بمقدوري تحويلها حقيقة)، (ص٣١)، والكاتب مهمته الكشف والتوجيه، ومن مهماته في هذه الرواية أيضا البحث عن لغة جامعة تجمع البشر، وتتخطى اختلاف اللغات؛ لعلها تستطيع من خلال التعاون أن تشيد الأرض، وتبني الحضارة، فلغة الحب هي اللغة العالمية الفصيحة التي يدركها الجميع، (إنها هي بالذات لغة العالم النقي... اللغة الكونية)، (ص ١١٢)، (والحب يمكنه من اكتشاف أسرار العالم جميعها)، (ص ١١٣)، (وعندما نحب تكتسب الأشياء معاني أكثر غنى)، (ص ١١٨). بل إن الفتى سانتياغو، الذي يرى في بداية الرحلة قرب المغرب من إسبانيا إمكانية عودة الغزو، يغيرها الحب في نهاية الرواية؛ فالريح الشرقية التي هبت في بداية الرواية، وتحمل رائحة الغزو قبل أن يتعرف إلى مدينة طريفا لم يكن يتصور إفريقية قريبة إلى هذا الحد، وهذا يشكل خطرا كبيرا؛ إذ باستطاعة المغاربة غزو البلاد من جديد)، (ص٤٤٢)، لم تعد كذلك في ختام الرواية ولكن الريح عادت تهب من جديد، إنها الريح الشرقية؛ تلك التي تأتي من إفريقية، ولكنها لا تحمل معها رائحة الصحراء، ولا التهديد بالغزو، بل على العكس كانت تحمل أرج عطر يذكره جيدا، وبوح قبلة ترف بعذوبة لتنطبع على شفتيه. ابتسم، لقد كانت قبلتها الأولى، وقال: هأنذا يا فاطمة، إني قادم)، (ص١٨٦-١٨٧).

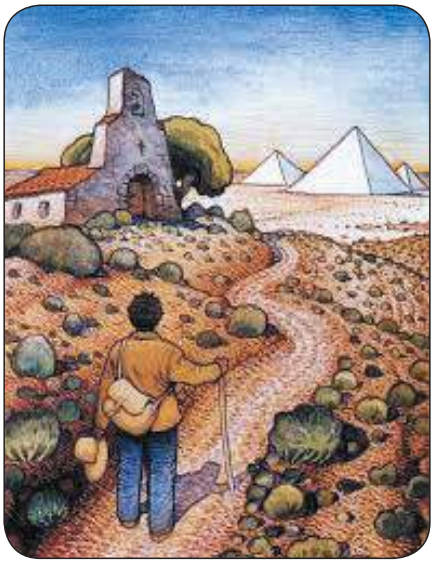

الحضور العربي للثقافة العربية والإسلامية يتضح من خلال صفحات الرواية عن المكان، والشخصية، والحدث، وفي السرد، والحوار. وإذا كان البطل يحلم بكنز مادي، فالمغربي المسلم يحلم بكنزه الروحي، فيقول له عندما يعلمه بهدف رحلته: (أما أنا، فكل ما أريده هو أن أحلم بمكة، تصورت آلاف المرات عبور الصحراء، وبلوغ الحرم حيث الحجر الأسود، والدورات السبع حوله)، (ص٧٠ - ٧١). هذا ما قاله التاجر المغربي الذي كان بطل الرواية يعمل لديه، فكأنه يقول له: لك كنزك الذي تحلم به، وأنا لي كنزي الذي أحلم به، وكل إنسان على ظهر هذه البسيطة له أحلامه التي يتمنى تحقيقها.

ولا يتوقف الحضور الديني عند ذكر مكة والحجر الأسود والطواف، بل يتعداه إلى إيراد بعض القيم من خلال القرآن الكريم؛ فقول العربي: (إن القرآن يلزمنا بإطعام أي جائع)، (ص٩١)، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (سورة الإنسان: ٨).

وتلاوة القرآن، وإيراد آيات من القرآن الكريم إذ يستشهد الجمَّال بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (سبأ: ٣٩)، (ص٩٣). وقصة يوسف عليه السلام، ص١٢٢-١٢٤)، وذكر أركان الإسلام الخمسة، والحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، والاستشهاد بأحاديثه؛ كقول الكاتب: (فالموت عموما يجعلنا أكثر انتباها للحياة)، (ص١٩١)، من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا».

والحضور الديني يستجلب الحضور القوي؛ وسيلة الاتصال في اللغة العربية، وكان الفتى مسرورا؛ لأنه يتكلم بالعربية)، (ص٧)؛ تلك اللغة التي عن طريقها لربما استطاع التعامل مع العرب، لأنه نجح في تعلم هذه اللغة الغريبة). (ص ٧٢)، والجانب الاجتماعي العربي يتمثل في اللباس العربي، فيتشبه بطل الرواية بالعرب ولباسهم، وها هو ذا قد ارتدى لباسا عربيا من الكتان الأبيض)، (ص٧٦). ولم تكن العلوم العربية والاكتشافات العلمية ببعيدة عن هذا الحضور، فقبل سنوات اكتشف في أحد تلك المؤلفات أن خيميائيا عربيا شهيرا زار أوربا، يقال: إنه ناهز مئتي السنة، وأن ذلك الخيميائي اكتشف حجر الفلاسفة، وإكسير الحياة)، (ص٨٣)، وانظر: (ص ٨٧، ٩٠، ٩٣، ١١٠، ١١٣).

ويبدو أن هذا الوصول قد لا يكون وصولا جسديا؛ فقد يكون وصل بعلمه وفكره وكتبه، وقد يكون المقصود بهذا القول الخيميائي العربي جابر بن حيان، الذي عاش عمرا ناهز التسعين عاما، واهتم من جملة ما اهتم به إمكانية تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب، وهذا كان غاية الخيميائيين السابقين من يونانيين وغيرهم، إضافة إلى اهتمامه بحجر الفلاسفة، أو ما يدعى بالإكسير، الذي يشفي من جميع الأمراض، ويعمل على إطالة العمر، بل الخلود في الحياة. ولا شك أن تأثير جابر بن حيان ملحوظ ومشهور في الثقافة الأوربية؛ فقد ظهر كثير من كتب الكيمياء المترجمة إلى اللغات الأوربية منسوبة إلى ابن حيان هذا.

وإذا كان أسلوب الكيمياء القديم يعتمد الخوارق والأساطير، والارتباط بالسحر، والرؤى والأحلام لتحقيق أهدافها في الوصول إلى الكنز، سواء أكان كنزاً ماديا؛ كتحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب وفضة، أم الكنز الروحي في جعل الروح تعيش أطول مدة ممكنة في إكسير الحياة؛ فإن الرواية تتخذ هذا الأسلوب لها منهجا سرديا للوصول إلى الهدف.

وتظهر بعض أفعال الشخصيات العربية؛ مثل قصة الصعلوك (تأبط شرا) مع الحية، (ص١٣٦)؛ فالخيميائي الذي يضع يده في داخل شق في الأرض ليخرج حية هي الحادثة التي حدثت مع الصعلوك الذي تأبط الحية، فلقب (تأبط شرا).

وأخيرا، فالمكان؛ مثل: سالم؛ أي: القدس، والمغرب، وطنجة، ومصر، والأهرامات، والقاهرة، والفيوم، ومكة، وأسماء بعض شخصيات الرواية؛ مثل: حسن، وفاطمة، ولغتهم، ولباسهم، بل كثير من القيم التي أوردها الكاتب: تبين هذا الحضور العربي في هذه الرواية■

وقلن نريد شرب الشاي!!

عبد السلام كامل – السودان

وكنت غفوت إصباحًا إلى أن يحضروا شايي
وكنت قرأت أورادي من القرآن والدعوات صالحةً
ليحفظ باقي السنوات من عمري
وبي عقل ليمنعني من الجهل
وبتّ أداعب الأحلام منتبهًا ومنتظرا
وجاءتني حفيداتي.. سُهى وسُهيْلُ والصُّغرى
أتين كما الليالي البيض في إيماضِها زُهرا
أتين كما الصباحُ الطلق يقبِل بالنسيماتِ
وقد نادين يا جدّي! فيا جَدّي ويا جدّي!
فما تبغين؟ قلن إذًا.. لعل المبتغى عندي
قلن نريد تقبيلا لوجه حسن الخد
ولم يتركنني كيما أقبّل ناعم الورد
وقلن نريد شرب الشاي.. قلت الشايُ كالشهد
وصرت كأنني طفل يشمّ روائحَ الندّ
ثم هربْن مثل الطيف في ليلاتنا تترى
غدًا يكبرن.. لن يكبرن.. بل سيزدنني عمرا
غدًا سيُحلْن ليلاتي إذا قبلْنني فجْرا
وما أدري إذا السنوات مرت ما الذي يبقى؟
ترى يذكرنني يوما؟ يقلن نحبّ ذكراه؟
أهل سيجدنني فيها أم سيجدن أوراقي
يحَدّث سطرُها شعرا؟
ويا فرحِي إذا يأتين
مثل البدر يتبعه شموسٌ غيرَه أخرى
أيا أيامي اللاتي أود أزيدها عمرا
تعاليْ أسعدي روحي وكوني فرحة تنمو
كما تنمو حبيباتي.. سهى وسهيل والصغرى

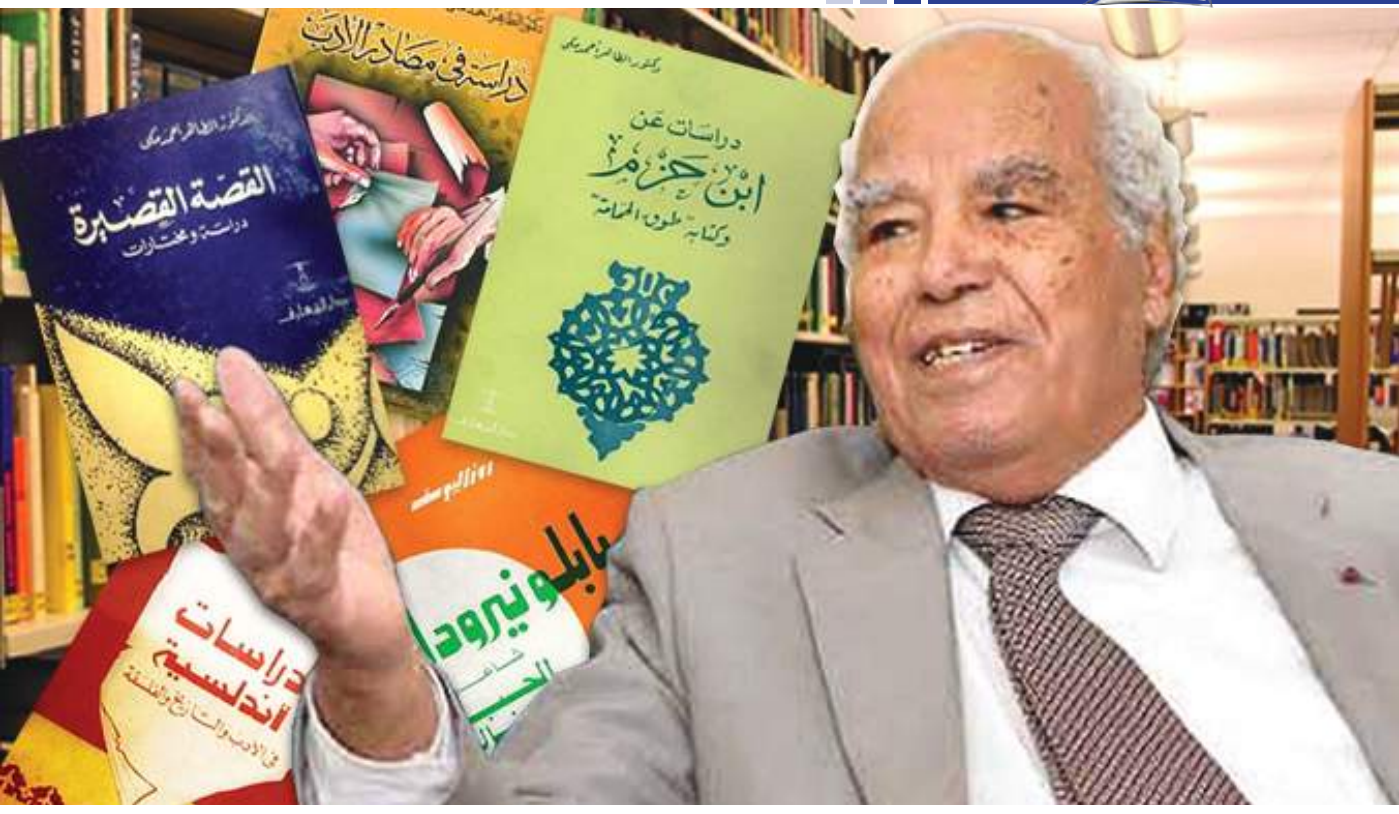

منهج الطاهر مكي في الترجمة من الآداب الغربية

صلاح حسن رشيد – مصر

لقد حلّق العلاّمة الدكتور الطاهر أحمد مكي (١٩٢٤-٢٠١٧م) عالياً؛ وبعيداً جداً عن الآخرين في ميدان الترجمة؛ عندما توالت مُتَرجماته من الآداب الغربية: الإسبانية، والفرنسية، والإنجليزية، والقشتالية، والبرتغالية، والإيطالية، والهولندية، واللاتينية إلى اللغة العربية؛ إذْ إنه أحال النص المترجَم إلى عمل آخر؛ فكأنه من تأليفه، وإبداعه؛ بأسلوبه الفني البديع؛ وفهمه الدقيق لمراد المؤلف؛ ولعلو كعبه في اللغة المنقول منها؛ وفي اللغة المنقول إليها!

ومَنْ يقرأ ترجماته القشيبة؛ لا يدرك أنه يقرأ ترجمةً؛ بل يُوْقِن تماماً؛ أنه يقرأ لأديب غربيّ؛ بقلم عربيٍّ رصينٍ؛ لروعة الأسلوب؛ وسحر الصِّياغة؛ ومتانة السبك؛ والفهم الواعي لأفكار المؤلف! إذاً؛ فهذا هو الطاهر مكي؛ مترجماً؛ ومبدعاً؛ وفنّاناً؛ وموهوباً!

شهادة محمود علي مكي: بحق الطاهر مكي!

وعن مكانة الطاهر مكي مُتَرْجِماً عاليَ الأسلوب، وأديباً فائق المنهج؛ قال الدكتور محمود علي مكي في حفل استقبال الدكتور الطاهر أحمد مكي عضواً بمجمع الخالدين اللغوي في القاهرة؛ في عام (١٩٩٩م): «وترجمات الطاهر مكي نموذجٌ للإتقان والجمال الفني؛ نرى فيه التوازن الذي لابد أن يتوافر بين معرفة النص المترجَم عنه، وفهم مقاصده، وبين تمكُّنه من اللغة التي يترجِم إليها؛ وأول ما أُشير إليه من ترجماته؛ نقله لـ(ملحمة السِّيد)، وهي أول شِعرٍ إسبانيّ؛ يصل إلينا؛ بكل ما تحمله إلينا من خشونةٍ، وبداوةٍ في لغةٍ بيِّنة الصعوبة؛ ومع ذلك؛ فقد قدَّم إلينا الطاهر مكي هذا النص العسير في لغةٍ جزْلةٍ قويمةٍ؛ استطاعتْ أن تحمل إلينا قِيَمه الجمالية؛ وقد قدَّم للنص المترجَم؛ بدراسةٍ وافيةٍ في حياة هذا المغامر القشتالي؛ الذي عاش في بيئةٍ عربيةٍ، وتأثر بحياة المسلمين الذين عايشهم، وكانوا يُؤلِّفون شطراً كبيراً من جنوده، ثم استقر في نهاية حياته في بلنسية؛ وكأنه أحد ملوك الطوائف المسلمين. وقد نختلف مع الطاهر مكي في بعض تأويلاته؛ مثل ردِّه اللقب الذي عُرِفَ به هذا المُغامِر؛ وهو (السِّيد) إلى معنى (الذئب) مُخالِفاً بذلك؛ ما اتفق عليه أكثر الباحثين؛ من أنه الصيغة الدارجة للقب السيد العربي؛ ولكن فيما عدا ذلك؛ ترى في ترجمته مغامرةً كبيرةً؛ تكلَّلتْ بالنجاح والتوفيق».

محمود علي مكي

الطاهر مكي وطلاوة الأسلوب

ويضيف محمود علي مكي قائلاً عن منهجية الطاهر مكي في الترجمة وريادته، وروعة أسلوبه: «وتلا ذلك؛ ترجمات لعديدٍ من دراسات المستشرقين الفرنسيين، والإسبان حول مختلف الموضوعات الأندلسية؛ وعن الفرنسية ترجم الطاهر مكي كتاباً لبروفنسال (الحضارة العربية في إسبانيا)، وهو مجموعة محاضرات، تتناول بعض جوانب الحضارة الأندلسية. وعن الفرنسية أيضاً ترجم كتاب (الشعر الأندلسي في عصر الطوائف)، ويعد أوفى دراسةٍ ظهرت حتى الآن لفترةٍ من أزهر فترات الشعر الأندلسي، وهي عصر الطوائف؛ الذي كان عصرَ تدهورٍ سياسيّ واجتماعيّ، ولكنه كان عصرَ نهضةٍ كَبيرةٍ في سائر ألوان الثقافة، وفي الشعر بخاصة.

وعن الألمانية؛ كانت ترجمته لجزأين لمؤلَّف كبير للمستشرق فون شاك بعنوان (شعر العرب وفنّهم في إسبانيا وصقلية)، وهو كتابٌ يرجع تأليفه إلى سنة (١٨٦٥م)، وكانت طبعته الثانية سنة (١٩٧٧م)، وكان يعد عند ظهوره، وحتى سنواتٍ قليلةٍ بعد ذلك؛ أحسنَ ما كُتِبَ عن الشعر الأندلسي؛ ولهذا سارع بترجمته إلى الإسبانية أديبٌ؛ لم يكن مستشرقاً إلا أنه كان شاعراً، وكاتباً ذوّاقاً للأدب الجيّد؛ هو خوان باليرا، وكان إلى جانب ذلك أندلسياً من مدينة قبرة؛ مهد أول مُبْتَكِر للموشحات الأندلسية؛ مُقَدَّم ابن مُعافَى، أو محمد بن محمود القبري؛ فاستطاع أن يُقَدِّم ترجمةً رائعةً

للنص الألماني؛ أعانه على ذلك أيضاً؛ إعجابه وتقديره لحضارة المسلمين في الأندلس.

وعلى الرغم؛ من قِدَم هذا الكتاب؛ الذي كان اعتماده في المقام الأول على كتابات المستشرق الهولندي دوزي، وأنَّ ما نُشِرَ حتى أيامه من النصوص الأندلسية؛ كان قليلاً؛ فإنه استطاع أن يُحْسِن استخدام ما توافر له من مادة شعرية، على نحوٍ جديرٍ بكل تقدير. ولهذا؛ فإن الطاهر مكي؛ لم يرَ بأساً في الإقدام على ترجمة الكتاب، لا عن أصله الألماني؛ وإنما عن ترجمته الإسبانية، ونحن نعلم ما يكتنف مثل هذه الترجمات عن لغة الوسيط من مخاطر؛ ومع ذلك؛ فقد جاءت ترجمته لهذين القسمين من كتاب دوزي؛ على ما عهدنا من سلامة، وجمال أداء، وكان الجزآن اللذان نشرهما من هذا الكتاب، هما القسم الأول من المجلد الخاص بالشعر، والمجلد الأخير الخاص بالفن، أما الجزء الخاص بالشعر؛ فإنه عرض عام للشعر الأندلسي، مع مختاراتٍ أحسن انتقاءها، وملاحظات لا تخلو من القيمة. وأما الجزء الخاص بفن العمارة؛ ففيه ملاحظاتٌ؛ لم تفقد جِدَّتها حول الإسلام، وموقفه من التصوير، وربما كان أهم ما في هذا الجزء؛ ملاحظاته حول الفن الإسلامي في صقلية، ثم المعمار العربي الإسلامي في جزيرة مالطة»!

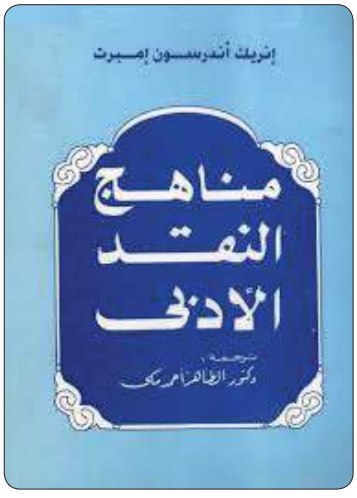

حكاية الطاهر مكي مع الترجمة

وعن رهافة حس الطاهر مكي في الترجمة؛ تقول الدكتورة يمنى رجب في رسالتها للدكتوراه؛ التي عنوانها (منهج الطاهر مكي في الدراسات المقارنة نظراً وتطبيقاً)؛ والتي نالتها بمرتبة الشرف عام (٢٠٠٩م) في كلية الألسن بجامعة عين شمس بمصر (ص٣٧٠): «لا تبدو الترجمة الأدبية في حياة الطاهر مكي حدثاً عابراً؛ بل لقد كانت رافداً مهماً من روافد ثقافته وتكوينه في البداية؛ ونِتاجاً مثمِراً متأصلاً بعد ذلك».

الذين أثّروا في الطاهر مكي أدبياً

ويحكي الطاهر مكي قصته مع الترجمة متأثراً ومؤثراً في لقاءٍ تسجيليّ معه عام (٢٠٠٨م)؛ فيقول في (ص٣٧٠) من رسالتها: «كانت البداية في المرحلة الثانوية؛ فقد كنتُ أقرأ (آلام فرتر) لجوته الألماني، وترجمة أحمد حسن الزيات عن الفرنسية، وكنتُ وأنا أقرؤه أبكي، واكتشفتُ أنه أبكى الناس، ودفع بعضهم إلى الانتحار؛ لأن موضوعه قصة حبّ حزينة، ولا أزال أذكر الموقف الذي أبكاني فيه؛ كنتُ على النيل، وبكيتُ على البطل. الكتاب الثاني: (رفائيل) قصة رومنسية من الأدب الفرنسي، وترجمها الزيات أيضاً، وكنتُ أميل إلى

الكتب التي تترجم في أسلوبٍ أدبيّ رائـع.. وقد تأثَّرتُ بأسلوب أحمدَ حسنِ الزيات في الترجمة، وأسلوب الدكتور محمد عوض محمد؛ حيث ترجم (فاوست) وقرأتها.

وقبل سفري إلى إسبانيا؛ كنتُ أعِدُّ نفسي لبعثةٍ إلى فرنسا؛ ولذلك درستُ اللغة الفرنسية؛ لكنْ عندما قامتْ حرب عام (١٩٥٦م) قطعت علاقتنا مع فرنسا؛ فجاءتْ مِنْحَةٌ إلى إسبانيا، وسافرتُ إلى هناك، ولم أكن أعرف من اللغة الإسبانية شيئاً؛ فبدأتُ أتعلَّمها، وكان تدريس اللغة هناك صعباً؛ فقد خرجتْ إسبانيا من الحرب الأهلية، وكل شيء فيها يحتاج إلى التطوير.

وبعد عام؛ كنتُ قد قطعتُ شوطاً كبيراً في تعلُّم اللغة الإسبانيَّة؛ لأنه كان عليَّ أنْ أجتاز امتحاناً تحريرياً من أربع مواد، وكلها بالإسبانية.

أمّا المادة الخامسة: الحضارة الإسلامية، والتاريخ الإسلامي؛ فكان امتحانها شفهياً. ولكي يتقدَّم الطالب بالتسجيل للدكتوراه؛ لابد أن يجتاز هذه الامتحانات، وأن يتقدم ببحثٍ صغيرٍ؛ تناقشه لجنةٌ مكونةٌ من ثلاثة أساتذة؛ فكتبته باللغة الإسبانية، وأعطيته أستاذي آنذاك، ومشرفي فيما بعد إميليو غرثيا غومث؛ فسألني: مَنْ كتبه لك؟ فأجبته: لم يكتبه أحدٌ؛ بل كتبته بنفسي! فضحك غومث، وقال: أنت كتبته بعد عام واحد، وأنا أدرس العربية منذ خمسين عاماً، ولا أستطيع كتابة خطاب صحيح باللغة العربية، وطلب مني؛ أنْ يُراجِع البحثَ إسبانيٌّ أولاً؛ ثم يُراجعه غومث فيما بعد. وكان هذا أول احتكاكٍ لي باللغة الإسبانية».

مكتبة الكونجرس تقتني ترجمات الطاهر مكي

ويضيف الطاهر مكي قائلاً؛ ليمنى رجب عن أبعاد تجربته العريضة المديدة البليغة مع الترجمة الأدبية (ص٣٧١): «أول كتابٍ ترجمته كان (مع شعراء الأندلس والمتنبي)، واستغرقتُ خمس سنوات في ترجمته؛ وكانت ترجمته رائعة؛ حتى إنَّ مكتبة الكونجرس الأمريكية؛ كانت عندما تشتري الكتب في مصر؛ تأخذ الكتب المُؤَلَّفة فقط؛ فلا تأخذ المترجمة؛ باستثناء عددٍ محدودٍ؛ لأن ترجماتهم لها طابعٌ خاصٌّ؛ فتشتريها؛ وكان من بين هؤلاء؛ أنا؛ وكان سبب ذلك؛ رواج الكتاب؛ فقد طُبِعَ أكثر من سبع مرّات».

ويقول الطاهر مكي؛ ليمنى رجب (ص٣٧٢): «وفي خلال ذلك؛ كنتُ أترجمُ بعضَ قصائد الشعر، وأُرسلها إلى المجلات، ولم أجمعها بعد في كتابٍ؛ وأفكِّر في ذلك».

وتستعرض يمنى رجب منهجية الطاهر مكي في الترجمة؛ فتقول (ص٣٧٧): «وحين نعرض لترجمات الطاهر مكي؛ نجد من الأهمية بمكانٍ؛ أنْ نقرأ مُقَدِّمات الترجمات؛ فهي يُوَضِّح: نبذة عن المؤلف الأجنبي، وأهمية الكتاب، والدافع إلى ترجمته، ومنهج المترجم. ونلحظ أن ترجمة الطاهر مكي غير حرفية؛ بل هي تُحيلُ النصَّ الأجنبيَّ إلى نصٍّ عربيٍّ جديدٍ؛ مُحافظاً على الفكرة الأصلية؛ وحريصاً على الدقة، والأمانة، لكن في سياقٍ عربيٍّ؛ يتسم بالجزالة، وعمق الألفاظ، وتظهر فيه ثقافته العربية، وتكوينه العربي الأصيل»■

أسنان عائشة

ابتسام شاكوش – سورية

في الخيمة، وللخيمة بابان، أحدهما ينفتح باتجاه الطريق العريض، المؤدي إلى الحمامات والمغاسل، والآخر ينفتح على الطريق الأضيق، مقابل خيام الجيران.

في الخيمة، كانت الأم تجلس القرفصاء في زاوية وضعت فيها سخانة كهربائية، تعد الطعام لأسرتها، وفي الباب المطل على الشارع جلست ابنتها عائشة، تراقب بصمت متوتر حينا، غاضب أحيانا، ما يجري أمامها من أحداث.

– أمي فمي يؤلمني.. أسناني تهتز في أماكنها.

• اصبري يا ابنتي.. وجع الأسنان بسيط.. وأنت كبيرة وشجاعة.

الجد أبو عبد الله يمسك خرطوم الماء، يسقي به مسكبة البقدونس والنعناع المزروعة أمام خيمته، ويدور ليسقي شتلات الكوسا واليقطين. تبتسم له عائشة فيرشقها برشة ماء، تضحك بكركرة طفولية عذبة ويضحك الجد، يلوح لها بيده مسلما، ويرمي لها حبة بندورة قطفها من مزرعته، تأخذها بفرح، وتقضمها متلذذة.

– حين أشفى سأسقي مسكبة البقدونس وأزرع لك الورد والياسمين يا أمي.

مرت مجموعة من البنات الصغيرات يحملن جرادل الماء، ينقلنها من المغاسل إلى داخل الخيام، لتستعملها الأمهات في غسيل الثياب والمواعين، كانت البنات تضع أحمالها على الأرض لتنقل الحمل من يد إلى أخرى، تقطع لهاثها المتعب لتتبادل بعض العبارات والضحكات. لوحت لهن عائشة بيدها فما التفتن إليها، بل تابعن السير إلى أهدافهن مسرعات.

– أمي حين أشفى سأرافق هؤلاء البنات، وأنقل لك الماء إلى داخل الخيمة، لن تنقليها بعد ذلك وحدك.

انتهت العجوز الساكنة في الخيمة المقابلة من كنس خيمتها وكنس مساحة إضافية أمام الخيمة، رشت الأرض بالماء منعا للغبار، مدت بطانية على الأرض النظيفة وجلست مع زوجها يتبادلان الحديث

بصوت منخفض، ويحصيان بأصابعهما عدد الشهداء من أسرتهما، ويحصيان عدد الأموات والمحاصرين والمهجرين، ويحلمان معا، بالعودة إلى القرية، والحصول على قبر في ترابها، بينما كفت عائشة عن حركاتها وراحت تتأمل نقوش الوشم على ذقن الجارة وجبينها، وعلى ظاهر كفيها، وكفي زوجها.

– أمي.. لماذا لا تغسل جارتنا هذا الحبر عن وجهها ويديها؟ أما عندها صابون؟ أما أخذت حصتها من معونات الهلال الأحمر؟

الأم مشغولة بإعداد الطعام، السخانة الكهربائية تنطفئ تارة ويتوهج سلكها الحراري تارة، ثم ينقطع، فتفصل التيار عن السخانة لتصل السلك وتعود لإتمام عملها، لم ترد على سؤال واحد من أسئلة ابنتها الجالسة كجلستها كل يوم في المكان ذاته، طارحة الأسئلة ذاتها والملاحظات ذاتها.

مرت إسراء ابنة الجيران تحمل دميتها، مسرعة إلى خيمة صديقتها آية، لتكمل معها خياطة ثوب جديد للدمية.

– أمي، أريد دمية شقراء مثل دمية إسراء.

مجموعة أخرى من البنات الصغيرات عبرت تتواثب بحركات مدرسية، تطير شعورهن المربوطة على أكتافهن، يرددن أغنيات حفظنها من التلفاز. غنت عائشة معهن وتمايلت بجذعها فتناثر شعرها على كتفيها، تجاوزت البنيات مرمى بصر عائشة فصمتت، وعادت للعبث بأسنانها.

مرت لطفية على الدرب ذاتها، تمسك بيدها خيطا طويلا ربطت في نهايته كيسا بلاستيكيا فارغا، تركض بعكس اتجاه الريح، وتتلفت إلى الخلف بفرح ظاهر، غافلة عن كل ما يحيط بها، تنظر بسعادة ظاهرة إلى الكيس الذي امتلأ بالهواء، وطار على ارتفاع قامة فوق قامتها، قررت عائشة في نفسها: سأخبئ كيسا فارغا لألعب به مثلها حين أشفى، أنا أستطيع الركض أفضل منها، سأسابقها وأسبقها.

– أمي.. انظري.. خلعت سني.. ولم أشعر بالألم.

• لا تحزني يا صغيرتي.. بعد أيام سينبت في مكانه سن أجمل منها وأقوى، يدوم معك طويلا..

– أمي.. متى ستنبت لي رجلان جديدتان في مكان رجليّ المقطوعتين!؟■

لكل يوسف ريح

محمد السلمي – اليمن

كم يشهد الفجر قرآني وتسبيحي
وغيمة الدمعِ إذ تذكي تباريحي
الله يعلم ما في القلبِ من وجعٍ
ولن يطال رجائي بعض توضيحي
لكل يوسفَ ريحٌ .. كلما نضجت
أحزان قلبي أشم النورَ في ريحي
بابُ السماءِ دعاء الفجرِ يفتحهُ
كم يستهين أناسٌ بالمفاتيحِ
وكَلْتُ لله ما ألقاه من زمنٍ
مرٍّ يضايقني حتى بتلميحي

نفيسة العلم(*)

نوال مهني – مصر

الشخوص:

١- السيدة نفيسة رضي الله عنها.
٢- زينب بنت يحيى المتوج (ابنة أخيها).
٣- جوهرة (خادمتها).
٤- بائعة الصوف (أم البنات).
٥- الفتيات الأربع (بنات البائعة).
٦- آخرون: اثنان من البحارة، عدد من رواد السوق، الغلام رسول الأمير.

- المشهد الأول -

(منزل السيدة نفيسة بمصر، ومعها زينب ابنة أخيها وخادمتها جوهرة)

زينب: كيف حالك اليوم يا عمتي، أراك قلقة تفكرين كثيرا؟

السيدة: لا شيء يا ابنتي، كل ما في الأمر أنني أشتاق إلى بيت الله الحرام، ومدينة جدي رسول الله عليه الصلاة والسلام، حيث درجت وتعلمت، وكان أبي أميرا على المدينة، وكان عالما فقيها، وكنت أحضر مجلس علمه، وكنت أصحبه إلى المسجد النبوي لأستمع إلى دروس الإمام مالك، وعنهما أخذت العلم، وحفظت الكثير من الأحاديث، وقبل ذلك حفظت القرآن الكريم.

زينب: ما دمت تحبين المدينة إلى هذا الحد، لماذا رحلت عنها؟

السيدة: آه يا زينب! كم هي ذكريات مؤلمة! لقد تقلبت الأيام وتتابعت الحوادث حين وشى

(*) هي نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضوان الله عليهم جميعا (١٤٥-٢٠٨هـ)، وهي عابدة زاهدة وعالمة فقيهة استقر بها المقام في مصر حتى توفيت ودفنت بها، كان لها مجلس علم ولها مسجد كبير في القاهرة داخل أحد الميادين المعروفة باسمها، ولقبت بنفيسة العلم، وكريمة الدارين، وأم المساكين.

أحد الحاقدين بأبي، وأوقع بينه وبين الخليفة أبي جعفر المنصور، فعُزِل أبي عن إمارة المدينة وأُلْقِي به في السجن، واشتعلت الفتنة، وصار العباسيون يضيقون على أبناء عليّ، ويعدون عليهم أنفاسهم، وبتنا لا نأمن على أنفسنا، فكان لابد من الرحيل.

زينب: وأهل مصر يا عمتي.. يحتفون بك ويوقرونك ويحبون جميع آل البيت!.

السيدة: مصر أحب إليّ من كل بلاد الدنيا بعد مكة والمدينة، نشأت بمكة، ورحلت إلى المدينة وعمري خمس سنوات، وبها تزوجت من إسحاق المؤتمن ابن عمي جعفر الصادق، وأنجبت ابني وابنتي، وعشت بها ثلاثين عاما، كنت أحج كل عام. ثلاثون حجة سيرا على الأقدام طلبا للثواب، رغم وفرة الدواب.

زينب: وهنا يا عمتي يجتمع في مجلسك العلماء والفقهاء، ويكفي أن فيهم ابن حنبل، والشافعي، وبشر بن الحارث، وربيع الجيزي، وغيرهم.

جوهرة: وأهل مصر يلقبون سيدتي بنفيسة العلم، وكريمة الدارين، لعلمها وورعها، فهي عالمة زاهدة عابدة.

زينب: نعم، إن عمتي في مجلسها تفسر القرآن، وتشرح الأحاديث، ويأخذ عنها الكثير من العلماء في مصر.

السيدة: مصر أرض مباركة، ذكرها الله في القرآن الكريم، وأوصانا جدي بأهلها خيرا، فله فيهم رحمٌ وصهرٌ، وهي ملاذ آمن يلجأ إليها الأنبياء والأولياء، فأهلها كرماء طيبون، حسن إسلامهم، لذا لا أشعر بالغربة بينهم.

جوهرة: سيدتي! بالباب غلام يحمل هدية، ويقول: إنه رسول أحد الأمراء.

السيدة: أدخليه.

الغلام: السلام على السيدة الطاهرة.

السيدة: وعليك السلام ورحمة الله، ما شأنك يا فتى؟

الرسول: لقد أرسلني سيدي الأمير –الذي تاب على يديك– بمبلغ ألفي دينار لتصلحي بها حالك.

السيدة: اشكر لي سيدك، وأخبره أننا سنصرفها في مرضاة الله، خذي يا جوهرة هذا المال، وقسميه في صرر صغيرة، ثم وزعيها على الفقراء والمساكين.

جوهرة: ألا نستبقي شيئا منها نشتري به طعامنا؟

السيدة: كل العطايا توزع على المساكين. أنا لا أطعم إلا من مالي ومال زوجي، وإذا كنت تريدين شيئا، ففي هذه السلة غزل غزلته بيدي، بيعيه واشتري بثمنه ما تريدين.

زينب: جزاك الله خيرا يا عمتي، تتصدقين بمالك وما تركه لك زوجك، ثم توزعين ما يأتيك من عطايا ولا تبقين منها شيئا.

جوهرة: والله لقد صدق أهل مصر حين يدعونها أم المساكين، فطوبى لها من كريمة زاهدة!.

* * *

-المشهد الثاني-

(بيت فقير يضم بائعة الغزل وبناتها اليتيمات وهن يغزلن الصوف)

الأم: هلم يا بنات! واجمعن الغزل كي أذهب به صباحا إلى السوق لبيعه وشراء ما يلزمنا.

الأولى: مهلا يا أمي! لم ننته بعد من غزل الصوف.

الثانية: لا داعي للعجلة، بقي جزء قليل.

الثالثة: سوف نجتهد حتى ننجز ما تبقى.

الرابعة: آه!.. لقد تعبت يداي، وتورمت أصابعي.

الأم: أعرف يا حبيباتي ما بكن من تعب ومشقة العيش، ولكن ما حيلتنا ونحن لا نملك سوى هذا الغزل!؟ وتعرفن أن سوق البلد الأسبوعي غدا، ولا بد من بيع الغزل وشراء الطعام والصوف الجديد.

الأولى: اطمئني يا أماه، سوف نسهر حتى ننتهي من غزل ما تبقى.

الثانية: نعم لا بد من إنجاز هذا العمل قبل النوم.

الثالثة: عمل بالنهار والليل! متى نستريح إذاً؟

الرابعة: ما أظن أنني أستطيع السهر، فماذا أفعل؟

الأم: تحملي يا ابنتي، أعرف أنك ما زلت صغيرة، وتعملين فوق طاقتك، هي بضع ساعات ويكتمل العمل.

الرابعة: يا إلهي!.. متى نستريح من هذا العناء!؟

الأم: اصبري يا ابنتي، الصبر مفتاح الفرج، سأبيع الغزل غدا، وأعود إليكن بالطعام الطيب.

الأولى: أرجوك يا أمي!.. أكثري من الخبز.

الثانية: وإذا أمكن بعض الجبن والزبد.

الثالثة: أنسيتن ما نقاسيه من برد الشتاء؟! إننا نحتاج غطاء نتدثر به.

الرابعة: ليتك يا أم تبتاعين لنا بعض الحلوى، إنني في شوق لتذوق الحلوى.

الأم: (في حسرة) وهل ثمن الغزل يكفي لشراء كل هذا!؟

الأولى: نحن جائعات يا أمي، أكثري من الخبز وعجلي بالعودة.

الأم: سأفعل يا بناتي، فهيا أتممن الغزل حتى أضعه في هذه الصرة الحمراء.

الأولى: لقد انتهينا من غزل الصوف كله، وها هو

في الصرة الحمراء.

الأم: بارك الله فيكن يا بناتي، هيا اذهبن إلى النوم (ترفع يديها وتدعو): اللهم بارك في رزق هؤلاء الفتيات اليتيمات، وأطعمهن من الحلال يا كريم يا مجيب الدعاء.

* * *

المشهد الثالث

(بائعة الغزل تقف بالقرب من السوق وتبكي، وحولها عدد من المارة رواد السوق يتحدثون معها ويواسونها، ويشيرون عليها).

البائعة: آه يا لمصيبتي! ماذا أقول لبناتي الجائعات اللواتي ينتظرن عودتي بالطعام! لن أستطيع العودة إليهن بدون طعام.

أحد المارة: ما بك يا أمة الله!؟ لماذا تبكين؟

البائعة: جئت أحمل الغزل على رأسي لبيعه وشراء الطعام لبناتي اليتيمات فهبط طائر كبير من الفضاء وخطف صرة الغزل وطار بها بعيدا.

الثاني: لا حول ولا قوة إلا بالله! أليس لديك مصدر

رزق آخر أيتها المسكينة؟

البائعة: لا أملك سوى هذا الصوف الذي تجتهد بناتي في غزله.

الثالث: لديّ فكرة جيدة، اذهبي إلى السيدة نفيسة في دارها، علها تدعو لك وتجد لك مخرجا.

البائعة: وهل ستجد حلا لما أنا فيه!؟

الثالث: هذه السيدة مباركة، مستجابة الدعاء، إنها من آل البيت الأطهار، ولها كرامات كثيرة.

الثاني: نعم لقد سمعت كثيرا عن كراماتها، إنها من أولياء الله الصالحين، كما أنها كثيرة العطف على الفقراء وتساعد المحتاجين.

الثالث: أنا جربت ذلك بنفسي، فأنا جارها، وحدث أن تركت ابنتي الصغيرة الكسيحة عندها يوما، وسافرت وأهل بيتي لبعض أمورنا، وحين عودتنا فوجئنا بأن الطفلة تمشي على قدميها، وعرفنا أن الطفلة رأت السيدة تتوضأ وتصلي ففعلت مثلها وبللت قدميها من ماء وضوء السيدة، وشربت منه بينما السيدة تراها، وتدعو لها في صلاتها، فشفيت بإذن الله.

الأول: سبحان الله! رضي الله عنها وأرضاها.

الثالث: لذلك أشهرت إسلامي أنا وزوجي وأبنائي بين يديها، بعد هذه الكرامة، وكنا ندين باليهودية.

البائعة: بربك خذني إليها، كي تدعو لي، عسى الله أن يفرّج كربي.

الثالث: هيا معي كي أوصلك إلى دارها.

* * *

المشهد الرابع

(السيدة في منزلها وقد فرغت من صلاتها التي استمرت طويلا كعادتها، وبدا عليها الإرهاق).

جوهرة: سيدتي لقد أرهقت نفسك بكثرة الصلاة والصيام، فأنت تصومين النهار وتقومين الليل حتى اعتلت صحتك، ألا ترفقين بنفسك؟

السيدة: كيف أرفق بها وأمامها عقبات لا يقطعها إلا الفائزون.

جوهرة: من حقك أن تنامي وتستريحي.

السيدة: النوم الطويل قادم يا جوهرة. (طرق على الباب) انظري من القادم.

جوهرة: بالباب سيدة مسنة يبدو عليها الحزن والعوز، تريد مقابلتك.

السيدة: أدخليها لنعرف ما حاجتها.

البائعة: سيدتي، جئت لدارك بعد أن دلني عليك بعض الطيبين، وعلمت أنك مباركة مستجابة الدعاء، ادعي لي عل الله يفرج كربي.

السيدة: اجلسي يا أمة الله، واحكي لي ما حاجتك.

البائعة: أنا أم لأربع بنات يتيمات فقيرات، نغزل الصوف ثم نبيعه ونتقوت منه، وقد ذهبت للسوق أحمل الغزل على رأسي لأبيعه، وتركت بناتي جائعات ينتظرن عودتي بالطعام، وإذا بطائر كبير يخطف صرة الغزل بين مخلبيه ويطير.

السيدة: أليس لديك ما تطعمين به بناتك سوى هذا الغزل؟

البائعة: كلا يا سيدتي، إن بناتي أجهدهن الجوع وأضرهن الفقر، وليس لنا عائل ولا كاسب.

السيدة: (تتجه إلى القبلة وتدعو): يا من علا فقهر، وملك فقدر، اجبر من أمتك هذه ما انكسر، فإنهن خلقك وعيالك. (تتجه للبائعة) اقعدي

يا أختاه، إن الله على كل شيء قدير، سيأتي الفرج بإذن الله.

جوهرة: سيدتي! بالباب رجلان يستأذنان في الدخول.

السيدة: ترى من هما وما شأنهما!! أدخليهما.

جوهرة: تفضلا.. تفضلا، السيدة بانتظاركما.

الرجلان: (في صوت واحد) السلام على السيدة الطاهرة نفيسة العلم.

السيدة: وعليكما السلام ورحمة الله، مرحبا بالضيوف.

الأول: أيتها المباركة, نحن قوم تجار نعمل بمراكبنا

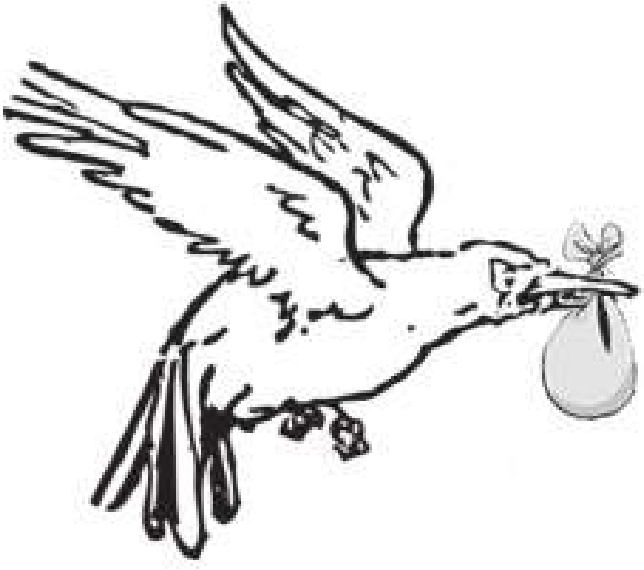

في البحر وقصدنا مصر. ولكن هبت الرياح وهاجت الأمواج، وكسر لوح في سفينتنا ودخل علينا الماء وكدنا نغرق، وحاولنا سد الثقب مكان اللوح المكسور فلم نفلح ورحنا نستغيث.

الثاني: لكن الله سلم، وحدث أمر عجيب، إذا بطائر يحلق فوقنا ويلقي إلينا بخرقة حمراء كبيرة بداخلها صوف مغزول فسددنا به الثقب وانقطع الماء، وكتب الله لنا النجاة.

الأول: ولذا نذرنا خمس مئة درهم لوجه الله، وجئنا إليك بها، نيابة عن زملائنا، بعد أن عرفنا من أهل مصر أنك سيدة مباركة مستجابة الدعاء.

السيدة: (تتسلم الدراهم وهي تبكي ثم تدعو): إلهي ما أكرمك! وما ألطفك بعبادك! أحضري يا جوهرة أختنا بائعة الغزل.

جوهرة: هي ما زالت بالباب تنتظر، وما زالت حزينة باكية، سأحضرها حالا.

السيدة: أقبلي يا أم البنات وأبشري. بكم كنت تبيعين غزلك؟

البائعة: بعشرين درهما لا غير.

السيدة: لقد عوضك الله وضاعف دراهمك خمساً وعشرين مرة، خذي هذه الدراهم واذهبي إلى بناتك، واشتري لهن ما يحتجن إليه، الحمد لله الذي فرج أزمتك، وجبر خاطرك، ورد لهفتك.

البائعة: (وهي تبكي فرحا وقد انفرجت أساريرها) لقد استجاب الله دعاءك أيتها الطاهرة، البارة بالضعفاء، العطوف على الفقراء. الحمد لله الذي ضاعف رزق بناتي، وأذهب عني الحزن.

السيدة: هذا من فضل الله، يؤتيه لمن يشاء من عباده الصالحين المتقين، وسبحان الله العظيم، والحمد لله رب العالمين.

-ستار-

مقاطع من قصيدة
الوجه الآخر

محمد كمال – سورية

عَبَثًا تنفكُّ عنّي
أنتَ يا وجهي القديمْ
كلُّ ما أعرفه أنَّا افترقنا
في زمـانٍ شاحبِ الخلقةِ
معتوهٍ زنيمْ
شوَّهَتْه مُديةُ الريحِ
فأمسى خِرقةً للمسحِ
أمسى ظلَّ شيطانٍ رجيمْ

***

وتلفَتُّ ورائي...
لم تلوِّحْ منكَ لي كفٌّ
ولم أستعطفِ الدمعةَ
أنْ تطفئ في الصدرِ الحريقْ
سائقَ الأظعانِ..
يطوي البيدَ طيْ
ضائعٌ أنت
وليلى ضائعةْ
فاعتصِرْ من رعشة الرؤيا
رحيقَ الوصلِ
أوغلْ في الدروبِ الهالعةْ

خلِّني وحدي أريقْ
ما روتْ عرافةُ الحيِّ
عن الجرحِ العتيقْ

***

فلماذا عدتَ يا وجهي القديمْ
ولماذا تدمنُ التطوافَ
يهوي عمرُكَ المكدودُ
فوق الأرصفةْ
لن تراني...
لن ترى وجهي
تغشّيه المراراتُ
وأوحالُ الثواني

***

أيها الوجهُ الذي مازال
كالصبحِ الوسيمْ
أيها الوجهُ الذي مازال
تُغريه مناراتُ الموانيْ
لن تراني
قَبْلَ أن تعبرَ أسوارَ الجحيمْ
لن تراني.

سيعود من بلد بعيد..

سيرة ذاتية لمجتمع مأزوم للشاعر محمد الشحات

أشرف قاسم – مصر

تظل تجربة الغربة هي أقسى التجارب الحيوية التي يمر بها الإنسان، بما تذيقه من عذابات وهم وحزن، وبما تخلفه في نفسه من لوعة وشوق وحنين إلى الأهل والوطن والصحاب، وملاعب الطفولة والذكريات.

وتجربة الغربة في الشعر العربي بشكل عام هي رافد مهم، لما لها من خصوصية تميزها، ولارتباطها بواقع اجتماعي وسياسي مأزوم.

في تجربة جديدة من نوعها في شعرنا العربي يفرد الشاعر الكبير محمد الشحات ديوانه الجديد «سيعود من بلد بعيد» لوصف وتوصيف حالة الغربة التي يحياها ولده المهاجر، وحالة الغربة التي يحياها الأب، وما يشعر به هذا الأب تجاه ولده، من شوق، وحنين، وعذاب وألم روحي يقض مضجعه كلما نبش في صندوق الذكريات، واستعاد طفولة ولده المهاجر بدقائقها، وتفاصيلها، وبراءتها الأولى:

ما زلت أخفي عنك كل ملامحي
بعض اضطرابي
رجفة تأتي وترحل
كلما حاولت أن أنجو بها
كانت تحاصرني عيونك

فانزويت بغرفة
أخفيت في أركانها خطواتك الأولى
وأول ما نطقت به
وأنت تركت في جنباتها بعضا من الأوراق
كنت حملتها في سلتين
حتى إذا ما ازداد شوقي
كنت أرحل في غيابك بين بين[1].

والحنين والغربة مترادفان، وتستتبعهما الكثير من الدوال التي تجسد هذا الصراع الذي يعتمل داخل الأب، والذي يرسمه شعرا من خلال الأفعال المضارعة التي تفيد الديمومة وتجدد الألم والشوق، والتوق إلى وجه الغائب.

يستذكر الشاعر الأب كل تفاصيل الماضي، في محاولات منه لمواساة روحه، في لوحات تعبيرية متتابعة عبر نصوص الديوان، ملتمسا العزاء لقلبه الذي ينازعه الشوق إلى ولده، راسمًا له صورة الوطن في كل سطر من سطور الديوان:

ماذا حملت من اغترابك؟
هل تركت على الطريق
من البحار إلى البحار
صدى حنينك للوطن؟
وطرقت ذاكرة الزمن
بعض الفطائر في انتظارك
وجه أمك لم يزل يستقبل الليلات
بحثا عنك في قصص الطفولة[2].

يعتمد خطاب محمد الشحات الشعري في هذا

الشاعر محمد الشحات

الديوان على جماليات الجملة الشعرية المصطبغة بصبغة التساؤل حينًا، وبصبغة المساءلة أحيانًا أخرى، التساؤل عن جدوى الاغتراب، وإعادة طرح الأسئلة الكبرى التي أرقت غيره من الشعراء الذين تناولوا تلك الظاهرة ببعديها النفسي والمكاني:

هل تستحي من لحظة يوما تحين؟
وتلتقي فيها العيون مع العيون
وترتجي أن نستظل بها ويغمرنا شذاها؟[3].
تركت بلادك ورحلت
فهل أثلجت الصدر؟
وهل بدلت تقاليدك؟
هل أدركت بأن جذورك
حين تشدك سوف تعود؟
هل أكلتك الغربة!؟[4].

ومساءلة الوطن الأم عما آلت إليه أحواله حتى فكر أبناؤه في الهجرة، وأكرهوا على الاغتراب، فعلى الرغم من ذاتية وخصوصية التجربة الشعرية في هذا الديوان إلا أنه في ذات الوقت بمثابة سيرة ذاتية لمجتمع متشظٍّ، محاصر بين مطرقة الظرف السياسي، وسندان الظرف الاجتماعي، وكلاهما أقسى من الآخر:

وطن لا نعرفه
يسكن خلف عيون الأطفال
فلا تعبأ حين تراهم
وتقاوم ما تعرفه
عن وطن

كان يظللنا فنهيم به
ما عاد يتيح لنا
أن نسكن في معطفه(٥).

تبتعد لغة الشاعر عن اللغة النمطية المكرورة، وذلك من خلال شاعرية اللفظة، وإشارية المعنى، وإيحائية الصورة الشعرية، مكونة أفقا جماليا مختلفا في بعده الإنساني الذي هو أساس تجربة الشاعر في هذا الديوان.

إذن لغة الشاعر هنا لغة حية نابضة، ذات خصوصية في معناها ومبناها، تنم عن ثقافة وطول تمرس، منطبعة بطابع إنساني حتى في رصدها للتحولات الاجتماعية التي أدت إلى حالة الاغتراب الذي يحياه الأب الشاعر، والابن المغترب؛ معا، نموذجاً مصغراً من حالة الاغتراب المجتمعي الذي يعيشه أبناء هذا الوطن:

كل الموانئ لم تعد تزهو بنا
فاخفض غناءك وارتحل
خلفي
ودعنا
لا تودعنا وترحل
علنا نطفو فتحملنا الرياح
فنشتهي أن ننتهي
سحبا ونصبح قطرة
تمضي إلى وطني
فتنبت زهرة
أو سنبلات(٦).

وربما اختلفت مستويات اللغة لدى محمد الشحات في هذا الديوان تبعا لاختلاف حقول الرؤى وحقول الدلالة، ولكنها في النهاية لغة سلسة، عذبة، بسيطة، بعيدة عن

التعقيد المعجمي، وبعيدة عن الغموض المجاني والرمزية التي تستعصي على الأفهام:

أنا من بلاد
لها ما لها
ولي أن أهيم بها
كنت أخفيتها في دمي
هنا حين تمضي
سيعرفك العابرون
ولن تتمكن من أن ترى
في الوجوه سوى
رجفة النازحين
فأغلقت عيني
على ما كنت أحمله
من بلادي(٧).

ومما لا شك فيه أن الإيقاع الشعري هو أحد أهم دعائم التجربة الشعرية –داخليا كان أو خارجيا– فهو صدى لحالة الشاعر النفسية، ويحمل دلالات لما يعتمل في الذات الشاعرة، من مشاعر وأحاسيس متناقضة، بل نستطيع أن نقول: إن الإيقاع هو صدى الروح لا صدى الجملة الشعرية، ولذا ينوع الشاعر في إيقاعاته تبعا لما تقتضيه حالته النفسية، وما يعتمل في صدره من مشاعر، كما فعل في قصائده الثلاث الموجهة لحفيدته، فنجده فيها قد اختار تفعيلة الرجز لمخاطبة الحفيدة، والرجز بحر ذو حالات متعددة، إذ يستخدم تاما ومشطوراً ومجزوءًا ومنهوكًا، وقيل: إنه سمي الرجز لاضطرابه وكثرة علله، وقيل: إنه أكثر بحور الشعر تقلبًا، ويمتاز بحروفه القليلة، وهو ما

يناسب خطاب الطفل:

وكانت كلما تلاقت العينان
وجدت وجهك البشوش
أخاف أن يصيبك انكسار
قلبي المسن(٨).
أخاف حين يبدأ الكلام
أحرفا عرجاء
على ملامس الشفاه
أن تنام في حروفك الخضراء
مرارة الأيام يا صغيرتي
وقطتي
وقبضة من الفؤاد(٩).
يا زهرة لها من الرحيق
ما يعيد لي براءتي
وثورتي
التي أضاعها الزمان(١٠).

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أحيي الشاعر محمد الشحات على تلك التجربة المهمة في مسيرة القصيدة العربية، آملًا أن تفتح قراءتي هذه بابًا صغيراً لقراءات أشمل وأعم■

الهوامش:

(١) ديوان سيعود من بلد بعيد، محمد الشحات، دار الأدهم، ط١، القاهرة، ٢٠١٩م، ص٧-٨.
(٢) الديوان: ص١١-١٢.
(٣) الديوان: ص٣٤.
(٤) الديوان: ص٦٧.
(٥) الديوان: ص١٩.
(٦) الديوان: ص١٠٣.
(٧) الديوان: ص٨٤.
(٨) الديوان: ص٨٩.
(٩) الديوان: ص٩٠.
(١٠) الديوان: ص١٠٨.

شجون

هاشم فتحي - مصر

ملأنا هذه الدنيا شجونا
لبيتِ اللهِ شوقًا فاحملونا

يسامرُنا الحنينُ لشبرِ أرضٍ
به نُرخي إلى الأرضِ الجبينا

و(حيَّ على الصلاة) تهزُّ قلبًا
تَعلَّقَ في مساجِده حنينا

إذا ما قِيلَ (حيَّ على) فإني
أُمرغُ خاطري شَغفاً حزينا

نخرُّ إلى السجودِ بكلِ بيتٍ
ألا يا ساكني الحرمِ اذكرونا

فإنْ تسألْ رحالَ القومِ هاجت
وتلعنُ في مدى الدنيا (كرونا)

غدًا صوتُ المؤذنِ يا رفاقي
يُعطِّرُ سمعَكم فجراً حنونا

ثورة العصفور

هبّت الحدأة من نومها على شدو عصافير الكناري بالشجرة المجاورة، تلفتت من حولها في عصبية.. ما زال الوقت مبكرا؛ فلم تشرق الشمس بعد!.

أوه!.. يا لهذه العصافير المزعجة!..

لم تأخذ الحدأة كفايتها من النوم، فقد اعتادت أن تنام في وقت السحر، وتقطع ساعات الليل في التدبير لإيذاء الطيور الوادعة، كما تخطط للسطو على المنازل المجاورة، والانقضاض على الفراخ الآمنة، فتفزع أمهاتها المسكينة، التي لا حول لها ولا قوة، ولا تملك إلا أن تصرخ دون جدوى، فلا مُنجد ولا مُجيب، ولا يسعها إلا أن تكبت أحزانها وآلامها؛ صابرة على بلائها؛ إلى أن يشاء الله.

وتظل الحدأة نائمة؛ حتى تلسعها شمس الظهيرة الملتهبة. في تلك المرة كادت الحدأة أن تعلن عن ثورتها، وتلقن الكناري درسا، ولكنها أرجأت ذلك لشعورها بالتعب الشديد.

حمدي عمارة – مصر

العصافير تحوط الجدة، ومازالت تشدو، وتطير من حولها في مشهد رائع جذاب، وتحدث الحدأة نفسها فى غيظ:

يا لحظ الجدة!.. أكل هذا الاحتفال من أجل عصفورة عجوز؟!..

كبتت غيظها، وراحت تتأمل الكناري السعيدة.. لفت نظرها عشها الكبير..

كل هذا عش!..

إنه أكبر أعشاش الشجرة ولا عجب، حيث تسكنه الجدة

وصغارها وأحفادها منذ زمن بعيد، وقد تعاونوا فى إقامته مريحا ومتماسكا؛ حتى لا تعصف به الرياح..

العش أيضا جميل ومنسّق.. والشجرة مورقة وظليلة.

نظرت الحدأة من حولها إلى عشها الكئيب والشجرة: الشجرة جرداء؛ عارية من الأوراق.. وتسكن وحدها، فلا أعشاش ولا طيور، فمن يجرؤ على الاقتراب من الحدأة أو التودد إليها؟!.. من الذي يجاور الشرس، أو يتقرّب من الحاقد الشرير؟.. كانت الطيور تتحاشاها وتبتعد عنها؛ لتأمن شرّها.. وعادت الحدأة تقول في نفسها:

كيف هذا؟!.. العصافير الصغيرة الضعيفة عشها كبير وجميل، وأنا.. أنا الحدأة الكبيرة القوية عشي صغير وكئيب!.. مستحيل!.. وها هي فرحة وأنا حزينة، وهي تغرّد بصوتها العذب، وأنا لا أستطيع أن أغرّد مثلها، فصوتي مزعج ونشاز.. ماذا؟!.. صوتي مزعج، ولكني لم أجرّب الغناء.. قد يكون صوتي عذبا، وغنائي طربيا كغناء العندليب، وقد يفوق الكروان.. والبلبل، وكل الطيور الصدّاحة المغرّدة.. لم لا..!؟.

قررت الحدأة أن تجرّب الغناء.. دارت عيناها من حولها، لم تبصر طائرا، فقد غادرت الحديقة إلى أماكن الغذاء والماء.. تنحنحت الحدأة ثم.. غنّت ولكنها سكتت عن الغناء.

يا له من صوت مزعج حقا!..

لأول مرة تصدُق الحدأة، ولكن فقط مع نفسها، واستطردت:

لن أغني ثانية، ولن أدع الطيور تغرّد.. سأخرس أصوات العنادل والبلابل والكناري، فلا أطيق سماع أصواتها الطروب.. سأنتقم من الكناري التي تقلق نومي وراحتي. لن تفلت من عقابي.. سأطيّر النوم من أعينها.. سأكدّر صفوها، وأنكد عيشها، وأقضي على سعادتها لتصبح تعيسة مثلي.

غلبها النوم.. وقبيل غروب الشمس، راحت الكناري إلى عشها، ونامت مبكرا كعادتها؛ حين صحت الحدأة.. وجعلت تفكر كيف تؤذي الكناري وتمكر بها.. هداها تفكيرها إلى حيلة.. وظلت ساهرة، وبصرها الحاد على عش الكناري، بينما تردد في لوعة: متى يأتي الصباح؟!.

وأخذت تغالب النعاس؛ حتى انقضت ساعات الليل وأقبل الصبح، وما أن غدت الكناري ساعية لرزقها، لتطير الحدأة إلى عش العصافير، ولترقد بداخله هاتفة في نشوة:

يا له من عش مريح!.. سأرقد على القش الناعم، وأظل نائمة حتى أشبع.

وراحت في سبات عميق، وحين رجعت الكناري، فوجئت بالحدأة راقدة في عشها.. استغربت.. تبادلت نظرات الدهشة.. دنت منها الجدّة، وقالت لها في رقة ولين:

نوما هانئا عزيزتي الحدأة.. علَّك أخطأت عشك..

قالت الحدأة في دهاء:

كلا يا صديقتي.. لم أخطئ عشي، بل فاجأني المرض، فجئت أستريح في عشكم. ثم أضافت متظاهرة بالضعف: وما زلت متعبة، ليتك تسمحين لي بوقت آخر.

عندئذ همست الجدة لصغارها: يجب أن نساعد الحدأة؛ فإنها في وقت شدة..

اقتنعت العصافير إلا صغيرهم، وعلى الأخص حين أضافت الحدأة في خبث:

يمكنكم أن ترقدوا في عشي.. لا فرق بيننا.. عشي هو عشكم..

ليهمس الصغير قائلا لجدّته:

كيف صدّقت الحدأة يا جدتي؟!. إنها لئيمة مخادعة.

وتهتف الجدة لائمة:

مغردة.. إياك أن تتفوه بمثل هذا الكلام.. واجب علينا مساعدة إخواننا الطيور؛ خاصة في وقت الأزمات.

طأطأ العصفور الصغير رأسه خجلا.. ولم تدخل الكناري عش الحدأة، وانتظرت طويلا، حتى يئست، عندئذ أجبرت على المبيت في عش الحدأة الضيق

المتهالك، وباتت ليلة مؤرقة.

وفي الصباح طارت الكناري، وصاحبتها الحدأة، وما لبثت أن نحت صوب المنازل لتتخطف الأفراخ. وفي العودة رأتها الكناري وهي تسبقها إلى عشها!.. عندئذ تيقنت من خداع الحدأة، واستيلائها على العش، لتعترف الجدّة:

كنت على حق أيها الصغير!.

اجتمعت العصافير للتشاور في أمر الحدأة المعتدية المغتصبة، وعلا صوت الصغير:

ليس إلا أن نلقن الحدأة درسا لاتنساه.

وأيّدته العصافير؛ عدا الجدة التي رأت ضرورة التروّي واستخدام العقل، بينما ألمحت إلى قوة الحدأة وشراستها، ومبينة مخاوفها أن تصيب الحدأة أحد العصافير أو.. ولذا أشارت بالهجرة من الحديقة والشجرة، إلى حديقة أخرى أكثر أمنا وسلاما، ولم يدعها الصغير تواصل كلامها إذ اعترضها قائلا في إصرار وشجاعة:

لن نهجر الشجرة ولا الحديقة، ولن نهرب من مواجهة الحدأة والتصدّي لها.

ثم أضاف محفزا:

كيف نهجر الحديقة، وقد عشنا فى رحابها، وتربينا بين ربوعها؟!.. وعلا صوته:

يجب أن ندافع عن عشنا، ونفتديه بأرواحنا. إننا أقوى من الحدأة باتحادنا، كما أننا أصحاب حق، فلنهجم عليها ونأخذها على غرّة، ونضربها ضربة عصفور واحد.. والله فوق كيد المعتدي، والنصر حليفنا بإذن الله.

تحمّست الكناري بكلام الصغير الثائر، وأصغت إلى الجدة التي قالت في تأثر:

لقد أصاب الصغير، وإنني لفخورة به.. فلندبّر أمرنا، ونعدّ عدّتنا.

وانطلقت الكناري مع أول خيوط الصباح؛ إلى حيث الحدأة النائمة، وانقضّت عليها، لتهبّ من رقادها ذاهلة فزعة، وجعلت تتخبط، فأصابت الصغير بمخالبها، ليسقط من فوق الشجرة، ولم تدعها العصافير، فشددت هجومها ونقرها في رأس الحدأة وعينيها، لتنطلق هاربة، وقد مُلئت رعبا.

وأسرعت الكنارى إلى حيث سقط الصغير، فوجدت الجدة تقوم بإسعافه، بينما كانت ترمقه في تأثر وحب وإعجاب. وسرعان ما تعاونت لبناء عش جديد أرحب وأجمل، وعلت أصواتها بأنشودة النصر ■

قلبُ الأم.. منبعُ الحب

زياد بن محمد المنيفي - السعودية

الـحُبُ نـهرٌ وقلبُ الأُمّ مَنبَعُهُ
والأُنسُ روضٌ وحِضنُ الأُمّ مَوقِعُهُ
والـجـودُ بـحرٌ وكـفُّ الأُمّ رافـدُهُ
والسَّعدُ بـدرٌ وثَغْرُ الأُمّ مَطلَعُهُ
والجيلُ ذو الهمَّةِ القعسَاءِ نَرقُبُهُ
والأمُّ لا غيرُها في الناسِ مَصنَعُهُ
تَستعذِبُ المُرَّ لا تخشى مرارَتَهُ
لكي ترى الإبنَ في النعماءِ مَرتَعُهُ
من صبرِها الصبرُ في ذُهْلٍ وفي عَجَبٍ
حتى غَدَت مثلاً والكلُ يسمَعُهُ
يُشَنِّفُ الأُذْنَ نُصحٌ حينَ تَبذُلُهُ
ومَسمَعُ القلبِ يَسلُو حينَ يَقرَعُهُ
آثـارُهُ في رحـابِ الفكرِ مُشرِقَةٌ
فـالـوُدُّ يَسبِقُـهُ واللـيـنُ يَتبَـعُـهُ
وإنْ لبابِ السماواتِ العُلى طرقَتْ
يَنالُهُم من دُعاها الخيرُ أجمَعُهُ
كُـلُّ الأساتيذِ طـلابٌ بحضرَتِها
والعلمُ في ذِكْرِها يَـزدانُ مَربَعُهُ
في نَهجِها التربويّ السهلِ مُنطَلَقٌ
تَرقى المدارسُ لو كانت تُشرِّعُهُ
الـخيرُ تَـنشرُهُ والـعيبُ تَستُرُهُ
والبُغضُ تَهجرُهُ والـوُدُّ تَزرعُـهُ
قد قيلَ صِدقًا بأنَّ الأمَّ مَدرَسَةٌ
والأمُّ تاجٌ على الهاماتِ موضِعُهُ
ربَّـاهُ فاجعلْ جنانَ الخُلْدِ منزلَةً
لـها جـزاءً لِمَـا تُعطي وتَصنَعُهُ

رسالة تقدمت بها فائزة رضا شاهين العزاوي، إلى مجلس عمادة كلية تربية البنات - جامعة تكريت، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، بإشراف الدكتور رمضان صالح عباد، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

اشتملت الرسالة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول.

المضامين الدينية والتراثية في الشعر الأندلسي في القرن الرابع الهجري

إعداد: الباحثة فائزة رضا شاهين العزاوي

التمهيد: وقفت الباحثة فيه عند لفظتي المضمون والتراث لغة واصطلاحا مع ذكر آراء الدارسين والنقاد قديما وحديثا في أهمية التراث للعمل الفني وما ينطوي عليه التراث من تجارب وخبرات وتركات أدبية وفنية.

الفصل الأول: المضامين الدينية: دار حول المضامين الدينية ومنابعها في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والعبادات والشعائر الدينية، إذ تتبعت الباحثة الآيات القرآنية في نتاج الشعر الأندلسي في القرن الرابع للهجرة من خلال آلية الاقتباس، وهي على ثلاثة محاور: الاقتباس النصي، والتحويري، والإشاري.

عرض: محمد عباس عرابي – مصر

أما الحديث النبوي الشريف، فقد تناولت الباحثة فيه آلية الاقتباس الذي جاء على الأغلب إشاريا. وجاءت بعده العبادات أو الشعائر الدينية التي تعد من المضامين الدينية المهمة، ووقفت عند أهم الشعائر والفرائض الإسلامية التي أنزلها الله له على نبيه الكريم، ليبلغها إلى المسلمين كالشهادة والصلاة والحج والصيام والميراث والابتعاد عن شرب الخمر.

الفصل الثاني: المضامين التاريخية: حاولت الباحثة فيه ربط الماضي بالحاضر والمستقبل، وجعلها أداة لتحريك المشاعر العربية وتذكير العرب بعزهم ومجدهم، وجاء إظهار التشكيل التراثي في الفصل من خلال استدعاء الشخصيات التاريخية، واستدعاء النساء، والتعامل مع الحدث من خلال استدعاء الواقعة التاريخية المتمثلة بالمعارك والحروب والأيام واستدعاء القبائل بأنسابها، ومن ثم استدعاء المكان والنبات والحيوان.

الفصل الثالث: المضامين الاجتماعية: فقد درست الباحثة المضامين الاجتماعية وأثرها في شعر الأندلس في القرن الرابع للهجرة، وتوزعت الدراسة على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول: العادات والتقاليد الاجتماعية، وأثرها في تفكير الإنسان العربي التي أقر الإسلام جزءاً منها، وأوضحت صورة عاكسة لواقع حياتهم الاجتماعية وقيمهم وتراثهم الذي لم يتمكنوا الإفلات منه من خلال توظيف الشيم الاجتماعية المحمودة ونبذ المخالفة لها.

أما المبحث الثاني فعقدته الباحثة للأساطير والمعتقدات الاجتماعية، وهي تمثل تراثا إنسانيا كان له حضور في فكر الشاعر الأندلسي، أوردها في شعره من خلال عرضه لبعض المعتقدات كأسطورة العنقاء والحمام والحيوانات الخرافية. وخصصت المبحث الثالث للأمثال التي يوردها الشاعر

المضامين الدينية والتراثية في الشعر الأندلسي في القرن الرابع الهجري

رسالة تقدمت بها

فائزة رضا شاهين العزاوي

إلى

مجلس عمادة كلية تربية البنات - جامعة تكريت

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الدكتور رمضان صالح عباد

1425هـ 2004 م

لربط الحوادث بالقرائن المتشابكة لتكون أكثر تدليلا بما تحمله من رموز تراثية وتاريخية وقصص ذات تأثير في المتلقي نفسه.

الفصل الرابع: الدراسة الفنية: وقد وزعته الباحثة على ثلاثة مباحث: اشتمل الأول على اللغة والأساليب من خلال دراسة الألفاظ والأساليب، وكان من أهمها أسلوب التوكيد، ثم الشرط، وآخرها أسلوب النداء. أما المبحث الثاني فتناول (الصورة) وأهميتها ودورها في تشكيل الصورة الشعرية، ثم عرضت أبرز مكونات تشكيلها عند الشعراء الأندلسيين في القرن الرابع للهجرة وقدرتهم على بعث الحياة في صور جامدة أو متحركة في إبراز مشاعرهم وأحاسيسهم واعتمادهم على معطيات الصورة التراثية في إيرادهم معظم تلك الصور، مبتدعة بالصورة التشبيهية لكونها أكثر وسائلهم استخداما، ثم انتقلت إلى الصورة الاستعارية ثم الصورة الكنائية.

وتضمن المبحث الثالث دراسة (الموسيقى الشعرية) وعناصرها كالإيقاع الخارجي من حيث الأوزان التي سار عليها الشعراء العرب لانسجامها مع نمط حياتهم وأغراضهم الشعرية في المديح والغزل والفخر والرثاء.

وحاولت الباحثة إحصاء نسبة شيوع استعمالات البحور عند الشعراء، وبعدها درست القافية وأهميتها في رفد الموسيقى الخارجية مع إحصاء نسبة أصوات حرف الروي

والقافية وترددها في شعرهم. أما الموسيقى الداخلية فجاءت على عدة مستويات هي (تكرار الحروف والألفاظ والتصريع والطباق أو المقابلة.

وفي **الخاتمة** أوجزت الباحثة أهم النتائج التي توصلت إليها. ثم ألحقتها بقائمة أسماء المصادر والمراجع والدوريات التي اعتمدتها خلال البحث والاستقصاء، ومن الجدير بالذكر أن هذه الرسالة أفادت من مصادر مهمة أدبية وتاريخية وموضوعية وفنية، ولعل أهمها شعر ابن عبد ربه (ت٣٢٨ هـ)، وديوان ابن هانئ الأندلسي (ت٣٦٢هـ)، وشعر الرمادي (ت٤٠٣م)، وديوان ابن دراج القسطلي (ت٤٢١هـ).

وزد على ذلك المجاميع الشعرية التي مثلت مدة الدراسة فضلا عن كتب التفاسير والسنن النبوية وكتب أدبية وتاريخية ومنها الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت٦٣٠م)، والمفصل في تاريخ العرب للدكتور جواد علي، وكتب في الأساطير والأمثال وهي: كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري (ت ٨٠٨هـ)، ومجمع الأمثال للميداني (ت: ٥١٨هـ)، وكتب بلاغية: أسرار البلاغة للجرجاني (ت ٤٧١م)، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (ت ٧٣٩هـ).

أما الدراسات الحديثة فقد استفادت الباحثة من: أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ) للدكتور محمد شهاب العان ، و (المضامين التراثية في الشعر العراقي الحديث) أطروحة دكتوراه للسيد، فازع حسن رجب■

في هَدْأةِ الليلِ

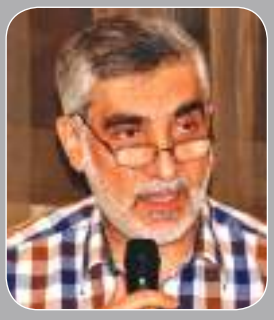

د.عمر خلوف – سورية

في هَدْأةِ الليلِ، في إطلالةِ البَدْرِ
في خَفْقةِ النورِ، أو في بَسْمةِ الفَجْرِ

في ضِحْكةِ الصّبْحِ إمّا ذَرَّ شارِقُهُ
ورَقْصَةِ النَحْلِ أو في رَفّةِ الزّهْرِ

وفي لُغَا الطَّيْرِ، في تغريدِ مِئذَنةٍ
تُهَدْهِدُ القلبَ بالتسبيحِ والذِّكْرِ

في لُثْغةِ الطفْلِ ناغَى أمَّهُ سَحَراً
وسَجْدَةِ الشيخِ بالتَّحْميدِ والشُّكْرِ

وفي دُعَا الرُّوحِ ناجتْ عَفْوَ خالِقِها
كدَفْقةِ الطِّيبِ أو تَهْويمَةِ العِطْرِ

عليكَ يا خِيرةَ الباري وصَفْوَتَهُ
أنْدَى صَلاةٍ زَكَتْ مسْكِيَّةَ النَّشْرِ

الرزق من الرزاق

أمام مزلقان القطار بحي البارودية، جلس على حجر عريض، حاملا فأسه ومنجله وجوالا نصف ممتلئ، يرتدي جلبابا بلديا فضفاضا، نظيفا من غير كيّ، وقد شدّ على رأسه عمامة تحميه من حرارة ستشتد مع توسط الشمس كبد السماء.

لا يعرف كثيرا من طرقات المدينة، فقط محطة القطار وما حولها عندما يختتم القطار مسيرته، وكذلك مزلقان البارودية حين يتباطأ القطار إلى أن يتوقف، لينزل الموظفون والطلاب وباعة السوق، وهو معهم فيتخذ مكانه دون أن يعلن عن نفسه، بل يظل في صمت لا تقطعه إلا حركته للصلاة في المصلى الصغير جانب حجرة عامل المزلقان، أو تناوله لقيمات ملفوفة بعناية في كيس قطني.

د.مصطفى عطية جمعة – مصر

" عبد التواب " هذا اسمه، دون كنية تسبقه أو لقب يصاحبه، لم يعرف سبل الرزق في بندر المدينة إلا منذ سنوات قليلة، لا يتذكر عددها، ولكنه اعتاد على مشواره اليومي، عدا يوم الجمعة.

في المرة الأولى، حين ركب القطار من محطة قريته، قادما إلى البندر حاملا فأسه، استغرب أهل البلد الراكبون معه، وسألوه عن وجهته بفأسه، أجابهم سأبحث عن شغل، فقالوا له: أنت كبير في السن، وماذا ستعمل في البندر؟

أجابهم: نفس شغلتي في البلد.. جناييني. فقالوا:

– أجّرْ أرضا أو اشتغلْ في غيطان البلد، فهذا أكرم لك.

– أنا أزرع الزهور والأشجار، ولن أفلح الأرض ولا أجمع المحصول.

– الفلاح الشاطر يشتغل في أي مكان.

– أنا جناييني فقط.

سكتوا، وسكت هو مؤثرا النظر من نافذة القطار إلى خضرة الحقول المتراكضة، والتي قضمت المباني الكثير من أراضيها، أشاروا له أن يهرب من دفع التذكرة قبيل مرور المحصّل، فابتسم وبسط كفه عن نقود فضية، فيما تسلل البعض ونام آخرون.

في المرة الأولى نفسها، وعند نزوله في المزلقان، ناداه رجل ببذلة أنيقة وشارب لطيف، وقد ترجّل من سيارته، عارضا عليه أن يعمل في حديقة فيلته، ابتسم عبد التواب، وهتف: يا لفرج الله.

وانتفض من جلسته بفأسه، فعاد الرجل الوجيه يسأله: أنت فلاح أم جناييني؟

أجابه: جناييني، طول عمري.

قضى نهاره في الحديقة، نسّق زهورها، وهذّب أشجارها، وأزال النباتات الطفيلية. راقبه الوجيه وزوجته مبتسمين، فلمساته أظهرت جمال الحديقة، أذّن الظهر، صلّى عبد التواب وغفا أسفل شجرة السنط، واستيقظ على صينية الغداء، تحملها الخادمة، قبيل المغرب ارتفع غناؤه، وهو يتأهب للعودة، نفحه الوجيه مبلغا سخيا، على وعد أن يأتي كل عشرة أيام أو أسبوعين، أجابه الجناييني:

– أنا يوم بيوم، يحيينا المولى إن شاء.

* * *

بيته كان بالقرب من عمله في فيلا إبراهيم بك، يصلي الفجر، ثم يجلس في مندرة الدار، وبجانبه زوجته "خديجة"، وقد تعبّق البيت برائحة العيش الطازج، الذي أخرجته خديجة من الفرن البلدي، وتأتي ابنته "وداد" حاملة الأرغفة الساخنة، ومعها صينية معدنية عليها صحن حليب جاموستهم، المحلوب قبل قليل. والقشدة عائمة على اللبن الدافئ، ومعها طبق جبن قَريش، بدؤوا طعامهم بالبسملة وانتهوا بالحمدلة، فالشاي الأسود على موقد الحطب، ومن ثم اتجه إلى عمله في حديقة الفيلا، وبعد صلاة الظهر، يضطجع تحت شجرة الصفصاف التي غرسها

أول أيام عمله بالحديقة، وجعلها شاهدة على أيامه المتتابعة، فإذا انتبه من قيلولته، اتجه إلى كوخه، ليعدّ كوبا من الشاي، يستلذ برشفه بين أحواضه التي ترسل روائح شتى، يتعب الحصيف في تحديد ماهية زهورها.

كان قلقا على "إبراهيم بك" الذي يعشق الحديقة، فقد تقدّم السن به، ويخشى أن يبيع أولاده الفيلا أو يهملوا حديقتها، ولكن الاطمئنان عاد إليه بعد وفاة إبراهيم بك، ومجيء أسرته، وقرارهم العيش جانب أرضهم في القرية، عاقدين العزم على تجديد الفيلا وحديقتها.

تشابهت أيامه، فصفت نفسه، وصار أمسه لا يختلف عن غده، والصباح يماثل المساء، بات خريف عمره مثل شبابه، هل يطمئن على قادم أيامه؟ ليت الحياة تمضي على هذا المنوال؛ راتب ثابت، وحال مستور، وزوجة متفانية، وخير يعم البيت، وخطّاب متقاطرون على ابنته منذ فورة جسدها، فاشترطت أمها أن تسكن بجوارها، فهي وحيدتها التي جاءت بعد مرات حملٍ غير تام، استمر سنوات، حتى تمت الأشهر التسعة، وجاءت وداد، حاملة فرحة كبيرة، وإن لم يتكرر حمل أمها، واكتفى والدها بها.

* * *

فاز عمران الموظف المعيّن بالجمعية الزراعية، ذو الراتب الثابت بوداد، وحاز رضا والديها، لأنه قاطن بالقرب من بيتهم، وقسمت وداد أيامها يوما عند والديها مع زوجها، ويوما آخر في بيت أهله، وبمرور الأيام، وانتفاخ بطن الابنة؛ بات الزوجان مقيمين دائما..، واقتربت ولادتها، واستعد الجدان لأول حفيد، وقد قررا استمرار إقامة الابنة في بيتهما وإن أنجبت عشرة.

* * *

في جلسته على المزلقان، الشمس تدنو من رأسه، فأعاد ربط عمامته، وانشغل بذكر الله، غير عابئ بلغط عمال التراحيل، وسبابهم المتتابع لكل فعل أو قول، جال بعينه فيهم، هذا ينفخ في الهواء بقرف، وآخر يضحك بعصبية دون سبب، وثالث يرتشف الشاي بصوت متصنع، كلهم في انتظار وقت يمرّ بطيئا توقعا أن يطلبهم مقاول مبان أو متعهد أنفار أو أسطى أيًا كانت طبيعته، المهم أن يجدوا من يدعوهم لشغل، وليت الشغل يكون لأيام ليضمنوا يومياتهم. يضحك عبد التواب من أعماقه عندما يدّعي العمال معرفتهم بكل شيء في الفلاحة أو المعمار، لذا فهو غير آبه لسيارات النقل التي تتوقف، وتأخذ فردا أو مجموعة وتسرع بهم. مطمئن في مكوثه، فرزقه مرهون بأنفاسه في الحياة، إن لم يكن في ساعته فعليه الصبر لساعات أخرى أو لأيام.

* * *

الوقت شارف على الغروب، تغدى جبنا وخبزا من "الزوادة" التي يحملها، وشرب ماء باردا من زير قريب، عليه أن يعود للقرية، مستقلا القطار، سيدفع التذكرة، وسيستيقظ من غده، لن يمل، ولن يستأجر أرضا، ولن يعمل في حقول البلد بيومية أو شهرية، ولن يتحسب للمستقبل، فقد عاش سنوات حياته متحسبا للغد، ولكن الغد جاءه بوفاة ابنته أثناء ولادتها، وكان يوم الجمعة، وفي الجمعة التالية، لحقتها أمها، ولم يصدق نفسه وهو يرى أبناء إبراهيم بك، يكتفون بشقة فاخرة بأحد أبراج المدينة، ويهدمون فيلتهم في القرية، بعد أن قسّموا أرضها قطعا صغيرة كأراضي مبان. ما أقسى أن ترى الزهور تنبت أعمدة خراسانية■

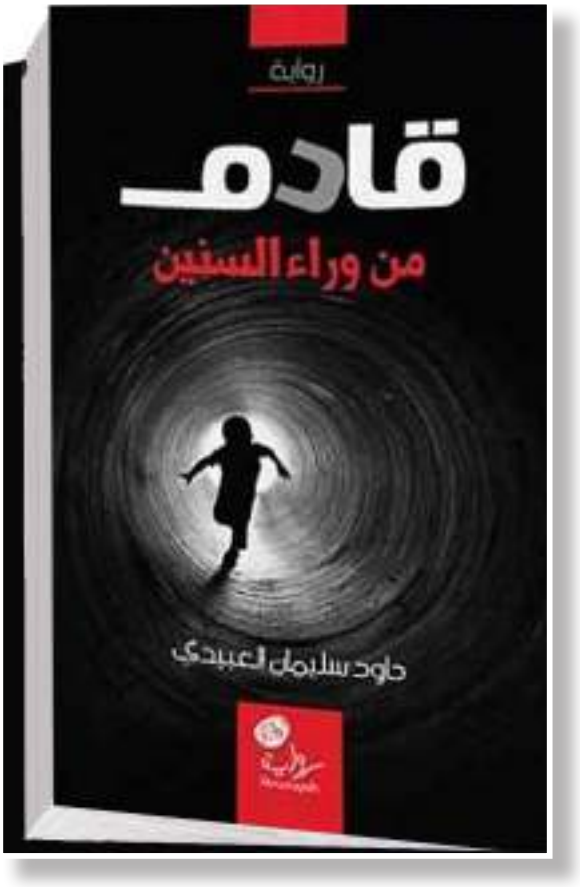

قادم من وراء السنين

تأليف

داود سليمان العبيدي

عرض: يحيى حاج يحيى - سورية

قصة «قادم من وراء السنين»، لمؤلفها داود سليمان العبيدي، توضح ظهور الحق ولو بعد حين! وتبين أن العاقبة للصادقين، وأن ما ينزل بأصحاب المبادئ من محن يكون مدعاة للآخرين للتعرف على دعوتهم، وأن ذاكرة الناس تختزن معاناتهم، فلاتقوى الأيام على طمْس ذكراهم! وقد دللت هذه القصة على ذلك من خلال مجموعة من الشباب المؤمن اختفوا عن الأنظار، بعيداً عن بطش ملك ظالم. وحين عاد أحدهم متلطِّفاً ليأتي لهم بالطعام وهو خائف يترقب، لم يكن يحسب أن أحوال الناس قد تغيرت مع أنه شاهد تغَيُّراً في طريقة حياتهم وأسلوب معاملتهم.

تبدأ هذه القصة من وسطها، فقد استغرب هذا القادم الغريب مظاهر التغيير في المدينة التي كان يعرفها، ولم يدر كيف يصل إلى السوق! وأثار دهشة من لقيَهم بثيابه ولهجته وتسَتُّره، فهو خائف من الملك الذي كان يأمر بالقبض على المؤمنين وقتلهم. وحين أخبره أحدهم أن ملك هذه المدينة رجل صالح مؤمن، صُعِق ولم يكد يصدق! وحين ذاع خبره طلب الملك إحضاره فازداد اختفاء.

وتوالت الشهادات أمام الملك عن نظافته وزيه وذكره لأسماء أناس لايعرفهم أحد، ونفوره ممن يوهمه أنه يعرفه، متهماً بأنه يريد استدراجه لكي يعرف مكانه وأسماء إخوانه ليشيَ بهم إلى الملك الجبار! فيزداد الطلب عليه، ويؤتى به إلى الملك فيسأله عن شأنه وعن أصحابه فيخبره أنه ابن التاجر الذي قتله قبل شهر، وأنه ينتظر منه أن يصلبه كما فعل بغيره. ولكن كل ذلك لن يجعله يتراجع عن دينه! فيبين له الوزير أنه يتخيل أشياء لا وجود لها، وملكاً لايعرفه أحد، فيُصِر الفتى على أنها المدينة التي يحكمها دقيانوس الجائر الكافر، الذي توجد صورته على الدراهم التي معه!

وتتعقد الأمور فيزدادون حيرة، ويزداد هو خوفاً وتحَسُّباً، لكن طاعناً في السن تجاوز المائة والعشرين عاماً يحل هذا الإشكال حين يسأله عن عدد الذين معه وصفاتهم وعن الملك الذي هربوا منه، فيتأكد أنهم الفتية الذين هربوا قبل مئات السنين قد بعثهم الله، وبدأت الصورة تتضح للفتى، وغمرت المدينة فرحة كبيرة، وراح الفتى يحدثهم عن معاناة المؤمنين وعن سبب اختفائه في الكهف مع أصحابه، وأنهم غلبَهم النوم، ثم أفاقوا وهم يشعرون بالجوع، وأنهم أرسلوه ليأتي بالطعام، وهم ينتظرونه في الغار؛ فيطلبون منه الذهاب معه لإحضار إخوانه، ويتهيأ الناس كأنهم في عيد، ويستذكرون قصتهم التي كان الآباء يتناقلوها.

ويتقدم الفتى ويخبر أصحابه بأن كل شيء قد تغيَّر، فقد هلك دقيانوس وآمن الناس، وأنهم لبثوا في الكهف ثلاثمائة عام وزيادة! كان الناس ينتظرون متشوقين لرؤيتهم، والفتية يستمعون لصاحبهم وهو يحذرهم من فتنة جديدة أشد من فتنة دقيانوس، إنها فتنة الشُّهرة والظهور، ثم دعا ليؤَمِّنوا على دعائه بأنْ يأخذهم الله إليه. وحين طال الانتظار أرسل الملك من يناديهم فوجدهم حول صرة الطعام، وليس فيهم من يجيب!

قد تداخَل في هذه القصة الزمن الروائي والزمن التاريخي، وقد اعتمدت طريقة استرجاع الماضي، وكان للشخصيات التي أضافها الكاتب ومواقفها من الغريب والفتية، بُعدٌ يرفع وتيرة الحركة في الحبكة من خلال التساؤلات والتعليقات والاندهاش.

وإذا كانت القصة هذه قد ارتكزت في حدثها الأساسي على ما جرى للفتية، كما ورد في سورة (الكهْف)، فقد كانت مثالاً ناجحاً على ما يمكن أن تقدمه القصة القرآنية من موضوعات تحتفي بقضايا كثيرة للإنسان، وعلى رأسها قضية الإيمان بالله تعالى.

والفكرة كما عالجها الكاتب في سياقها القرآني تلتقي مع رواية (عمر يظهر في القدس) لنجيب الكيلاني في نقطة (العودة إلى الحياة)، والمفاجأة التي تصدم العائد، وقد تغيرت مظاهر الحياة، لكنها تختلف عنها في أن الخليفة عمر عندما عاد رأى المجتمع على غير ما يسرُّه، في تفكك وانحطاط، في حين أن الفتية رأوا المجتمع بعد عودتهم كما يحبون، وقد انتشر في أهله الإيمان. وكذلك اختلفت النهاية، فالخليفة اختفى بطريقة حيَّرت اليهود وجعلتهم نهباً لمختلف الظنون، في حين أن الناس تأكدوا من موت الفتية وقالوا: لنتخذن عليهم مسجداً■

إعداد: شمس الدين درمش

مستقبل رابطة الأدب الإسلامي في ندوة بماليزيا

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في كوالالمبور بماليزيا ندوة أدبية مساء الجمعة (١٨/ ٤/ ١٤٤٢هـ، الموافق ٤/ ١٢ /٢٠٢٠م)، بعنوان: (مستقبل رابطة الأدب الإسلامي العالمية الماليزية بعد جائحة كوفيد١٩)، وتضمن برنامج الندوة: الافتتاح بكلمة عريف الحفل د. وان رسلي، ثم تلاوة آيات من القرآن الكريم، فتوضيحات في طريقة الترشيح والانتخاب للهيئة الإدارية، فكلمة رئيس المكتب الإقليمي للرابطة بماليزيا الأستاذ المشارك الدكتور عبد الرحمن شيك.

ثم بدأت الندوة بالمحاضرة الأولى: بعنوان: (رحلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية)، للأستاذ شمس الدين درمش، أمين سر المكتب الإقليمي للرابطة في السعودية، قدمها الأستاذ الدكتور منجد مصطفى بهجت نائب رئيس المكتب بماليزيا، تلتها قصيدة للشاعر عمرو خالد، بعنوان: (كالحلوى تكلمه). وكانت المحاضرة الثانية بعنوان: (آفاق الأدب الإسلامي في ماليزيا)، للأستاذة م. د. سلمى أحمد من الجامعة الوطنية بماليزيا، وتلتها قصيدة للشاعر ماجد السامعي، بعنوان: (محمد ﷺ).

وجرت فعالية هذه الندوة بمناسبة انتخاب هيئة إدارية جديدة في مكتب ماليزيا، وأعلنت نتائجها في نهاية الندوة، وأدارها الأستاذ الدكتور منجد مصطفى بهجت نائب رئيس المكتب ماليزيا، وأستاذ الأدب والنقد في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا سابقاً.

وقرأ الحضور سورة العصر ودعاء كفارة المجلس قبل الانصراف. ونسأل الله سبحانه التوفيق والسداد للعاملين في مكتب ماليزيا، وأن تجرى فعاليات أدبية أخرى على هذا المنوال في مكتب ماليزيا والمكاتب الأخرى، حيث بثت الندوة في وسائل التواصل الاجتماعي، وتابعه كثيرون.

فداك روحي يا رسول الله

نظم المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بعمان في الأردن مساء السبت (١٤٤٢/٤/٢٠هـ، الموافق ٢٠٢٠/١٢/٥م)؛ أمسية شعرية بعنوان: (فداك روحي يا رسول الله)، ضمن الشعبية الحملة الإسلامية العالمية في الرد على الإساءة لرسول اللهﷺ في فرنسا.

وقد شارك في الأمسية ثلاثة من كبار شعراء الرابطة، هم: الدكتور وليد قصاب من إسطنبول في تركيا، والدكتور حسن الأمراني من وجدة في المغرب، والدكتورة نبيلة الخطيب من عمان في الأردن، وأسهم معهم بلبل الإنشاد سعيد حوى.

تابع الأمسية كثيرون من خلال برامج التواصل الاجتماعي عن بُعْدٍ، وكانت أمسية موفقة قدم فيها الشعراء الثلاثة والمنشد المداح نصوصاً مختارة تعبر عن محبتهم للرسولﷺ، وعن مكانة خاتم الأنبياء والمرسلين في قلوب المسلمين.

أعد الأمسية وأدارها الدكتور عبد الله الخطيب، أمين سر المكتب الإقليمي للرابطة بعمان، وكانت تجربة موفقة ينتظر تكرارها إن شاء الله.

رحيل الأديب الشاعر أحمد أبو شاور

توفي الأديب الشاعر (أحمد محمد محمود أبو شاور) عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الذي وافاه الأجل في عمان بالأردن، يوم الأحد (١٤٤٢/٣/٢٩هـ، الموافق ٢٠٢٠/١١/١٥م)، بعد معاناة مع المرض. رحمه الله تعالى، وغفر له، وأسكنه جنات النعيم، و(إنا لله وإنا إليه راجعون).

والشاعر أحمد أبو شاور من مواليد عام (١٩٤٩م)، بمدينة حلحول التابعة لمحافظة الخليل بفلسطين المحتلة. أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية في مدارس وكالة الغوث في مخيم عين السلطان في أريحا بفلسطين، عام (١٩٦٥م). أنهى دراسته الثانوية في عمان بالأردن عام ١٩٧٠م، حصل على دبلوم معهد المعلمين للآداب عام ١٩٧٣م، متخصصا باللغة الإنكليزية. حصل على مؤهل التطوير التربوي من اليونسكو عام ١٩٧٨م. وعمل مدرساً في سلك التعليم الابتدائي في السعودي (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م). وعمل مدرساً للغة الإنكليزية في مدارس التربية والتعليم بالأدرن من عام (١٩٧٥-١٩٩٠م).

شارك في النشاط الإذاعي فأسهم في إعداد برنامج بعنوان: كلمة ونصف. وله ديوان: (أربعة أسماء لزنبقة واحدة) مطبوع عام (١٩٨٥م). وكتاب (موسوعة أميرات الشعر العربي)، الصادر عام (٢٠٠٣م)، عن دار أسامة للنشر والتوزيع بعمان، في (٣٦٠) صفحة من القطع العادي. نشر أحمد أبو شاور قصائده في الصحف والمجلات المحلية (الفرقان، والسبيل) والعربية، ونشرت له مجلة الأدب الإسلامي عدداً من القصائد، والمسرحيات الشعرية.

صفحة مضيئة أخرى تطوى.. د.غازي مختار طليمات في رحمة الله

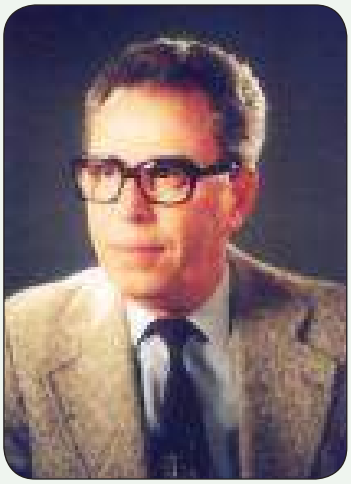

فقدت الساحة الأدبية والنقدية، علماً بارزاً هو الأستاذ الدكتور غازي مختار طليمات، في مدينته حمص بسورية، الذي توفي يوم الأحد ٥ جمادى الأولى ١٤٤٢هـ، الموافق ٢٠٢٠/١٢/٢٠م، وبرحيله يغيب عن الساحة الأدبية أحد أبرز كتاب المسرحية الشعرية، فقد برز فيها، بما يضاهي مسرحيات أحمد شوقي الشعرية.

والدكتور غازي مختار طليمات؛ ولد عام ١٩٣٥م، في مدينة حمص بسورية، ونال إجازة اللغة العربية من جامعة دمشق ١٩٥٦م, وأهلية التعليم الثانوي ١٩٥٧م, وحصل من مصر على دبلوم الدراسات العليا ١٩٧٥م، والماجستير ١٩٨٠م, والدكتوراه ١٩٨٧م. وعمل غازي طليمات في التعليم العام بسورية والكويت، وفي كلية الآداب بجامعة البعث في حمص, ثم انتقل للعمل في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي بالإمارت العربية المتحدة.

له ثلاثة دواوين شعرية: من جنين إلى غزة، وطواف لاينتهي، وأبيات ترجو المغفرة. ومن أبرز مسرحياته الشعرية: محكمة الأبرياء (إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الطبعة الأولى دار البشير في عمان بالأردن، وأعادت مكتبة العبيكان نشرها بالرياض في السعودية). وقد كتب عشرات المسرحيات الشعرية غيرها نشرت في مجلة الأدب الإسلامي الفصلية، ومجلة الأدب الإسلامي الإلكترونية، وصدر بعضها عن اتحاد الكتاب في دمشق. رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، وجعل ما كتبه في ميزان حسناته وعلماً ينتفع به. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

جائزة التميز في النقد الأدبي لحلمي القاعود

أعلن اتحاد كتاب مصر، فوز الناقد والأستاذ الجامعي الدكتور حلمي محمد القاعود بجائزة "التميُّز" في النقد الأدبي لعام (٢٠٢٠-٢٠٢١م). وأوضحت اللجنة في حيثيات قرارها أن حلمي القاعود أحد القامات المهمة في الأدب العربي الحديث، وأحد الرّواد الذين أغنوا الحياة الأدبية والفكرية. وجائزة "التميُّز" أعلى جائزة في اتحاد كتاب مصر، ويكون الحاصل عليها، أو المتقدم إليها، واحداً من الرواد، والأسماء البارزة في مجاله الإبداعي، ومن المؤثرين في الأجيال اللاحقة له في حقله الأدبي.

إصدارات جديدة

- صدر عن دار عالم الكتب للنشر والتوزيع بالرياض كتاب جديد في سلسلة إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، بعنوان: (الاتجاه الإسلامي في شعر الطفولة في الأدب السعودي: دراسة نقدية)، تأليف: نورة بنت عبدالرحمن بن حميد الحربي، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.
- أصدر اتحاد كتاب مصر أحدث الإبداعات السردية لحلمي محمد القاعود، في ١٩٢ صفحة مِن القطع المتوسط، بعنوان "هذه الأحلام" أو "المنامات"، والتي حوت دفقاتٍ فنيَّةً شديدة العذوبة، ليطالع القارئ كل حلم وكأنه يُشاهد لوحة فنية تضج بالإبداع والجمال.
- صدر في الجامعة الإسلامية العالمية بكوالالمبور بماليزيا للأستاذ الدكتور نصر الدين إبراهيم أحمد حسين:
- النقد المنهجي في كتب طبقات الشعراء، الطبعة الثانية، في (١٨٩) صفحة، (١٧×٢٤).
- نظرية الأسلوب الأدبي عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، الطبعة الأولى، في (٢٦٩) صفحة، (١٧×٢٤).
- صدر في كوالالمبور بماليزيا، عن دار الفردوس للنشر، المجموعة الأولى من سلسلة ألف قصة، بعنوان: (آلامنا وآمالنا)، قصص بليغة مستلهمة من القرآن والسنة، لمؤلفه الدكتور ياسر بن إسماعيل عباس، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م. ٢٦٤ صفحة، (١٧×٢٤)، وضم الكتاب (٤٠) قصة، وللكتاب فهرس في ذكر الأوجه البلاغية في كل قصة.

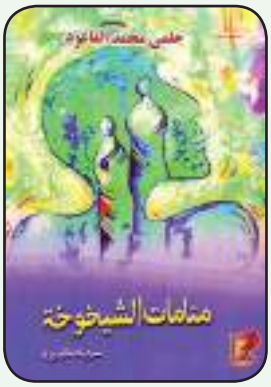

عامان

عبد الرحيم الماسخ- مصر

عامٌ مضى
مضى عامٌ
ولم تتغيّرِ الدنيا
وأحداثٌ ترسّبت الدماءُ بها
ليصعدَ مِلْحُها ويُطِلَّ من
أدوارِهِ العليا
وظلَّ الشرقُ ينزعُ لحمهُ
المحروقَ من فمِ حيّةِ التاريخ
يلقطُ قمحهُ المسروق من
أعتى الشروخ
ولا يُصيبُ الماءَ كي يحيا
تقولُ الأرضُ: لا
وروائحُ الأشياءِ تختصرُ الخلا
والريحُ تفتحُ ظلّها رُسلا
لمولودٍ سيأتي الكونَ مُختلفا
ما لم يُرُوه الخوفَ والآلامَ
والأسفا
إذا أهداهُ مفتاحَ الإقامةِ في
رياضِ النورِ مُعترفا
لهُ بنقائهِ الفطريّ من
عطنِ المُساومةِ
اصفرارِ الصمتِ
بردِ الموتِ
واستبعادِ شمسِ الأغنياتِ
إذا الظلامُ سفى
فعامٌ مرَّ، أطفأ بالدموعِ
شموعَ مُنتظرينَ
فارتبكَ الهواءُ بصدرهِ
إذ ذكّرتهُ الزفرةُ الحرّى
فلسطينا
وأشلاءُ العروبةِ لطّختهُ دماً
يئنُّ
ولحماً اشتعلَ الحنينُ بهِ
طواحينا
إلى عهدِ الوفاء
غمامُهُ الملكيُّ ينضحُ
والنماءُ بقلبهِ: فرحُ الديارِ
بعودةِ الأحرار بالبُشرى مُلبّينا!عامٌ
قادم
عامٌ جديدٌ
والعروبةُ لا تُفارقها الرعُود
ويقظةُ الأحلام باهتةٌ بأحداقِ
الكلام
وقد هوى الآتون في جُبِّ الحدود
تقسَّمَ الشرقُ انحداراتٍ وأنغاماً
مُلوّنةً
وأحلاماً تصيدُ الفرحةَ الكبرى
بأوتارِ النشيد
ينامُ, في شوقٍ يقومُ
وموكبُ الأسرارِ تتبعُهُ النجوم
وغنوة أخرى تردُّ الرعدَ عن
أنفاسنا
كي نُحْكِمَ التنديدَ والتهديدَ
نحبسَ سِرّنا في قمقم المعنى
ونغرسَ حولنا للمجد عيداً
إننا العربُ الأماجدُ
لا يُكلّفُنا التباعدُ يقظةً لحراسةِ
التاريخ
والماضي يُطلُّ من الشروخ
هوىً وأطماعاً
خياناتٍ وأوجاعاً
وأحلاماً بلا عُمرٍ تشيخ
وعامُنا المسجونُ تأكلُ ظلّهُ
شمسُ الفضاءِ الواحد
العربُ اليتامى يتركون يدَ التواجُد
راحلين بلا محمدهمْ
محمّدُهم لهُ ظهرُ البُراق
فكيف يقتنصون ظلَّ الموعدِ
الباقي بلا سفرٍ
إلى الإشراقِ في زمن المواجد؟
كيف ينتظرون
والآتي تُسيّرُهُ الظنونُ إلى التباعُدِ؟
كيف يتفقون
والطرُقُ الجديدةُ تقطعُ الطرُقَ
القديمةَ
قبلَ أروقةِ الموائد؟
كيف يتّحدون كيف..
وفسحةُ الآمالِ يأكلُها الجفا؟

أدب الشريط الساحلي

محمد حمادو أحمد- النيجر

كان من فضل الله على الناس أن برزت اللغة العربية للوجود، وعاشت حيناً من الدهر يتحدث بها أهلها إلى أن جاء القرآن الكريم منزّلاً بها، فصارت لغة عالمية حية خالدة مخلدة.

بدأ نجم لغة قريش في الظهور منذ ذلك الحين، وفي وقت يسير بزت لغات العالم شرقاً وغرباً، إذ اعتلت سدة الحكم، وودعت الأفول إلى الأبد.

ومن ضمن البلدان التي حطت بها الرحال جزء كبير من أفريقيا، وهي باقية فيه ما بقي الليل والنهار.

هي إذن من اللغات التي لا تموت، حيث نلمسها في كل تفاصيل حياتنا العلمية والعملية على السواء.

شعوب الشريط الساحلي وشعب النيجر بالتحديد ممن يتذوقون الأدب الإسلامي بهذه اللغة، فكتبوا بها ونبغوا تماماً، فجعلوها إلى جانب لغاتهم المحلية في خانة واحدة، وها هم أولاء اليومَ يخرجون لنا أدباً إسلامياً خالصاً، وتأثرهم بها الآن قريب من أزمنة مضت كانت فيها مربط الفرس.

أما الآن فالفرنسية هي المتسيدة في الساحة، ولولا غزو الدول الأوربية بلغاتها وتبني حكومتنا لها لما تحدث بها مخلوق في مجاهل أفريقيا، ولكن النصارى استماتوا وبذلوا الغالي والنفيس لفرض لغاتهم، وجندوا لذلك كل طاقاتهم؛ بينما نجد اللغة العربية بمعزل عن أي سبب سوى القرآن الكريم.

ولكن البشائر بدأت تلوح، فرغم توقف كل الصحف التي كانت تصدر من نيامي العاصمة الواحدة تلو الأخرى لسبب أو لآخر إلا أن الحراك الأدبي باللسان العربي الفصيح واللغات الأخرى موجود.

الزائر لا يلبث أن يلمح شيئاً من ذلك هنا أو هناك، قيم الإسلام كفيلة بإصلاح أي خلل في أي مكان وزمان.

نحن الآن نسالم كل التيارات إلا من يشككون في مبادئنا، ويزعمون بأن لغتنا مازالت محصورة بين الأسوار، فهؤلاء الحرب الكلامية بيننا وبينهم سجال، ولن تنفعهم التكنولوجيا أو أسواق الإنترنت أبداً حتى يدعوا تزييف الحقائق.

ألا يعلمون أن العالم أصدر مذكرة يعترف فيها باللغة العربية بعد ما بدا له من أفضالها الشيء الكثير!؟ أنا شخصيا ألمس روح الأدب الإسلامي في المنطقة، ولكن بنسب متفاوتة، ولا تعزب عن البال ما للاستعمار البائد من عيون مبثوثة تعمل جهرة، وقد تمارس عملها تحت جنح الظلام.. والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون■

من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

مجموعة البحوث والدراسات

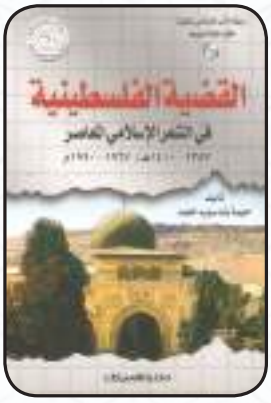

من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

مجموعة القصة والرواية والمسرحية

من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية

مجموعة الشعر

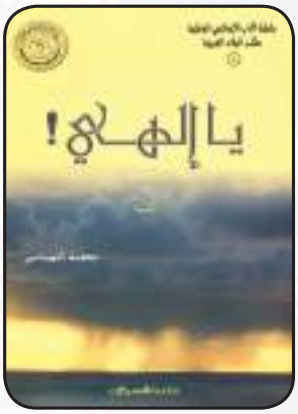

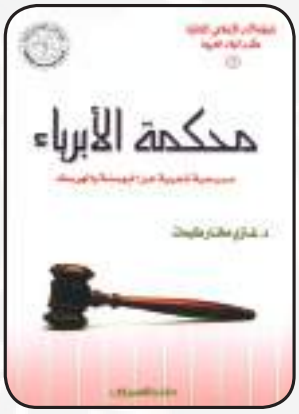

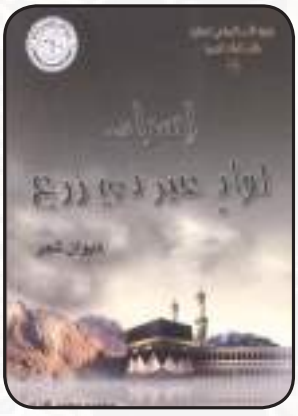

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

facebook

/https://www.facebook.com/adabislami.org

twitter

@adabislami_ksa